يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ – ربيع الثاني ١٤٠٤

المختار

من ريدرز دايجست

ظاهرة تفوق الوصف ٨
الحياة بعد الطلاق ٢١
ج. ر. يوينغ، البطل الذي يكرهه الناس ٢٨
نجوم الصحراء ٣٤
قرى الاطفال ٤١
غاندي ٤٧
تمارين لغير المستعجلين ٥٤
باقة حب وحنان ٥٨
درس في القيادة ٦٢
حقائق حلوة عن السكر ٦٥
النجار الشاطر ٦٩

آيدز اخطر مرض!

(ص ١٠٦)

ماذا يغري الرجل في المرأة؟

(ص ٧٨)

ناميبيا ٧٢
سلطان الغاب ٨٢
مغامرون معاصرون ٨٨
الجنس عند الاسماك ٩٥
اوغست بيكار، الاستاذ المغامر ٩٩
النينو ١١٠
المنفى (كتاب الشهر) ١١٧
تحية الى الصغير ٥

تحدي العلم: "الدماغ المفكر"

(ص ١٦)

اصداء من عالم الطب ٢٧ – دائرة المعارف ٩٣ – حديقة افكار ١٠٥

لبنان ٦٠٠ق – سورية ٧٠٠ق – الاردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ٥٠٠م – السودان ١ج – ليبيا ٧٠٠د – اليمن ٤ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – تونس ٦٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وأمريكا الشمالية ٢،٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest January 84 Nº 62

أمّنوا لأولادِكم نُموًّا صحيحًا

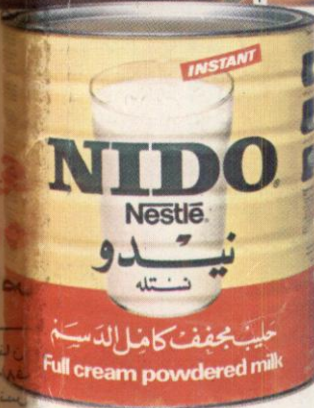

نيدو السريع الذوبان هو حليب كامل الدسم يحتوي على كافة العناصر الغذائية التي توفر لأولادكم نموًّا متكاملاً . فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضرورية المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قوية .

نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم ، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدة تحليلات مخبرية دقيقة ليصبح خاليًا من كل شائبة .

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ ، يحضر بسرعة ، ويحبه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح وفي المساء وفي أيّ وقتٍ من النهار .

نيدو السريع الذوبان

ليَنموَ اولادكم ويَنعموا بالعافية

Nestlé. تضمنه نستله

المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري.

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: ادوار ت. طومسون. مدير التحرير: آلان دوليرو. المدير العام: جون ا. اوهارا.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية ـ بيروت. الخدمات الصحافية: شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت. التحرير: شارع روما، بناية هاشم. ص.ب. ٢٢٦ ـ ١١ التلكس ANAHAR 22322 LE بيروت. التلفون ٣٤٠٥٥٦. الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب ٨٧٠٧ ـ ١١٠ التلكس 22288 LE التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١.

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V .75008 Paris,FRANCE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت. الطباعة: سيكو، بيروت ـ لبنان. التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئيا او كليا، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: "بابا جينو" (اليونور لوتشر ـ امريكية)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
January 84 Nº 62 (New Series) Vol. 6

©1984 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN INC

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة.

Technics
Technics
Technics
Technics
Technics
Technics

صوت رخيم
بطريقة مبسطة

تتميز اجهزتنا فئة ٣١٥ (315) بأنها متناسقة تماما ورقيقة محجمة وجميلة (بعرض ٣١٥ مللمترا)، تعادل في تأديتها ماتؤديه الاجهزة الكبيرة صممت لتشغل في اناقة ركنا صغيرا فوق مكتبك يزيد قليلا على ماتشغله مجموعة صغيرة من الاسطوانات. أزلنا في هذه الاجهزة مشكلة تشابك اسلاك الوصل، وزودناها بوصلات مباشرة وسهلة تربط بين جهاز الراديو (موجات اف ام / متوسطة قصيرة اولى / قصيرة ثانية) وبين مضخم الصوت والمنغم. وجهاز الكاسيت. ويتميز مضخم الصوت بأنه محجم بقوة ١٣٠ واط (PMPO). أما المنغم فيسيطر على ٢٤ موجة فوق لوحة بيانية واضحة. وجهاز الكاسيت معد بنظام دولبي بي ان ار (BNR) الخفض التشويش ومجهز بميكروفون صغير دقيق وبمكبران للصوت باتجاهين. كل هذه المعدات معا تشكل: جهاز فئة ٣١٥ (315) الذي يعتبر شبكة رائعة فخمة تعطي اصواتا رائعة رخيمة وهو باللونين الاسود والفضي.

دولبي هي العلامة التجارية لمختبرات دولبي.

جهاز فئة ٣٣ اس (33S) المبين في الصورة
وجهاز فئة ٥٥ (55) و٧٧ (77) متوفران ايضا

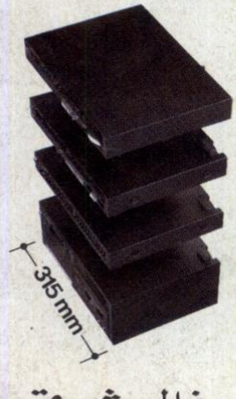

رمز الشقة

Technics

تكنيكس

اداء عــالـمي يــلائـم رقي الــدرجة الاولى

إمكانية ريموت كونترول يعمل بالأشعة تحت الحمراء. أداء رائع للبث التلفزيوني العالمي.. كل تلك المزايا العديدة تجدها في التلفزيونات ذات الأنظمة السبعة... لك من شارب.

استمتاع بالعروض التلفزيونية والأشرطة واسطوانات الفيديو

7-SYSTEM

تستطيع التحكم بتلفزيونك ذي الانظمة السبعة من شارب عن طريق جهاز الريموت كونترول الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء وتمتع بالراحة والاسترخاء امام تلفزيون يلائم رقي الدرجة الاولى.

أضف الى ذلك تفاوق الانظمة السبعة مقارنة بكل مستوى اذاعي فني يستخدم في عالمنا اليوم فبه ستحوز على الاداء الراقي. استلق على كرسيك وتحكم بتلفزيون شارب الجديد ذي الأنظمة السبعة فهولك أينما تريد أن تكون..

ShotVision

DV-2100SPN

تلفزيون ملون ٥١سم (٢٠بوصة). مع ريموت كونترول قابل للانفصال يعمل بالاشعة تحت الحمراء ويقوم بأداء ١٧ وظيفة.
مجهز بسماعتين ثنائيتي القناة ستيريو لصوت صافي يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو. يعرض رقم القناة على الشاشة.
ريموت كونترول - صوت فيجن قابل للانفصال من شارب.
DV ١٦٠٠ ١٤٠٠ أيضاً بأقل سعر وحدة ريموت كونترول شوت فيجن.

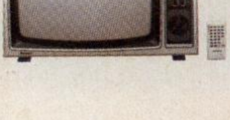

DV-262SPN

تلفزيون ملون ٦٦سم (٢٦بوصة). مع ريموت كونترول يقوم بأداء ٢٦ وظيفة. يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو. مجهز بذكرة برمج لـ١٦ قناة.

بكل فخر نخدمك لترقى الى السعادة

شــارب SHARP

شركة شارب، اليابان

لمزيد من المعلومات يرجى بالاتصال بوكيل شارب المحلي.

العربية السعودية : حسين ع. سكلوع ص.ب. ٧١٣ ، جدة تلفون : ٦٤٧٩٦٧٠ ، ٦٤٧٦٦٢٥
الكويت : شركة التجهيزات الفنية المحدودة ص.ب. ٥٦٤٨ ، الصفاة تلفون : ٤١٢٦٧١/٤١٢٦٧٩
الامارات : كوسموس ص.ب. ٦٠ ، دبي تلفون : دبي ٤٣٥٩١٨ ، ابو ظبي ٣٣٥٥٥٦ ، العين ٦٥٦١٢٢ ، شارجة ٣٧٧٩٦١

البحرين : متجر روبن ص.ب. ٢٣٢ ، البحرين تلفون : ٢٥٤٧٩٥/٢٥٨٣٥٨/٢٤٠١١٥
عمان : شركة عمان للالكترونيات العصرية ص.ب. ٧٠٨٨ ، مطرح تلفون : ٧٠٤٤٩٤ داربست ، ٧٠٢٠٠٥ روى
قطر : شركة المفتاح التجارية ص.ب. ٨٧٥ ، الدوحة تلفون : ٤١٣٦٨٧/٤١٣٠٧٦
لبنان : الشركة التجارية العامة ش.م.ل. ص.ب. ١١-٤٩٥٥ ، بيروت تلفون : ٣٩٢٥٩٨/٩ ، ٢١٦٢٢٥

لقاء وجيز في فندق كشف عن اسمى
معانـي الاخـوَّة الانسانية

تحيّةٌ الى الصغيرْ

هز الموظف الليلي كتفيه آسفا: "هذا جل ما يسعنا ان نوفره لك الليلة. ففي هـذه الساعة المتقدمة لن تجد غرفة مستقلة في اي مكان. الامر متروك لك طبعا اذا شئت ان تراجع فنادق اخرى، واسمح لي بان اكون صريحا معك، فالسرير الخالي في الغرفة المزدوجة سيكون مشغولا على الاغلب اذا قررت العودة في وقت لاحق".

ـ حسنا، سآخذه. ارجو المعذرة، لكنك تفهم الوضع حتما. هل لي ان اعـرف شيئـا عـن الشـخـص الـذي يشاركني الغرفة؟ اعني ليس الامر ارتيابا او خوفا فلا داعي الى ذلك. ولكن هل شريكي في الغرفة الآن."

"اجل. والارجح انه في سبات عميق."

ملأ شوام البطاقة واعادها الى الموظف ثم صعد السلم.

وما ان لاح له رقم الغرفة المقصودة حتى ابطأ دونما وعي منه. وانصت مصغيا الى اي صوت قد يحدثه ذاك الغريب، ثم انحنى قليـلا يبحـث عـن ثقب المفتاح. كانت الغرفة المظلمة غارقة في السكون. اغلق شوام الباب وراءه وبدأ يتلمس طريقه بحثا عن زر اضاءة. وتجمد في مكانه فجأة اذ ناداه صوت عميق كاد ان يلامس مرفقه: "ارجوك! لا تشعل النور. سأكون ممتنا لك اذا ابقيت الغرفة في ظلام."

سأله شوام مجفلا: "أكنت تتوقع حضوري؟"

لم يجبه الغريب ولكنه اضاف: "ارجو الا تتعثر بعكازي او بحقيبتي التي وضعتها في مكان ما في الغرفة سأرشدك الى سريرك. امش ثلاث خطوات في موازاة الحائط ثم استدر

Condensed from Jager Des Spotts, Geschichten aux dieser Zeit,
copyright (c) 1958 by Hoffmann und Campe Verlag, Hamburg

Toshiba : صاحبة ابتكار ال Auto Reverse

الراديو كاسيت والمسجلة الستيريو Toshiba كانت الرائدة في استعمال auto reverse والاولى في اعطائكم تسجيلا مستمراً من دون انقطاع ولذة في الاستماع سواء على دورة واحدة او باستمرار، ويمكنكم ايضاً تغيير جهة التسجيل من دون قلب الشريط.

ولدى Toshiba تشكيلة كاملة من الراديو كاسيت والمسجلات مع auto reverse. من المونو الى الستيريو وفي تصاميم صغيرة او كبيرة، ولكن ايا يكن القرار الذي اخترتم فيمكنكم ان تعتمدوا على حقيقة واحدة: انها رائعة لانها Toshiba

BOMBEAT SX7
AUTO REVERSE

BOMBEAT 170
AUTO REVERSE

BOMBEAT 483
AUTO REVERSE

Toshiba TOSHIBA توشيبا

TOKYO, JAPA

يسارا، وبعد ذلك تقدم ثلاث خطوات اخرى فتلامس حافة السرير.

اطاعه شوام فوصل الى سريره سالما. ثم نزع ثيابه وتمدد. ولسبب ما، ولعله ادرك ان نعمة النوم لن تأتيه سريعا، اخذ يصغي الى صوت الآخر فتأكد له انه يعاني جفاء النوم مثله تماما. وبادره بعد برهة مترددا: "بالمناسبة، اسمي شوام."

- حقا؟ أتراك اتيت لتحضر مؤتمرا؟

"كلا. ولعل سبب مجيئي الى المدينة غريب كل الغرابة ولا يخطر في بال احد."

وتابع شوام: "لي صبي صغير فيه شيطانية الاولاد جميعا. وقد طرقت من اجله ابواب هذه البلدة. انه مفعم الحساسية، وكزهرة السنط ينفعل لادنى إثارة او ازعاج. وكأني بنفسه مصنوعة من زجاج شفاف. كل صباح، وهو في طريقه الى المدرسة، ينتظر قرب تقاطع السكة الحديد ليمر قطار الصباح الباكر. يقف هناك ذاك الولد الصغير، ويلوح بيده متشوقا يائسا غاضبا."

- نعم، ومن ثم...؟

"يذهب الى المدرسة. لكنه حين يعود الى البيت يتصرف كالحائر المنذهل. وقد يدفعه الامر الى ذرف الدمع مدرارا. يعجز عن تأدية فروضه المدرسية ويرفض اللعب او مجرد التكلم مع احد. وقد تتابعت هذه الظاهرة يوما بعد يوم لاشهر طويلة. انه يدفع نفسه الى شفير المرض والانهيار."

- وما الداعي الى تصرفه هذا؟

"ان الجواب لأمر غريب. يلوّح الصبي كما حدثتك، ولكن تتولد الخيبة في ذاته ويعتمره الاسى حين يدرك ان احدا من الركاب لا يبالي بمبادلته التحية. يتأثر للامر وينقبض قلبه الصغير فيدمي قلوبنا جميعا ويثير قلقي ومخاوف زوجتي."

- فأنت يا سيد شوام تبغي ان تلطف شقاء الصبي، وذلك بان تستقل قطار الصباح وتلوح له.

"نعم، تماما."

- ستستقل قطار كورنباخ، اليس كذلك؟

"أجل."

استلقى شوام في سريره وشد الملاءة فوق رأسه وقد تضاربت افكاره فأرخى جفنيه وغاب في عالم الحلم.

وعندما استيقظ صباح اليوم التالي الفى نفسه وحيدا في الغرفة. ونظر الى ساعته فهاله ان قطار الصباح سيغادر المحطة بعد خمس دقائق، ولن يمكنه مهما فعل ان يلحق به.

بعد ظهر ذلك اليوم لم يسعه ان يمكث يوما آخر في البلدة. فعاد الى البيت مكسور الخاطر مخيب الرجاء.

قابله ابنه على الباب وملامح وجهه تشع سعادة وفرحا. ألقى بنفسه على ابيه واخذ يضرب كتفيه بقبضتيه الصغيرتين وهو يصيح:

"لقد لوح لي رجل اليوم! لوح طويلا حتى غيبته المسافة."

- بعكاز؟

"نعم، بعكاز. ثم ربط به منديله واخرجه من النافذة وبقي يلوح حتى توارى عن ناظري."

■ **سيغفريد لنز**

يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ — السنة السادسة (سلسلة جديدة)

المختار

مقالات وكتب مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

من يدري ان وراء عبقرية هذا الفنان "تخلفاً" عقلياً ونزعة انطوائية؟

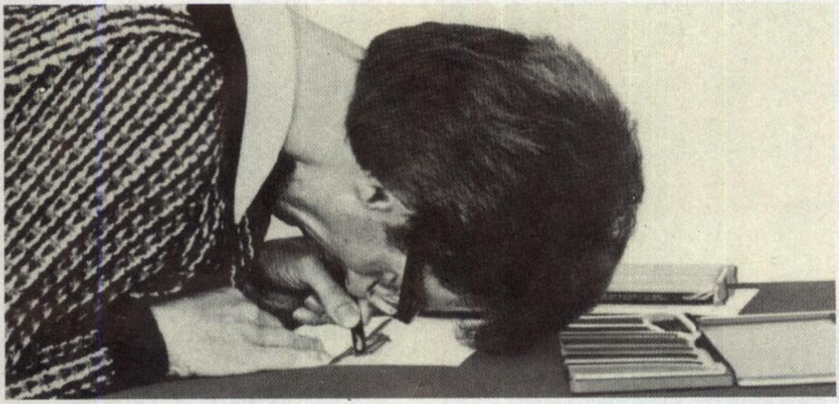

تيد فافرو ينظر باعجاب الى لوحة لابنه٠

ظاهرة تفوق الوصفُ

ا أعمال الرسام الاسكوتلندي ريتشار فافرو عُلقت في أكثر من مئة معرض في اوروبا وأمريكا الشمالية٠ وبيع منها ما يزيد على الف لوحة بأسعار تراوح بين مئة دولار وألفي دولار٠

وتجدر الاشارة الى أن فافرو، ذا البنية الجسدية الضئيلة والعينين الزرقاوين والشعر الكستنائي الشعث، المولود في ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٥٢، كفيف البصر من الناحية القانونية، وهو كذلك مصاب بداء السكر ومتخلف

Painting: Collection of Richard Pryor

عقليا. وبقي لا ينطق كلمة مفهومة حتى بلغ سنته الحادية عشرة.

وبعد سبعة أشهر من ولادته خضع ريتشارد لجراحة في عينيه الاثنتين بقصد مكافحة الزَّرَق، تلتها عمليات ثلاث فصلت بين إحداها والاخرى مدة ستة أشهر. وكان طفلا شديد الاهتياج، لا ينال من النوم سوى ثلاث ساعات يوميا. وكان يتنهد ويزعق ويهتز مضطربا على الدوام. وكان يزحف الى البيانو ويضرب المفتاح نفسه طوال ساعات. وفي هذا يقول والده تيد، المهندس المدني المتقاعد، "انه ضرب من اختبار العذاب الصيني القديم."

وفي نهاية السنة الاولى من عمره، كاد ريتشارد أن يقود امه اوليف الى حافة الانهيار. وقال لها زوجها آنذاك: عليك أن ترتاحي قليلا. وأنا أنصحك باستئناف التعليم، فيما نجد من يعتني بالصبي خلال النهار." ووجدا ضالتهما المنشودة في شخص امرأة رقيقة العواطف وقوية الصبر.

إلا أن والدي ريتشارد لم يستطيعا تحمل نوباته المسائية. وفكر تيد أحيانا كثيرة في إرسال ابنه الى مؤسسة مختصة، لكنه لم يفعل البتة. وكان ريتشارد رد في الثالثة عندما استنتج الاطباء أنه "في مرحلة من التخلف تقع بين الوسط وأسفل السلم،" وأن حاصل ذكائه يقف عند حدود الثلاثين. وكشفت تصرفاته عن شيء من الانطوائية، أي الانعزال عن العلاقات الاجتماعية. وطالما سمع تيد واوليف النصيحة الآتية من الاصدقاء: "أرسلاه الى مؤسسة. ففي هذا خير لكما وله."

Collection of Dr. and Mrs. T E Swate.

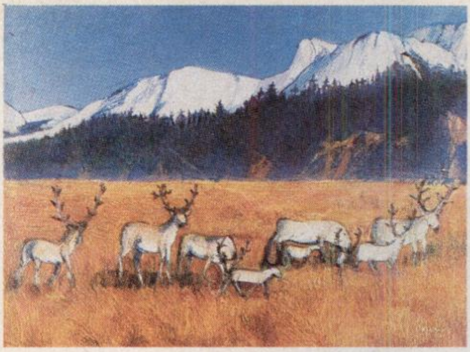

"غزلان الاسكا"، ١٩٨٢.

Artist's Collection

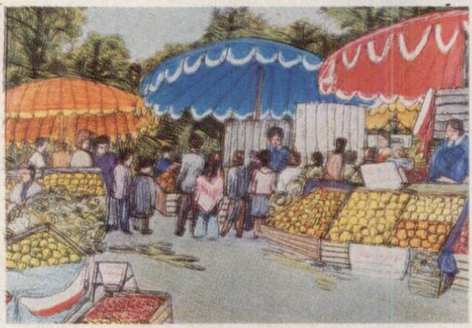

"السوق في كراكوف، بولونيا"، ١٩٧٤.

لوحة انطباعية - يقول تيد: "شبكتُ وزوجتي الايدي وقلنا ان أمرا كهذا قد يكون حسنا لسوانا، لكنه ليس هكذا بالنسبة الينا. فالصبي ولدنا، ونحن نحبه. وربما كانت عنايتنا ذات اثر في حاله."

وبعد سنوات ثلاث أنجبت اوليف ذكرا آخر سمي مايكل، وجاء مثال الصحة والعافية.

ولدى بلوغ ريتشارد السادسة، بات

Reproduction of all paintings courtesy
Dr Lawrence A Becker / Creative Learning Environments.

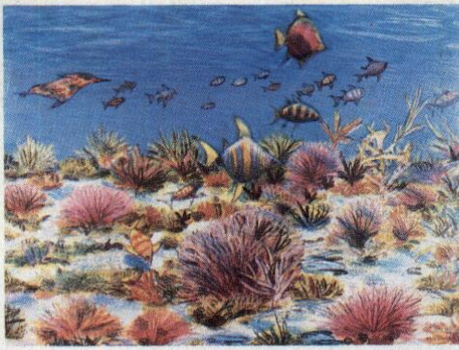

"الحياة البحرية قبالة الساحل الاوسترالي"، ١٩٨٣

Artist's Collection

"احتراق مكتبة جيمس ثين"، ١٩٧٢.

لا يرى إلا إذا وضع نظارتيه الكثيفتين ودنا كثيرا من الشيء الذي يود رؤيته. وعرضته امه على مولي ليشمان، وهي مدرسة وفنانة في مركز لتأهيل المعاقين نفسيا وعقليا بالقرب من مدينة ادنبره. وتتذكر ليشمان: "بدا العذاب واضحا على وجه ريتشارد. ورق قلبي للطفل ووالدته، ووعدتها بأن أبذل وسعي لمساعدتهما."

وخلق وجود الصبي مشكلة في المركز، إذ كان زعيقه يخترق آذان التلاميذ ويشتت أفكارهم. وكان أحيانا يقف صامتا وقد أسره منظر النور على قطعة أثاث براقة. ولم يكف عن غزل كل ما يراه أمامه من كرات واقلام وقنان، وحتى جسده بالذات. وتقول ليشمان: "راودتني فكرة نفض يدي من ريتشارد. إلا أن ثمة شيئا فيه جعلني أقاوم تلك الفكرة."

ذلك "الشيء" اكتشفته المعلمة عندما أعطت الصبي قلم رسم. وبعدما رفضه ورماه، أعادته الى يده وأعانته على حمله ورسمت خطوطا بارزة على ورقة بيضاء كانت ثبتتها على طاولته. وسرعان ما استوعب الفكرة واستحوذت الالوان عليه.

وتضيف ليشمان: "تقدمت يوما لأنظر الى خربشة أقلامه. وإذا بي أمام لوحة انطباعية لمنظر يبدو أنه شاهده من حافلة المدرسة. ولم أذكر الامر لاحد، ظنا أنه مصادفة محض. إلا أن الورقة التالية حملت رسما لا يقل عن سابقه، بل يظهر افتتان ريتشارد بالضوء واللون والحركة. وأخيرا حملت بعض رسومه الى زوجي الفنان من غير أن أذكر له شيئا عن عاهة الصبي. فقال ان صاحب تلك اللوحات يتمتع بموهبة عظيمة تفوق سنه."

دافع على البكاء ـ تلك كانت فاتحة عالم من السلام والامتلاء في حياة ريتشارد، علما أن نوباته العصبية ونزعته الانطوائية بقيت حيث هي.

ومن غير نصيحة أحد، بدأ ريتشارد يتقن فنه ويستخدمه أداة للتعبير عن

"كورس الكلية الملكية"، ١٩٧٤.

ذاته. وكان في الثانية عشرة عندما اكتشفه ماريان سيسكو، مؤسس المدرسة الولونية للفن في لندن، لدى زيارته ادنبره. وصعق الرجل لعبقرية الفتى، وقال ان رسومه "ظاهرة تفوق الوصف،" وانها تزاوج بين "دقة العامل الآلي ورؤيا الشاعر."

ولدى عرض لوحاته للمرة الاولى، كان ريتشارد في السابعة عشرة. وقد كرس صاحب صالة مرموقة في ادنبره قاعة كاملة من مؤسسته لتعليق عشرين لوحة من أعمال ريتشارد على جدرانها. ويقول والد ريتشارد: "حين رأيت اللوحات معلقة هناك لم أصدق عيني. وفي ليلة الافتتاح هرع ريتشارد إلي، قائلا: "يا أبي، لقد بيعت لوحة." وقد دفع أحد الزوار ١٦ جنيها ثمنا لتلك اللوحة التي أنجزها ابني المتخلف عقليا. وأحسست ما يدفعني على البكاء. وما كاد المعرض ان ينتهي حتى بيعت ثماني لوحات من أعمال ريتشارد."

والفتى يعتمد مصادر وحي متنوعة. فهو أحيانا يرسم ما رآه بعينيه الضعيفتين أو عبر منظار وهو في نزهاته مع أبيه وأخيه، علما أن امه قضت بالسرطان عام ١٩٧٩. وأحيانا اخرى يصور على الورق منظر بلدة

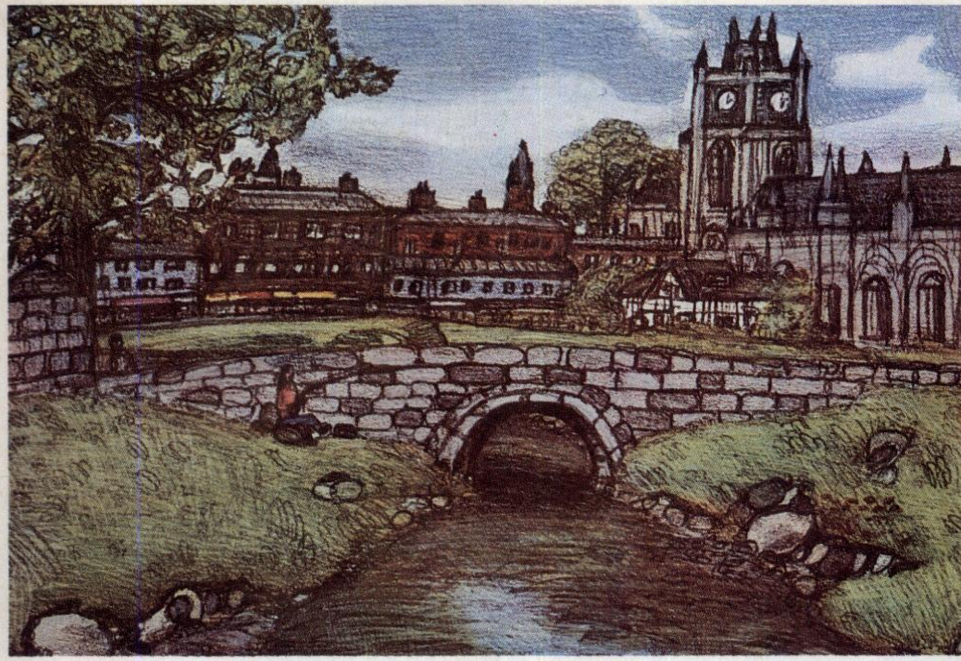

"قرية انكليزية"، ١٩٧٤.

رآها من نافذة سيارة أو سلسلة جبال لاحت له وهو يحلق بطائرة. ومن مصادره الاخرى برامج التلفزيون والكتب والمجلات التي يحملق فيها عن كثب لكي يراها جيدا.

ومثله مثل العديد من الانطوائيين، يبدو أن ريتشارد لا ينسى شيئا. ويقول لورنس بيكر وهو مستشار تربوي من اوستن في ولاية تكساس الامريكية أنجز شريطا وثائقيا عن ريتشارد: "إن ذهنه يشبه مكنسة كهربائية، تمتص كل ما يأتي في طريقها. وهكذا يبقى كل شيء في عقله حتى يحين وقت استعماله."

ولقد وقفت معجبا قبل مدة قصيرة أمام لوحة رسمها فافرو، تمثل ساحة سوق زاهية الالوان في مدينة كراكوف البولونية، لبث فيها ريتشارد ربع ساعة فقط في صحبة امه.

ولما سألته عن تاريخ زيارته قال ببطء وبصوت أجش: "في ٢٨ يوليو (تموز) ١٩٧٤."

– ومتى أنجزت الرسم؟

"في نهاية سبتمبر (أيلول)."

خيال واسع – إن ريتشارد لا ينسخ ما يراه. والواقع أن كلا من لوحاته تنقل افكاره ومشاعره واخيلته. وربما

Paintings: Artist's Collection

ظاهرة المتخلف - الموهوب

في رأي عالم النفس ا٠لويس هول من معهد نيويورك للابحاث في معوقات النمو، أن واحداً من كل ألفي متخلف يتمتع بموهبة خارقة من نوع معين. وقد درجت العادة على اطلاق اسم "العارف المغفل" على هذا الصنف من الناس. وهي تسمية لا يقرها علماء النفس اجمالا. وعلى رغم أن اولئك المتخلفين ـ الموهوبين قد يعجزون عن المضي في محادثة بسيطة، فانهم يظهرون تفوقاً في نطاق أو آخر قد لا يجاريه انجاز أكثر الاشخاص ذكاء في المضمار ذاته (★).

ومن الامثلة على هذا أن توأمين متخلفين أدهشا خبراء معهد نيويورك للطب النفسي في الستينات بقدرتهما على اجراء حسابات تقويمية دقيقة. فاذا سئلا، مثلا، في أي الاشهر والسنوات من هذا القرن صادف أو سيصادف الحادي والعشرون يوم خميس، تمكنا من الاجابة الصحيحة على الفور. ولا بد من لجوئهما الى عملية حسابية معقدة للحصول على الجواب، علماً أنهما يعجزان عن حل بعض أبسط المسائل الحسابية.

ويخبر برنارد ريملاند، مدير معهد الابحاث السلوكية للاطفال في سان دييغو (كاليفورنيا) والحجة العالمية في امكانات المتخلفين ـ الموهوبين، عن صبي متخلف عقلياً لكنه متعدد المهارات. ففي امكانه العثور ذهنياً على الجذر التربيعي لأي رقم، وعزف أي قطعة موسيقية سمعها على البيانو، وتأليف الاغاني.

ولقد عجز العلماء عن تفسير هذه الظواهر. ويقول ريملاند ان معظم العارفين انطوائيون. وثمة نظريات تشير الى أن مواهبهم قد يمكن تفسيرها بنشوء بعض الخلايا العصبية في الدماغ. ويعزو آخرون تلك المواهب الى مبدأ توزيع العمل بين نصفي الدماغ. فالتخلف في أحد النصفين قد يقابله نمو مضاعف في النصف الآخر.

ويعتقد ريملاند أن سر موهبة اولئك الاولاد هو قابليتهم على التركيز. "ففي امكانهم، بفضل عاهتهم العقلية، اغلاق منافذ التشتت الذهني الذي نتعرض له جميعاً، وتركيز جهدهم الكلي على ما يفعلونه. ويمكن تشبيه عقل المتخلف ـ الموهوب بدماغ الكتروني أو شريط تسجيل أو آلة تصوير. فهذا الجهاز يلتقط تفاصيل الصورة أو الاغنية او العملية الحسابية، ثم يكررها أو يعيد تنظيمها بأمانة مذهلة."

وليم شميدت، صحيفة "نيويورك تايمس"

★ ملاحظة: راجع "الحب صانع المعجزات" في عدد يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣ من "المختار".

صور مرفأ سفن كما يبدو له من مستوى العين، أو ربما صوره وهو على قمة تلة. ولا تخلو أي من لوحاته من مصدر نور، سواء أكان الشمس المشرقة وهي تبعث أشعتها الى الارض عبر الاثير أم ألسنة النار تأتي على مكتبة أحبها.

وهو يستهل عمل الرسم في البيت إما جالسا وإما واقفا أمام طاولة بالقرب من نافذة. ويروقه الاصغاء الى الموسيقى الكلاسيكية خلال عمله. وينتقي لنفسه نحو ستة أقلام مختلفة الالوان، ويخفض رأسه ليدنو ٢٠ أو ١٥ سنتيمترا من الورقة. ويأخذ قلما

ويباشر رسم صورة أنجزها قبلا في ذهنه، كأنه يعلم علم اليقين كيف سيبدو ذلك الرسم على الورقة التي يبلغ طولها ٦٠ سنتيمترا وعرضها ٤٥ سنتيمترا.

وتستغرق كل من لوحات ريتشارد وقتا يراوح بين بضع ساعات وأربعة أيام. وفي تلك الاثناء تغدو اللوحة حياته ويتوقف الزمن عن الدوران بالنسبة إليه. وينصب ذهنه كليا على اللوحة حتى وهو نائم. وأحيانا ينهض في الثالثة فجرا ويتسلل الى المطبخ للعمل.

وكلما عبر مشاهد عن إعجابه باحدى اللوحات، أشرق وجه ريتشارد ابتساما، وربما مد يديه الى المعجبين علامة تقدير وفرح. وكالانطوائيين عموما، يجد ريتشارد صعوبة في التعبير عن أفكاره ومشاعره. إلا أنه أحيانا يستطيع تخطي ذلك الحاجز. وهو يقول: "لكم هو جميل أن يكون المرء سعيدا. وإني أجد سعادتي عندما أخلق شعورا حسنا لدى الآخرين... وهو شعور لا تخونني عيناي في إدراكه."

■ **جوزف بلانك**

بلا لف ودوران

قبل سنوات فتحت مشغلا صغيراً في منزلي لصنع أدوات الزينة، ومنها تماثيل الحيوانات الصغيرة المزخرفة. ومما اقتضاه عملي انزال كل تمثال في محلول حليبي لختم الجص.

وكنت افعل ذلك يوماً حين طرق بابي بائع متجول. وبعد اصغائي الى ترغيباته التجارية وقتاً بدا لي دهراً، رن جرس المنبه في مشغلي. ووجدت فيذلك فرصة سانحة لصرف البائع، فقلت له: "اعذرني يا سيدي، فان علي حلب البقرة في الساحة الخلفية." وقال وهو يغادر: "كان يكفي أن تقولي "لا" في البداية."

غ.ي.

آيزنهاور عند "تيفاني"

دخل رئيس الولايات المتحدة الأسبق دوايت ديفيد آيزنهاور محل "تيفاني" الشهير للمجوهرات لشراء هدية لزوجته مامي. وبعد اختياره هدية سأل مدير المؤسسة آنذاك ولتر هوفينغ: "أيحصل رئيس البلاد على حسم من محل تيفاني؟"

وبعد تفكير قليل أجاب هوفينغ: "المعذرة، سيدي الرئيس، لكننا لم نعامل ابرهام لينكولن معاملة خاصة."

ر.د.

أطلق جارنا على كلبه اسم "مرّتين." ولما سئل عن السبب، قال: "انه لا يأتي اليك اذا دعوته مرة."

ا.د.

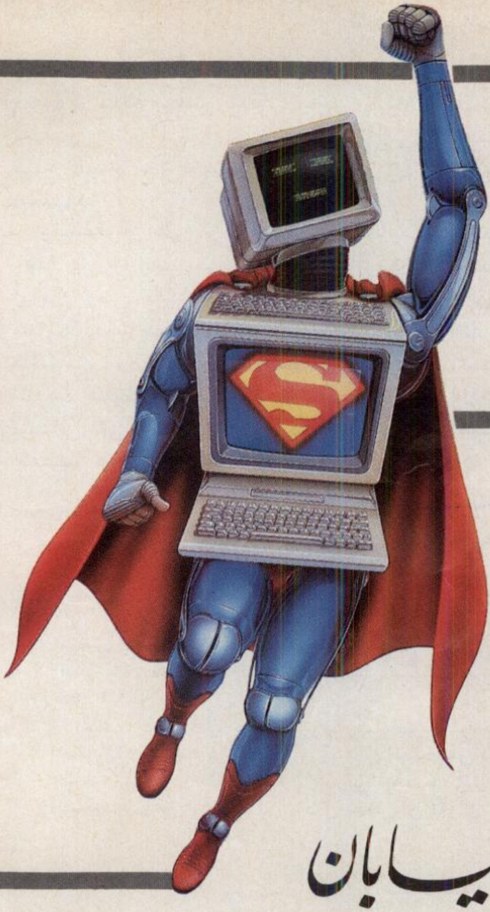

بعد سباق السيارات تخوض اليابان والولايات المتحدة سباقاً في صناعة ادمغة الكترونية "مفكرة" قد تكون لها السيطرة على عالم المستقبل

الدماغ الإلكتروني «المفكِّر» بين أمريكا واليابان

ذات يوم من العام ١٩٨١ تلقى مايكل درتوزوس مدير مختبر المعلوماتية في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا دراسة من زميل له عاد لتوه من اليابان. حددت هذه الدراسة الخطوط العريضة للاقتراحات اليابانية لصنع ادمغة الكترونية ثورية تتصف بالذكاء الاصطناعي وادمغة متفوقة تعمل بسرعة تزيد بمئة الى الف ضعف على سرعة الآلات المتوافرة حالياً. واحس درتوزوس في الوثيقة شيئاً مألوفاً لديه. ويتذكر ذلك قائلا: "تملكني الهلع وقلت: يا الهي! انه البرنامج المعد لمختبري. لقد سرقه اولئك الاوغاد."

في الواقع لم يأخذ اليابانيون سوى المبادرة، ومع ذلك أدرك درتوزوس

Condensed from Newsweek (July 4, '83), (c) 1983 by Newsweek, Inc., New York, N.Y. Illustration by Jeffrey Mangiat. The Superman S in the Shield is a trademrk of D.C. Comics, Inc., (c) 1944. Used with permission.

للحال الخطر الداهم. فالخطة اليابانية كانت تصميماً للابحاث والهندسة الضرورية للقفز فوق صناعة الادمغة الالكترونية الامريكية وانهاء تفوقها العالمي. والأسوأ من ذلك انه على رغم ان الجامعات الامريكية هي التي وضعت الابحاث الاساسية التي ستعتمدها اليابان، فان فريقاً كبيراً من العاملين في حقل الادمغة الالكترونية الامريكية لا يزال غير مدرك خطورة الوضع.

واليوم ارتسمت خطوط الصراع. فالولايات المتحدة بدأت تتأهب متسلحة بالتزامات مالية جديدة وقوى عاملة للامساك بزمام التقنيات المتقدمة التي ستسيطر على صناعة الادمغة الالكترونية في اواخر الثمانينات وفي التسعينات من هذا القرن. وهذا الامر ليس مجرد تنافس على صناعة، بل ان اقتصادات كبرى برمتها سيتقرر مصيرها في ضوء التغيرات المقبلة في مجال تطوير وسائل المعلوماتية. فالادمغة الفائقة السرعة تستخدم الآن تجارياً في مجالات تصميم الطائرات والتنقيب عن النفط والمعادن وتوقع الاحوال الجوية وتصميم دارات الادمغة الالكترونية نفسها. وهذه كلها تتطلب مقادير هائلة من الاحتساب. ويمكن استخدام الادمغة الالكترونية الفائقة السرعة في صناعة السيارات وبناء السفن كما في هندسة الجينات الوراثية والتكهنات الاقتصادية.

ووكالة الامن القومي في الولايات المتحدة التي تتمتع بأعلى درجات السرية هي احدى الجهات التي تستخدم الادمغة الالكترونية المتفوقة على نحو متزايد. وتقوم عليها كذلك اسلحة اللايزر التي تخطط وزارة الدفاع الامريكية لوضعها في قواعد فضائية. ويحذر درتوزوس قائلا: "ان هذا الهجوم هو أخطر كثيراً على مستقبلنا من السيارات اليابانية. لان الدماغ الالكتروني سيكون في أساس كل تبدل رئيسي في المستقبل. ومن يسيطر على ثورة المعلوماتية ستكون له سيطرة سياسية وجغرافية متزايدة."

من الرابح؟ — لا تزال الولايات المتحدة هي المسيطرة على التقنيات المتقدمة في صناعة الادمغة الالكترونية. فالادمغة المتفوقة كلها في هذه الايام من صنع امريكي. وثمة ٨٤ منها في الخدمة الآن، بعضها يتضمن اكثر من ٢٠٠ الف رقاقة سيليكون ويملك القدرة على انجاز بضع مئات الملايين من العمليات في الثانية.

مع ذلك يرجو علماء الادمغة الالكترونية ان يتمكنوا قبل نهاية هذا القرن من تطوير آلات لا يقتصر عملها على اختصار "الارقام"، بل تظهر ذكاء اصطناعياً ايضاً. اي انها ادمغة الكترونية قادرة على التفكير وتحليل المسائل مثل البشر وتفهم المعلومات التي تتلقاها من طريق الرؤية أو المخاطبة او الحركة.

السؤال الآن هو: علماء اي دولة سيحققون ذلك الانجاز قبل سواهم؟

أعلن اليابانيون خطة ذات شقين: المشروع الاول، وقد ارصد له ٢٠٠

مليون دولار، هو مشروع ثماني سنوات للدماغ الالكتروني الوطني ذي السرعة الخارقة، ويهدف الى انتاج آلات أسرع بمئة الى الف مرة من الادمغة الامريكية المتفوقة العاملة في الوقت الحاضر. اما المشروع الآخر فقد ارصد له ٥٠٠ مليون دولار وهو مشروع العشر السنين لانتاج الجيل الخامس من الادمغة الالكترونية الذي يركز على الذكاء الاصطناعي. وكلا المشروعين تواجههما جهود امريكية.

وفي الولايات المتحدة حالياً ثلاثة مشاريع في طور الانطلاق:

شركة تكنولوجيا الالكترونيات المصغرة والادمغة الالكترونية. عام ١٩٨٢ وضعت ١٢ شركة من كبرى الشركات الامريكية، وبينها "هانيويل" و"موتورولا" و"آر.سي.آي." و"كونترول داتا"، خطة مشتركة لضم مواردها وتقاسم التكاليف لانجاز الابحاث الطويلة الاجل. وجاء هذا خروجاً جزئياً على النهج المتبع في مجال البحث العلمي في الولايات المتحدة، لان الخطة تحاكي الاسلوب الياباني. فالشركات المؤتلفة ستقرض هذه المؤسسة المشتركة ما لديها من علماء وبحاثة، كما سيوفر اصحابها الاموال اللازمة لاجراء البحث العلمي في مقابل اعطائهم حق الافادة من نتائج الابحاث. ولا يمكن الحدس الآن بنجاح هذه الخطة او اخفاقها. فالشركات المؤتلفة في المؤسسة المشتركة تزاحم بعضها بعضاً في السوق السريعة التقلب، والمسؤولون فيها يحرصون عادة على اخفاء اي تقدم تقني يحرزونه عن منافسيهم. وقد احجمت شركات امريكية عدة عن المشاركة في هذه الخطة. وقيل ان شركة "آي.بي.أم." وهي القوة الكبرى في هذه السوق استنكفت من المشاركة خوفاً من قانون حظر الاحتكار.

وستكون للمؤسسة المشتركة موازنة سنوية تبلغ ٧٥ مليون دولار وقوة عاملة من ٢٥٠ شخصاً. ومن اكثر مراميها طموحاً برنامج من عشر سنين يهدف الى تحقيق انجازات خارقة في هندسة الدماغ الالكتروني وبرامجه والذكاء الاصطناعي. وستملك المؤسسة المشتركة جميع الاجازات والبراءات المتعلقة باي تقنية تطورها. اما التصنيع والتسويق فيبقيان من شؤون الشركات المؤتلفة التي ترعى المشروع. وستحتفظ هذه بالحقوق الحصرية لمدة ثلاث سنوات قبل ان يسمح للشركات الاخرى بشراء اجازات استثمار.

شركة ابحاث المواد شبه الموصلة. خلال السنوات الثلاث المنصرمة استولت اليابان على جزء حيوي من صناعة المواد شبه الموصلة في العالم هو سوق الـ"٦٤ كرام" (ذاكرة التوصل العشوائي) وهي تقنية ابدعتها الولايات المتحدة. ومن اجل مواجهة هذا التحدي عمدت ١٣ شركة امريكية، وبينها "كونترول داتا" و"شركة الاجهزة الرقمية" و"هيوليت - باكارد" و"آي.بي.أم." و"انتل" و"موتورولا"، الى ضم جهودها عام

١٩٨٢ لتشكيل ائتلاف لاربحي لتقاسم تكاليف ابحاث الرقائق الالكترونية وتطويرها. وعلى نقيض المؤسسة المشتركة لا يجري هذا الائتلاف ابحاثه بنفسه، بل يرعى الابحاث التي تجرى في الجامعات. وقد انفق ٨،٢ ملايين دولار عام ١٩٨٣ وخصص ١٥ مليوناً بالسنة ١٩٨٤.

وكالة مشاريع ابحاث الدفاع المتقدمة. هذه الوكالة تدريها وزارة الدفاع الامريكية وهي اكثر من اي وكالة اخرى في العالم مسؤولة عن توجه المعلوماتية في هذه الايام، كذلك عن تقنيات اخرى كثيرة هي الآن واسعة الانتشار تجارياً. وأول دماغ الكتروني متفوق صنع عام ١٩٦٤ كان من انتاجها. كذلك الشبكات المتآلفة لنقل المعلومات وبيانات الادمغة الالكترونية في الآلات المكتبية الصغيرة التي توضع فوق المكاتب وفي العاب الفيديو وأجهزة القيادة في الطائرات المقاتلة "ف - ١٦". كل هذه جاءت من اختراعات تحققت برعاية هذه الوكالة.

الاولوية التالية للوكالة والتي من اجلها تسعى الى الحصول على مليار دولار في السنوات السبع المقبلة من الكونغرس (البرلمان) الامريكي، هي زخم جديد لتطوير الادمغة الالكترونية المتفوقة وتقنيات الذكاء الاصطناعي. وحالما يتم صنع هذه الآلات يغدو من الممكن انتاج جيل جديد مدهش من الاسلحة والمعدات العسكرية ومن بينها "أسلحة الانسان الآلي" كطائرات من دون طيار وغواصات غير مأهولة وسيارات تجري من تلقائها، تجمع بين الذكاء الاصطناعي والادمغة الالكترونية العالية القدرة التي يمكن ان توكل اليها مهمات يتعرض الانسان فيها للخطر. ويمكن استخدام آلة الذكاء الاصطناعي كمستشار في ميادين القتال، كما يمكن الادمغة الالكترونية الفائقة الذكاء ان تنسق بين اجهزة أسلحة معقدة.

الموجة الكبرى - في حين تحفز حاجات الامن الوطني تقدم تقنيات الادمغة الالكترونية المتفوقة، ثمة ايضاً سوق متنامية للاستعمالات التجارية. وتقنية الدماغ الالكتروني تستخدم الآن لانتاج الاعلانات التجارية في التلفزيون وألعاب الفيديو، كذلك في خلق تأثيرات خاصةفي الافلام السينمائية الفضائية.

ان اعمق التغيرات التي ستنجم عن التقنيات الجديدة ستكون تطوير ادمغة الكترونية تحاكي تفكير الانسان. ويعمل العلماء اليوم في صنع ما يسمونه "الاجهزة ذات الخبرة" التي تحاكي خبرات الانسان في مجالات محددة. فعلى سبيل المثال صنعت شركة "تكنوليدج" في بالو آلتو (كاليفورنيا) لحساب شركة النفط الفرنسية "الف آكيتان" جهاز خبرة يمدها بالمشورة حول اكثر المشاكل الفنية كلفة في تلك الصناعة، اي ما يجدر فعله مثلا حين يعلق رأس الحفارة على عمق ألف متر تحت سطح الارض.

من اجل صنع هذا الجهاز اجتمع

مهندسو شركة "تكنوليدج" بالمسؤول الاعلى عن الاصلاحات في شركة "اكيتان" ويدعى جاك - ماري كورتاي. بعد ذلك برمجوا اجوبته وألقموها دماغاً ألكترونياً. والبرنامج ليس سوى نسخة طبق الاصل عن خبرة كورتاي في هذا المجال. يطرح الدماغ الالكتروني اسئلة على رئيس فريق العمل في برج الحفر، تماماً كما يفعل كورتاي، ثم يقدم توصياته من طريق بيانات على شاشة ضوئية، ويعطي اقتراحات حول طريقة استخراج رأس الحفارة العالق. ونظراً الى تكاليف الحفر اليومية الباهظة فان شركة "الف - آكيتان" تسترد كلفة تطوير البرنامج بعد استخدامه بضع مرات.

وتعد شركة "جنرال الكتريك" برنامجاً يقدم مشورة في اصلاح القاطرات. كما ترغب وزارة الدفاع الامريكية في وضع برامج ذكاء اصطناعي تخدم كمساعد طيار في قمرة القيادة. كذلك سيتسنى لوسطاء الاسهم المالية وعملاء شركات التأمين الحصول على اي عون يطلبونه. ويتوقع مصممو برامج الادمغة الالكترونية الشخصية هجوم الذكاء الاصطناعي في موجة عارمة تكتسح السوق.

الاسلحة العجيبة - اذهل الانسان دائماً وارعبه احتمال ابداع آلات ذات قدرة على التفكير. ويقول هربرت سيمون استاذ المعلوماتية وعلم النفس في جامعة بتسبرغ في بنسلفانيا والحائز جائزة نوبل: "لا أرى حدوداً لقدرات الذكاء الاصطناعي. فكل مستلزمات الذكاء البشري متوافرة له. الآلات يمكنها الآن ان تفكر كالناس في مجال محدود."

ولكن ثمة مجالات واسعة في التفكير الانساني، كالارادة والانفعال والحس الاجتماعي، لا تزال بعيدة عن خبرات الادمغة الالكترونية. كما لا يزال العلماء بعيدين عن هدفهم النهائي، وهو دماغ الكتروني مشابه للدماغ البشري.

ومع ذلك فان التسابق على صنع الادمغة الالكترونية الفائقة الذكاء خليق بأن يرفع هذه التقنية الى مستويات عالية جديدة. وقد حث التحدي الياباني الولايات المتحدة على العمل. ويقول درتوزوس: "اذا استيقظنا من غفلتنا، فسنقهرهم بسهولة."

لا يعرف أحد الى أين سيؤدي هذا التنافس. ولكن اذا نجح هؤلاء المخططون في احداث ثورة في الادمغة الالكترونية، فان أسلحة "حروب النجوم" لن تكون بعيدة المنال.

■ عن "نيوزويك"

ذكاء آلي

"ما الذي يجعلك تظن أن هذا أعظم دماغ الكتروني تم ابتكاره؟"
- انه يضحك كلما لقمته أسئلة غبية.

صحيفة "دير شتيرن"، المانيا

لئن يكن انهيار الزواج امراً مؤسفاً، الا انه
لا يجوز ان يكون النهاية

الحياة بعد الطلاق

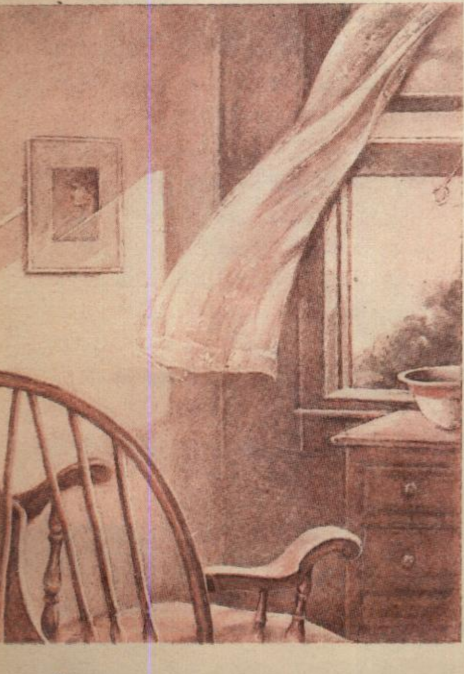

صباح ذلك السبت الشتوي أشعلنا النار في الموقد ونظر واحدنا طويلا الى الآخر، ثم دعونا أولادنا الى اجتماع عائلي. وجلسوا، وهم آنذاك في العشرين والتاسعة عشرة والخامسة عشرة، يستمعون الينا وقد وجه كل منهم أفكاره الى مكان آخر. ولكن ما أن شعورا بالخطر حتى ران صمت عميق على الغرفة. واذ ذاك ضبطنا أعصابنا، والدهم وأنا، لنذيع عليهم خبرا لم يتوقعوه البتة، وهو أننا عقدنا العزم على الطلاق.

وجمدت لوري وأخوها بوب واحتجا معا بعبارة "لا" جازمة. أما أصغر أولادنا، كريس فقال "لا" هو الآخر وأسرع نحو الدرج وهو يشهق ويبكي. وجاء صوت صراخه من الطبقة الثانية: "الطلاق أسوأ كلمة في اللغة."

وإذا سألت أحدا من عائلتنا عن

أقسى تجاربه حتى ذلك الحين، لأجابك أنها تلك اللحظة بالذات. والوقاع اني وزوجي لم نتخذ ذلك القرار على أثر خصومة أو جدل. لكن كلا منا عاش انفصاله وتعاسته وقتا طويلا من غير كلام. وأمضينا السنتين الأخيرتين ونحن نتكلم ونحاول أن نجد حلا، علما أن أيا منا لا يؤمن بالطلاق. إلا أن وقتا جاء أدركنا أن الطلاق سبيلنا الوحيد الى الخلاص، من أجلنا نحن الاثنين ومن أجل أولادنا أيضا.

وكان كل قرار نتخذه في ذلك الشأن ينطوي على انفعالات جمة، ورائدنا تأمين جو مريح لدراسة أولادنا، علما أن اثنين منهم في الجامعة والثالث في المدرسة الثانوية. واتفقنا على أن يبقى زوجي في البيت لرعايتهم وتأمين النفقات، وأعتمد أنا على ما يأتيني من نشر قصصي الواقعية. كما اتفقنا على أن أعيش قريبا لتأدية دوري في رعاية الأولاد.

غير اني وجدت التنفيذ عسيرا جدا. فمنذ طفولتي وأنا اوجه أفكاري شطر الحياة البيتية العائلية. وكلما تناولت القلم لأكتب، كان البيت موضوعا لمقالاتي. فكيف لي أن أتعزى إذا أنا غادرت العش؟ ترى ما الذي أكتب عنه، وكيف أعيش؟ وكيف لي أن اؤدي واجبات الامومة؟

على العتبة ـ حكم اتهامي قرأته في أعين أولادي الثلاثة: الامهات لا يغادرن البيت! لكني منحتهم وعدا: "سأبقى امكم على الدوام. وان هذا الحل هو لأجلنا جميعا... اني احبكم، ولسوف تعرفون ذلك." ووقفوا يحدقون إلي كأني خنتهم أو حرمتهم شيئا، ثم أشاحوا بأنظارهم عني وأطبق على المنزل صمت رهيب.

ووجدت شقة صغيرة في القرية المجاورة. وفي اليوم المحدد لانتقالي إليها كان زوجي غائبا في رحلة عمل. وخرج الاولاد من المنزل قبل طلوع النهار وهم يرفضون أن يكونوا شهودا على تركي إياهم. وأخذني الارتجاف والبكاء وأنا أقف على العتبة لحظة خلتها دهرا قبل ذهابي.

وعدت الى المنزل عند الغسق مع عودة أولادي. وفتح أحدهم الباب وهو يبكي، ولم يكن لديه ما يقوله لي.

وكان ذلك في شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٢... نهاية وبداية.

لقد تم زواجنا عام ١٩٥٠، في مرحلة مثالية من هذا العصر. وكان زوجي شابا نشطا رائق الطباع. وتقبل كل منا دوره كما تلقاه: هو للسيادة والعمل خارجا وتأمين العيش، وأنا لتلبية رغباته وتربية الاطفال.

وما هو إلا وقت حتى غدونا أسيرين لهذه الادوار. وكان أن كوَّن كل منا اهتماماته بعيدا عن الآخر. ولكن على رغم ذلك كانت لنا أوقات رائعة معا. وكان أهم نشاطاتنا الكلام. غير أننا لم نتطرق البتة الى المسائل المهمة. اسوة بالذين نعرفهم. وكنا نواجه الخيبة بالسخرية ونتصدى للتعاسة بنصيحة جاءتنا من كل حدب وصوب، وهي أن على المرء أن يحاول أكثر وأن يستر تعاسته بقناع السعادة.

وفي العام ١٩٦٠ انتقلنا الى الريف. هناك أتت علي وحشة مؤذية حيث لم تكن لي سيارة ولا أصدقاء ولا موارد. وكانت رغبات زوجي مختلفة عن رغباتي الى الحد الذي غرّبني عنه سنة بعد سنة. وبات أولادي لا يكترثون لنصائحي، مما أقصاني عن البيت أكثر فأكثر. وتملكتني نزعتان متناقضتان: فأنا، من ناحية، احب الحياة العائلية والعمل البيتي. لكني، من ناحية اخرى، وجدت أن صوتي ليس مسموعا في ذلك المنزل.

اختيارات شخصية - إذ ذاك باشرت الكتابة، دونما اكتراث لمبدأ توزيع الادوار التقليدي. وجاءت الكلمات تعبيرا عن كل الفرح والحنان الذي تختزنه نفسي والذي رفضَتْه خاصتي. ورحت أكتب كما لو شئت أن أقول لهم: "انظروا! ها أنذا بينكم! إني افكر وأشعر وأحتاج...اني موجودة."

إلا أن جمهوري الاشد إدراكا وجدته خارج المنزل، لا داخله. وظللت أطمح الى الامر الآخر ولا أناله، حتى لجأت أخيرا الى استشارة ذوي الاختصاص. وتبين لي بعد وقت أن في إمكاني أن احقق ذاتي وأكون نفسي. وهكذا عدت الى عائلتي وأنا أشعر بالقوة والسعادة.

ولكن يبدو أن العائلة من أشد المؤسسات الاجتماعية لصوقا بالعادات. وهكذا كان نصيب التبدل الذي طرأ على حياتي المقاومة العائلية. وحاولت وزوجي عبثا اكتشاف طرائف من شأنها إعانتنا على تعديل الادوار التي اقتدى بها كل منا طوال ٢٢ سنة من الحياة الزوجية.

في اليوم الاول من حياتي الجديدة حصل أمر غريب بيَّن أن مخاوفي لم تكن في محلها. فقد قمت في العصر أتفقد شقتي لتفاجئني السكينة في زواياها جميعا. فهنا صحون امي نظيفة على الرفوف، وهناك رسوم أولادي، وفي ركن آخر كرسي هزاز سلطت الشمس ضوءها على بعضه، وها هو الستار يتحرك قليلا مع الهواء.

وسمرتني تلك السكينة في مكاني بعدما أدركت أنها تنتمي إلي شخصيا لأنها من صنعي. وفرحت كثيرا لمعرفتي ذلك...لقد عشت أيامي السابقة وفقا لاختيارات الآخرين. وأنا اريد اليوم أن أبقى امرأة فاضلة، ولكن وفقا لاختياراتي.

واستمرت سعادتي في الايام اللاحقة على رغم الدموع التي ذرفتها لما فقدته عبر الطلاق. وكان الاولاد يشغلون أفكاري معظم الوقت، وأنا أتمنى لهم أن يكبروا بالحب وفي الحب.

وذات يوم سمعتُ وقع خطاهم على السلم وقد جاؤوا معا ليروا كيف أعيش. وإذ وجدوني سعيدة ومبتهجة بزيارتهم، تقدموا إلي أكثر. وقالت لوري: "يا له من مكان هادىء." وأضاف كريس بكآبة: "انه يشبهك." ووجدت تعليقه من الصحة بحيث رقص قلبي في داخلي.

ورأيت بوب يرفع وعاء أحببته. وراح يتفحصه بتؤدة ليتأكد أنه ذلك

الوعاء نفسه. ثم أعاده بعناية الى مكانه ونظر مباشرة الى عيني وهو يبتسم، وكأنما شاء أن يعبر عن اكتشافه، لحسن الحظ، أن امه لا تدع ما تحبه جانبا.

وفي اللحظة نفسها اكتشفت بدوري شيئا، وهو أن أولادي الثلاثة علّقوا حكمهم علي، علهم يكشفون الحقيقة من زاويتها الصحيحة. وضممت كلا منهم إلي، وأحسستُ للمرة الاولى منذ زمن أنهم لا يبتعدون عني.

أمل جديد ـ أمضيت الايام القليلة التالية وسط شعور من الحب والدهشة، افكر في أولادي وفي زيارتهم التفقدية. وأدركت إذ ذاك معنى اللين المفاجىء الذي أظهروه جميعا نحوي: إنهم لم يكتشفوا حضوري في حياتهم إلا بعد تركي إياهم.

وأتبعوا زيارتهم تلك الاولى بزيارات كثيرة ما لبثت أن تجاوزت مفهوم الزيارة التقليدي. فباتوا يأتون كمن يأوي الى بيته، ونقطع معا شوارع القرية ومنعطفاتها عائدين بما اشتريناه من محلاتها. وكانوا يعبرون عن التذاذهم بطعام امهم، ثم يتبارون على غسل الاواني بعد الاكل.

وما برح الاولاد يدرسون الجوانب التي خفيت عليهم مني. وظلوا يتبعونني بنظراتهم أينما ذهبت، وهم لا ينفكون عن طرح الاسئلة: ترى ما سر السعادة التي استيقظت فيّ؟ أتراهم جزءا من سعادتي؟ إذا كان الطلاق تجربة انكسار، فما الذي نفعله بالاجزاء المتكسرة؟

ورحنا نتحدث من غير أن نتطرق كثيرا الى المسائل الكبيرة. لكن كلا منا سر بكوننا معا من وقت الى آخر. وكلما ضممت أحد أولادي الي، أحسستني أحلق الى السموات العلى، حيث أنظر دوني فأرى مشاهد تجل عن الوصف.

إنه الأمل يشع حولنا ويشيع.

وفي حين يخيب الطلاق آمالا كثيرة، وربما حطم الأمل كله، فان ثمة أنواعا من الطلاق تترك مجالا لبعض الآمال.

وبعدما عجزتُ وزوجي عن حل مشكلاتنا بمفردنا سعينا الى نصح المختصين. وذلك أعان كلا منا على تأكيد ثقته بنفسه وبكونه فردا صالحا، وإن تكن العلاقة في ما بيننا غير سعيدة. لقد حلمنا معا ذات يوم، وفي إمكاننا اليوم أن نبكي أسفا على موت ذلك الحلم. لكن المهم أننا استطعنا تدبر أمر طلاقنا بحكمة، حتى توصلنا الى اتفاق مدروس لمصلحتنا نحن الاثنين ومصلحة أولادنا الثلاثة. وهنا بعض نقاطه:

لقد اتخذنا تدابير عملية بالنسبة الى كلينا، وإن تكن غير تقليدية. واتفقنا على أن يبذل كل منا قسطه في تربية الاولاد، على رغم اختلاف آرائنا في هذا النطاق. إلا أن ذلك الاختلاف لم يسبب مشكلة للأولاد أو لنا.

ومما تضمنه اتفاقنا أن نبقى على اتصال، وأن يحصل ذلك في ظروف مناسبة لجميع الاطراف المعنية. وبقينا، بعد الطلاق، نذهب أنا وزوجي والاولاد معا في بعض

المناسبات كالاجازات والاعياد والدعوات والتسلية. وكان ذلك غريبا باديء الأمر، إلا أنه غدا متعة لنا جميعا.

وتجنبنا الحد من حرية أولادنا. وتبين أنهم أهل بثقتنا وبالحرية التي أتحناها لهم. وبقيت اذكر نفسي بأن هذه الحرية يجب أن ننعم نحن بها كذلك، فلزوجي حياته الخاصة، ولي أنا حياتي. أما أولادنا فلنا معا.

مائدة محبة – إذ انظر اليوم الى سنوات طلاقي، أجد أن نصف السنة الاولى كان بمثابة شهر عسل نعمت خلاله مع أولادي بالمحبة والفرح. وكانت أحاديثنا متعة لنا جميعا. واكتشفنا تجارب جديدة وزوايا جديدة من حياتنا.

غير أن القلق بدأ ينتابني مع دنو الشتاء. فالطلاق يؤذي كل من يأتي في نطاقه. وقد تبين لي أن أولادنا لم يسلموا من ذلك الاذى. وبدلا من التعبير عن همومهم تحت سقف واحد، راحوا يتنقلون بين منزل أبيهم ومنزلي للتنفيس عن تلك الهواجس. وأهم ما في الامر فقدان أملهم بالمحبة المثالية التي تعهدتُ وأباهم على تأمينها لنا جميعا.

وارتأيتُ أول الامر أنه من الضروري أن أفعل شيئا، أن أقدم على خطوة ما. وسرعان ما أدركت أن تلك الخطوة ينبغي أن تكون الاصغاء. فعندما يكون المرء شديد الاضطراب، ألا يحتاج أن يصغي أحد إليه أكثر من حاجته الى أي أمر آخر؟ لذلك رحت أصغي إليهم كما تمنيت على الدوام أن يصغي أحد إلي. وتعلمت الكثير مما سمعته.

لقد كان أولادي الثلاثة حانقين وقانطين، لكنهم لم يفقدوا قدرتهم على الكلام والتعبير عن ذلك. ولم تكد تنقضي عاصفة حتى تهب سواها. وكان ذلك من مآسي الطلاق. لكننا استعطنا تجاوز تلك المرحلة ولذنا كلنا بالمحبة.

وبعد انقضاء السنة الاولى وجدنا أنفسنا نقف فوق أرض أكثر ثباتا. وأظهر الاولاد موهبة لحل المشاكل والتصدي للصعوبات من الزاوية الحقة. وذات يوم أتوني وأعلنوا بفرح: "إنك وأبي مختلفان في ما تبتغيانه من الحياة. ونحن لا نعلم كيف استطعتما البقاء هذه السنوات كلها معا."

وتحدثنا عن المثُل والعهود وخوف السقوط وكل ما يعترض العلاقات من عراقيل. ولم نلبث أن وجدنا أنفسنا نقلّب رسوما تمثل ثلاثة أجيال من عمر عائلتنا. خضنا في حديث عن المناسبات السعيدة والتعيسة في تجربة كل منا، وعن أسباب السعادة والتعاسة هنا وهناك. وتطرقنا الى التنوع الانساني الذي تنطوي عليه العائلة، وحللنا خبرتنا في ضوء ذلك التنوع.

بعد ذلك لم يبق الطلاق هاجسا في حياتنا. وعاش كل من أولادنا الثلاثة خبرته، وكان ينهض كلما كبا، كما يشرك الآخرين في ابتهاجه.

وانقضت سنوات ثلاث. بيع المنزل القديم ووزع ثمنه بالتراضي. ووجد زوجي السابق امرأة اخرى. وعدل

أولادنا مفهوم العائلة ليشمل زوجة أبيهم وأخواتهم الثلاث الصغيرات. وبقيت وأولادي تواقين الى اختبار كل جديد. وانطلق كل منا في طريقه لهذه الغاية.

وعاش كل منا حياته في أمكنة متباعدة. وظللنا على اتصال بالهاتف الى أن باشرنا مرحلة جديدة بانتقالنا جميعا الى منطقة نيو إنغلاند على الساحل الشرقي للولايات المتحدة،

وفي ليلة ضمتنا جميعا الى مائدة محبة، غمرنا شعور بالسعادة يفوق الوصف. ومد بوب ذراعيه وقال بجذل: "انظروا الى هذه العائلة السعيدة!"

أجل، إنها معجزة صنعناها بأيدينا.

إلا أننا لسنا متفردين في هذا المجال. فهناك سوانا من العائلات التي كسرها الطلاق، ثم استطاعت جمع أجزائها لتبني منها كلًا جديدا. وتبدلت الاشكال، لكن الوحدة تحققت من جديد آخر الأمر، وبقيت العائلة عائلة. وهي في أحيان جاءت أقوى مما كانت في شكلها القديم.

ولكن لا أريد أن يساء فهمي، فيظن اني أتخذ من الطلاق قاعدة لتسوية كل خطأ في الحياة الزوجية. واني وأولادي كنا نتمنى الوصول الى سعادتنا الراهنة عن غير هذه الطريق وعبر إبقاء الروابط الزوجية قوية. والحق أن أولادي يطمحون الى زواج ثابت متين. وأتمنى أن تكون تجربتنا لقنتهم المبادىء الاساسية لجعل هذه الغاية ممكنة، ولأبقاء الاواصر العائلية حتى وسط ما يعترضها من أزمات. وإن أملي كبير في أن يتمكنوا من ذلك.

■ جوان ميلز

ذوق بليد

جلس زملائي في ورشة البناء يتحدثون عن البرامج التلفزيونية التي شاهدوها المساء الفائت. وراح أحدهم يصف جهاز التحكم عن بعد الذي يتيح له تبديل المحطات وهو في مقعده. فقاطعه آخر قائلا: "هذا من الكماليات التي أستطيع الاستغناء عنها. فان زوجتي وابنتي تلبيانني فوراً كلما شئت تغيير محطة التلفزيون."

ا.ر.

جدة نادرة

حين وجدت، لخوفي، أن جدتي العجوز ما زالت تتسلق سياج الحديقة لزيارة جارتها، سألتها لماذا لا تذهب على الطريق الأبعد والأضمن. فقالت: "اسمع، في آخر هذه السنة أبلغ الثامنة والتسعين، ولا أريد اضاعة الوقت."

ز.هـ.

أصداء من عالم الطب

الرياضة القسرية

ان بعض الرجال المتوسطي العمر الذين يمارسون الركض يفعلون ذلك لدوافع خطرة، كما تبين لثلاثة باحثين من جامعة اريزونا في تكسون نشروا تقريراً حول الموضوع في مجلة "نيو انغلند الطبية". والباحثون هم الاطباء النفسيون الين ييتس وكيفين ليهي وكاترين شيسلاك الذين وجدوا، بعد مقابلتهم ستين رجلا متوسطي السن ممن يمارسون الركض، نقاط تشابه قوية بينهم وبين النساء الصبايا اللواتي يعانين الاضطراب العصبي الناجم عن فقدان الشهية. ووجدوا ان اولئك الرجال منطوون على ذواتهم وانهم يعانون الوحدة والكآبة والقاء اللوم على الذات وعدم التعبير عن الغضب على نحو مباشر.

وبما ان النساء يحكم عليهن اجتماعياً بمقاييس الجمال فيما يحكم على الرجال بمقاييس القدرة الرياضية، فالفتيات اللواتي يلجأن الى الحمية لتخفيف السمنة يتعرضن لفقد القابلية للاكل، بينما يجد الرجال الذين يمارسون الركض للبرهان عن رجولتهم انهم يركضون رغماً عن ارادتهم. ويقول التقرير ان "سلوك هؤلاء الرجال واولئك النساء يغدو مرضياً وتكرارياً وفاقد المرونة".

صحيفة "اخبار نيويورك اليومية"

السد لدى الاطفال

يقدر ان طفلا واحداً من بين عشرة آلاف يولد مصاباً بسد حاد، وهو اعتام في عدسة احدى العينين او في العدستين معاً. وعلى رغم ان الجراحة اللاحقة تكسب العينين مظهراً طبيعياً فأنها لا تحل المشكلة طبياً. ويظن الخبراء ان هذه العلة من شأنها - ما لم تعالج فوراً - ان تعطل اعصاب الرأس المتعلقة بالبصر خلال الاسابيع او الاشهر القليلة التالية للولادة. ومن اجل معالجة الامر قبل فوات الاوان، يقترحون اجراء جراحة لازالة السد قبل تزويد الاطفال بنظارات رقيقة او عدسات لاصقة. ويقول الدكتور كريغ هويت، استاذ طب العيون في جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو الذي اجرى اختبارات في هذا الحقل دامت اربع سنوات، ان الجراحة ينبغي ان تتم خلال ثمانية اسابيع تعقب الولادة اذا كانت العينان مصابتين وخلال ١٦ اسبوعاً اذا كانت عين واحدة هي المصابة.

ويقول هويت الذي اجرى العملية على ٣٤ طفلا ولدوا بعلة السد في عين واحدة قبل بلوغهم الاسبوع السادس ان واحداً وعشرين منهم يتمتعون اليوم بحاسة بصر تمكنهم من القراءة.

وكالة "اسوشيتد برس"

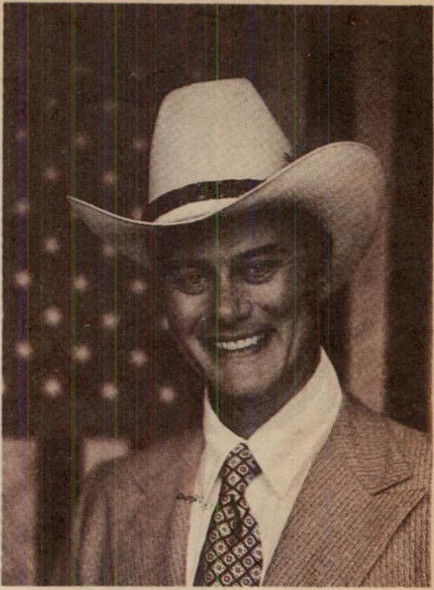

في انحاء العالم قاطبة حيث يعرض المسلسل التلفزيوني "دالاس" ذاع اسم ج.ر. يوينغ، ذلك الرجل الذي يحب جميع الناس ان يكرهوه

ج.ر. يوينغ:

بطل "دالاس" الذي يُحبّ أن يَكرَهَه النَاس

Photos: Nancy Ellison / Gamma - Liaison, Fotos International / Pictorial Parade, Zimmerman / Girard Studio Group, Mark Sennet / Gamma Liaison, Zimmerman / F.P.G.

في داخل أحد فنادق دالاس الفخمة في ولاية تكساس كانت قاعة الرقص تعج بالمدعوين الى الحفلة التي أقامها أقطاب النفط في الولاية. وفيما بقي بعض المدعوين من علية القوم في حلبة الرقص تفوح منهم رائحة عطور باهظة الثمن، جلس آخرون الى طاولات مزينة بقطع من الفضة في شكل آبار نفط.

والواقع أن أقطاب النفط لا يقيمون حفلات راقصة في مدينة دالاس. لكن الراقصين دعوا للمساهمة طوال يوم كامل في حفلة راقصة كي يتاح لمنتجي مسلسل "دالاس" التلفزيوني تصوير مشهد من ١٥ دقيقة يختلط فيه الممثلون بعدد من نجوم المجتمع الحقيقيين. وهذا العمل جزء من حلقة بعنوان "الحفلة الراقصة الكبرى." وتساءل بعض الحاضرين هل يمكن ان يلاحظ المشاهدون وجود طبقة من الأثرياء الحقيقيين بين الممثلين؟ وأجابت ليندا غراي التي تمثل دور سو ايلين يوينغ، زوجة ج. ر. التي طال عذابها: "هذه الحال شبيهة بحال من يرتدي ثياباً داخلية من حرير، اذ ليس ضرورياً أن يعرف ذلك أحد سواه."

وقد يكون الالتفات الى مثل هذا التفصيل الدقيق ضرورياً للايهام بالواقع في قصة عائلة يوينغ التي يتابعها ٣٠٠ مليون شخص في ٨٦ بلداً. لقد بات "دالاس" أكثر المسلسلات نجاحاً في التلفزيون الامريكي منذ بدئه عام ١٩٧٨. وهو يعد في كندا أحد البرامج الثلاثة الاكثر حضوراً. وفي بريطانيا والمانيا الغربية يعتبر من بين البرامج العشرة الاوسع انتشاراً. أما في مصر حيث أصاب نجاحاً منقطع النظير عام ١٩٨١، فقد بات الاكثر رواجاً في محلات الفيديو وأمسى يشكل تجارة رابحة في القاهرة بعدما اوقف عرضه في التلفزيون.

والى ذلك بلغ عدد مشاهدي احدى حلقات "دالاس" عام ١٩٨٠ رقماً لم يسبق له مثيل في تاريخ التلفزيون الامريكي اذ كشف في تلك الحلقة عن مطلق النار على ج. ر. الخسيس الذي مثل دوره ببراعة لاري هاغمان. ومنذ ذلك الحين انتشرت ظاهرة "من قتل ج. ر؟" في أرجاء العالم. ففي لندن رابط أحد المراسلين في المطار واعترض حامل نسخة الحلقة الحاسمة الى التلفزيون البريطاني وحاول استجوابه عن هوية قاتل ج. ر. وعرفت المانيا "من المجرم" في ربيع ١٩٨٢. ولم تعرف فرنسا السر الا في خريف العام نفسه.

الغنى الفاحش — لماذا يهتم هذا العدد الكبير من الناس بما يحدث لشخصية ج. ر. يوينغ الوهمية ولأفراد عائلته الوهميين؟ في رأي كاتب "دالاس" ومنتجه ومخرجه لين كاتزمان، يرجع السبب "الى أن البرنامج هو في ضخامة ولاية تكساس، أي انه اعظم وأكثر كلفة من جميع أشباهه من القصص المثيرة الرائجة التي تبثها الاذاعة والتلفزيون." فموازنة الحلقة الواحدة من "دالاس" تزيد على ٧٠٠ ألف

دولار، وهي من أعلى الموازنات في البرامج التلفزيونية. اما غنى شخصيات "دالاس" فيتجاوز بما لا يقاس معدل الغنى العادي.

ويقول منفذ الانتاج فيل كابيس: "غير ان عائلة دالاس لا تعرف طعم السعادة على رغم جميع ما تملكه، مما يحدو المشاهدين على القول: قد يعوزنا ما لديهم من مال وسلطة، لكننا في الوقت نفسه لا نعاني مشكلاتهم." ويضيف هوارد كيل الذي يمثل دور كلايتون فارلو: "ان مفتاح نجاح برنامجنا هو ان المشاهدين يرون الشخصيات تفعل كل ما يتمنون هم فعله ويحجمون عنه. ووقوع هذه الشخصيات في مآزق هو عزاء لهم."

وقد يكون انتهاء حلقات "دالاس" بمواقف حابسة للانفاس من بين أسرار نجاحه الهائل. فعلى المشاهد ان ينتظر الحلقة التالية لمعرفة ما سيحدث أو من هو المجرم. وقد ذكرت مجلة تلفزيونية سويسرية أنها تلقت رسالة من زوجة رجل يعالج في المستشفى لاصابته بمرض خطر. وجاء في الرسالة انه سأل بعد وعيه من غيبوبة: "ألا يزال ج.ر. خسيساً؟"

الانطلاقة - يمكن تلخيص مسلسل "دالاس" للذين لم يشاهدوه قط او الذين شاهدوه في مراحل متقدمة على النحو الآتي: انها قصة عائلة يوينغ التي أصابت الغنى والسلطة من النفط والماشية ومصالح أخرى. وترك هذا كله أثراً في أجيال ثلاثة من العائلة وفي عدد لا يحصى من الناس الذين تتداخل حياتهم مع حياة العائلة.

وقد نشأت فكرة المسلسل على نحو أبسط كثيراً مما هو الآن. ففي العام ١٩٧٧ عنّ لكاتب قصص تلفزيونية في الولايات المتحدة يدعى ديفيد جاكوبس ان يكتب مسلسلا عن جماعة من الاثرياء في جنوب غرب البلاد ليبتعد عن أجواء الطبقة الوسطى في ولاية كاليفورنيا التي تدور حولها معظم برامج التلفزيون الامريكي. وتركزت حبكة جاكوبس على امرأة شابة من الطبقة الفقيرة تزوجت ثرياً من أقطاب النفط في ولاية تكساس. وتولت شركة "لوريمار" انتاج القصة في شريط تلفزيوني. وما كاد الموسم الاول لتقديمها ان ينقضي حتى كان الكتاب والممثلون والمشاهدون حولوا مسلسل "دالاس" عن غايته الاولى، ودخلت قصة عائلة يوينغ عناصر بالغة التعقيد لم ترد في خاطر جاكوبس لدى شروعه في كتابة القصة.

وأسوة بالعائلات الكبرى كان لعائلة يوينغ رئيس اسمه جوك يوينغ. وفي العام ١٩٨١ مات جيم ديفيس ممثل دور جوك بداء السرطان، فعمد المؤلف الى اماتة الشخصية التي يمثلها جيم. (أصيبت حديثاً بربارة بل غدس التي تمثل دور أرملة جوك بنوبة قلبية حادة وقد يكون للحادث أثر في تغيير نص المسلسل). غير ان خلفاء جوك من عائلة يوينغ لا تعوزهم القدرة على ادارة مملكة العائلة.

وكر افاع - خلف جوك ابنين هما ج.ر. وبوبي. ويصف مبتكرو شخصيتيهما الاول بأنه مفرط في استغلال سلطته الى حد الغرور والثاني

بأنه كان زير نساء اختار ان يجعل حياته وقيمه أكثر استقراراً. أما باميلا زوجة بوبي فهي الفتاة الفقيرة التي ساعدت المؤلف ديفيد جاكوبس في الانطلاق بقصته. وأما أخوها كليف ارنز فبات شخصية ذات شأن في القصة لأنه يمثل عدو ج.ر. الرئيسي الذي يحاول ان يضع حداً لسلطة عائلة يوينغ.

وبات بوبي يوينغ نفسه أعظم شأناً مما اختير له ان يكون. فقد أراده المؤلف ان يقضي بحادث بعد تزوجه باميلا بوقت قصير ويترك عروسه تكافح وحدها لتحفظ منزلتها في عائلة يوينغ. يقول كابيس: "كان يفترض في المسلسل ان يكون قصة امرأة بريئة في وكر أفاع سامة، الا ان الانسجام التام بين بوبي وباميلا (مثل دوريهما باتريك دوفي وفيكتوريا برنسيبال) جعلنا نقرر الاحتفاظ بشخصية بوبي."

أما زوجة ج.ر. سو إيلين فكان المنتجون مزمعين على التخلص منها في وقت مبكر. فهم أرادوها أصلا شخصية ثانوية تمثل دور ضحية طال عذابها بسبب انصراف ج.ر. عنها الى غيرها من النساء. ولكن عندما بدأت ليندا غراي تمثيل الدور ولمعت مع لاري هاغمان، باتت سو إيلين شخصية محورية.

ولم يكن أحد يقدر مدى تأثير ج.ر. يوينغ في نجاح المسلسل على رغم كونه رجلا ماكراً يحب الناس ان يكرهوه. فقد حاول ان يسجن زوجته في مصح ويرهن مزرعة العائلة "ساوثفورك" من دون ان يخبر والديه. كما أنه باع مدير المصرف الذي تتعامل معه العائلة عقود استثمار آبار نفط ناضبة ونبذ خليلاته كما يلقي القمامة.

عطور ج.ر. – غير ان ج.ر. كما يمثله هاغمان لا يخلو من بعض الاحاسيس الانسانية. وكثيراً ما اختلى رجال متزوجون في أنحاء العالم بمبتكري مسلسل "دالاس" ليعترفوا لهم بأن ج.ر. لا يختلف عن رؤسائهم في العمل. وسرعان ما تقاطعهم زوجاتهم ليشكين من ان ج.ر. يشبه ازواجهن.

وقد لاقت شخصية ج.ر. رواجاً كبيراً في المانيا الغربية مما حدا احدى محطات التلفزيون المحلية على تقديم برنامج انتحل فيه أحد الممثلين تلك الشخصية وراح يعيث فساداً بين زارعي الكرمة في منطقة راين هسيان. وسجل مغن الماني شعبي يدعى مايك كروغر أغنية جاء فيها: "أنا أخو ج.ر. من المانيا الغربية." وفي بريطانيا وحدها بيع ٣٧٦ الف زجاجة عطر لما بعد الحلاقة تحمل اسم ج.ر. والى ذلك طبع اسم ج.ر. ورسمه على قمصان وقبعات وسراويل جينز وأوراق شدة والواح سهام مريشة واوراق مصمغة.

ومع ذلك فأن ثمة من لا يحب عائلة يوينغ. ففي مؤتمر ثقافي عقد حديثاً في باريس برعاية الحكومة الفرنسية وحضور مثقفين من انحاء العالم أبدى بعض الحاضرين استياءهم الشديد من مسلسل "دالاس". وفي رسالة مشتركة الى صحيفة "النيويورك

بربارد بل غيديز
"مس ايلي"

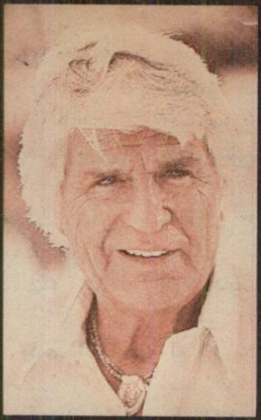

جيم ديفيس
"جوك"

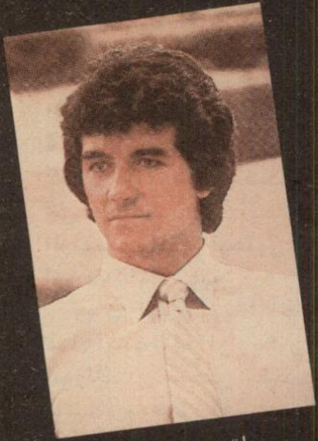

باتريك دوفي
"بوبي"

ستيف كانالي
"راي"

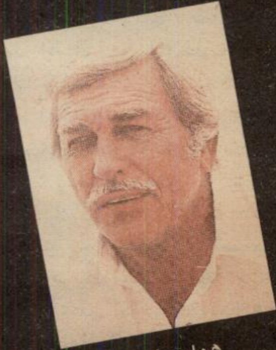

هوارد كيل
"كلايتون"

ليندا غراي
"سو ايلين"

شارلين تيلتون
"لوسي"

فكتوريا برنسبال
"باميلا"

كين كيرشفال
"كليف"

سوزان هوارد
"دونا"

تايمس" قال المؤلفون الامريكيون نورمان مايلر ووليم ستايرون وتوم بيشوب وسوزان سنتاغ: "لقد أصبح دالاس رمزاً للمستوى الثقافي الذي تمثله الافلام السينمائية والتلفزيونية الواسعة الانتشار والذي يترك أثراً سيئاً في ثقافاتنا المحلية٠ وليس ضرورياً ان يكون المرء خصم الامريكيين كي يندب المستوى الرديء لهذه المنتوجات الثقافية٠"

وفي الاجتماع السنوي للمجلس الثقافي الاوروبي الذي عقد في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢ في المانيا الغربية شكا المعلمون من ان طلابهم يتأثرون ببرنامج "دالاس" واشباهه من البرامج التي تمثل جانباً معيناً من أمريكا والامريكيين أكثر مما يتأثرون بالتعليم الذي يتلقونه في الصف مهما بلغت جودة هذا التعليم٠

اخفاق ياباني - على رغم هذه الانتقادات فقد استطاع بلد واحد فقط هو اليابان مقاومة جاذبية "دالاس" الذي اصاب هناك اخفاقاً ذريعاً٠ ويرى بعض كبار موظفي التلفزيون الامريكي ان اليابانيين الذين نشأوا على احترام العائلة لا يمكن ان يرتاحوا الى مشاهدة النزاعات القائمة بين أفراد عائلة يوينغ٠

ولكن ما دام المشاهدون في بلدان أخرى يولون مسلسل "دالاس" اهتمامهم فلن يسمح مبتكرو هذا البرنامج بنضوب معين البلايا الحالة في عائلة يوينغ٠ وفي العام ١٩٨٤ ستبدأ شركة "لوريمار" بالاشتراك مع شركة "يونيفرسال" تصوير فيلم سينمائي مقتبس عن "دالاس"، يمثل فيه لاري هاغمان ومعظم زملائه وتقدر كلفته بثمانية ملايين دولار٠ ويعلق أحد انصار البرنامج في ولاية تكساس: "اذا كنت تظن ان ج٠ر٠ يبدو على الشاشة الصغيرة شخصاً خسيساً، فانتظر حتى تراه على الشاشة الكبيرة٠ فسوف ترى الشيطان يعتمر قبعة٠"

■ **جون كالهان**

طالب تقاعد

مدير الشركة لطالب الوظيفة: "لا شك أن لدينا تعويضاً للتقاعد٠ واذا عملت معنا، فلسوف تبلغ سن التقاعد سريعاً٠"

ب٠ت٠

مختصر مفيد

في اجتماع لأحد النوادي نالت خطيبة الاحتفال اعجاب الجمهور على أثر جملتها الافتتاحية الآتية: "بعدما أخبرني منظمو اللقاء أن في امكاني الكلام طوال عشرين دقيقة، سألتُ زوجي عن طريقة لتحديد الوقت، فأجاب: "عندما تظنين أنك تكلمت دقيقة واحدة، توقفي٠ فهذا يعني انقضاء عشرين دقيقة٠"

ر٠ب٠

نجوم الصحراء

العيش الشظف اكسب بدو الطوارق فلسفة ومرحاً وقسوة ولطفاً في آن

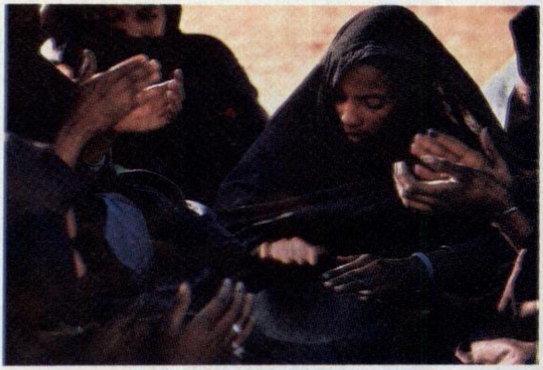

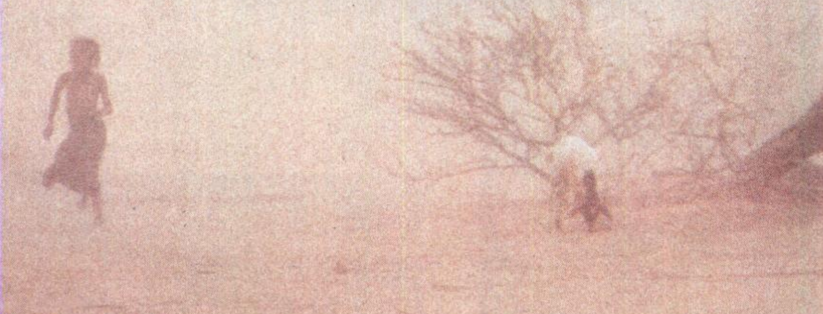

كثيراً ما يُشبّه الغريب في الصحراء بالمبحر الذي لا يحسن السباحة. أما سكان البادية فلا يجدون اي صعوبة في التجوال فيها. فالعميان من بدو الطوارق مثلا يرشدون القوافل التي تعبر صحراءهم. ولا يحتاج البدوي الى كبير عناء ليهتدي الى سبيله اذ يستدل عليها بعلامات واضحة بالنسبة اليه، ككثبان الرمل والصخور والاعشاب. وقد يضل الغريب طريقه في الصحراء. أما البدوي فيتنقل فيها براحة تامة.

عاش بدو الطوارق الذين يتحلون بالمروءة والانفة والصبر قروناً عدة بعيداً عن طرق القوافل من تونس الى كاو ومن تلمسان الى تمبكتو. وقد تعلموا عبر عيشهم الشظف الاتكال على ارادتهم التي لا تقهر بمقدار اتكالهم على ما تجود به واحاتهم من

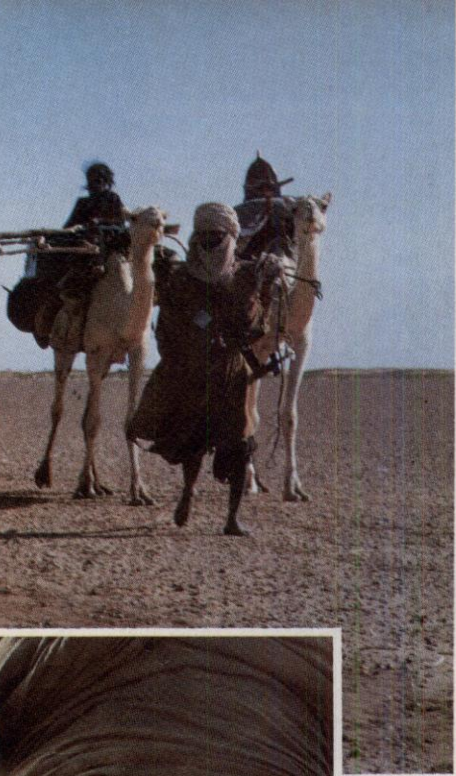

حين الى آخر • وولد فيهم هذا النمط من العيش نزعة رواقية وقسوة ولطفاً في الوقت نفسه • والى ذلك برعوا في الفراسة والقيافة وبات في استطاعتهم معرفة دقائق الأمور وتفصيلات الحياة • فمن المألوف عندهم ان يعرف احدهم هوية شخص آخر بالنظر الى أثر ابهامه في الرمل، أو أن يميز جمله من مسافة بعيدة من خلال صعوده الكثيب بطريقة معينة، أو ان يعرف شخصاً محجباً من الطوارق بالنظر الى عينيه وحدهما • كما ان لديهم شعوراً بالانتماء الى وطن ضمن هذه الرمال الشاسعة •

لقد سكنت مدة قصيرة في احدى قرى البدو القائمة على الرمال والتي تحيط ببيوتها المصنوعة من الحصر منحدرات من الرمل الاصفر الضارب الى البياض • وكلما نظرت الى ما وراء سياج العشب المحيط بفناء

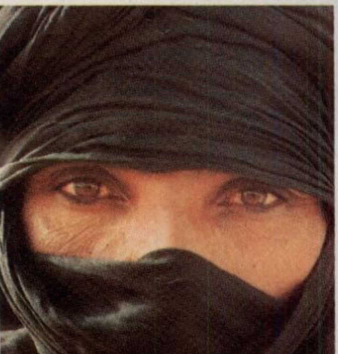

ابن الطوارق يميز افراد عشيرته من عيونهم •

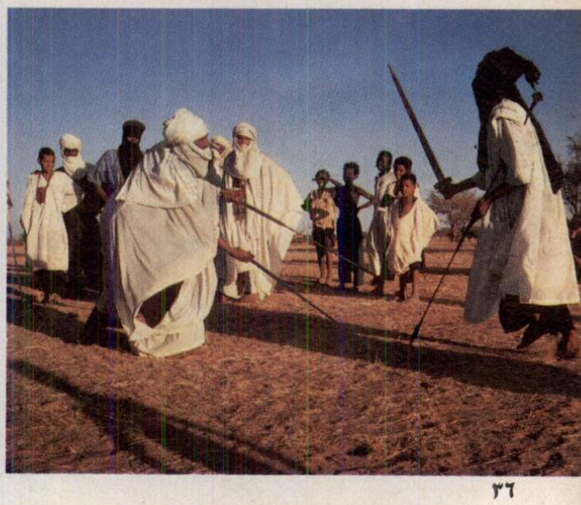

اشراف الطوارق في مبارزة ودية •

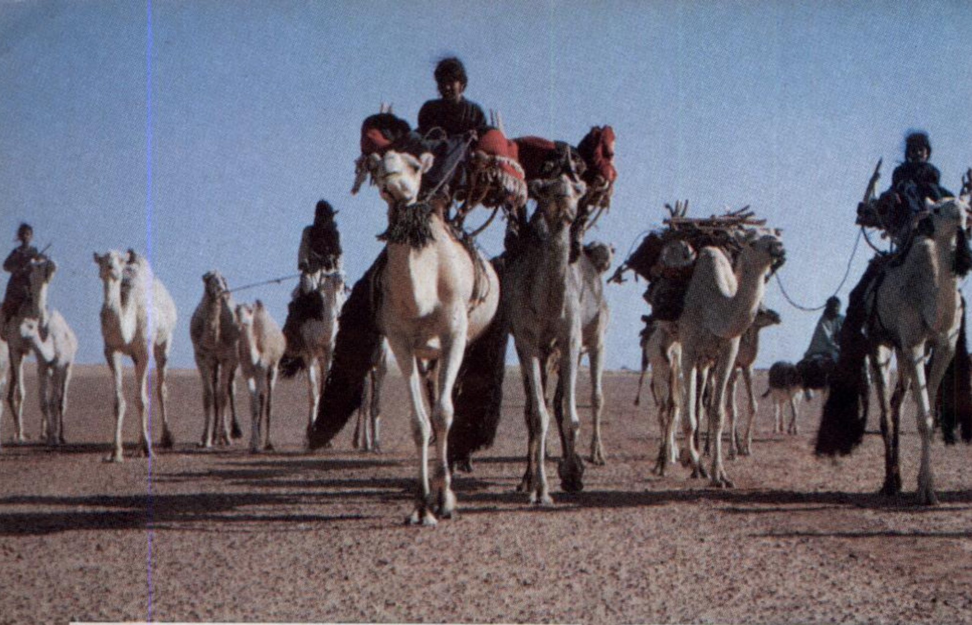

فتاة من الطوارق
تسقي الدواب عند بئر •

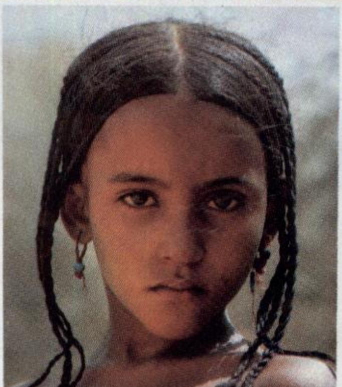

فتاة من الطوارق •

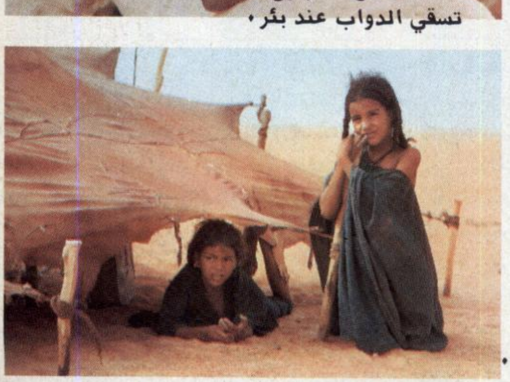

اطفال الطوارق تحت خيم من حصر •

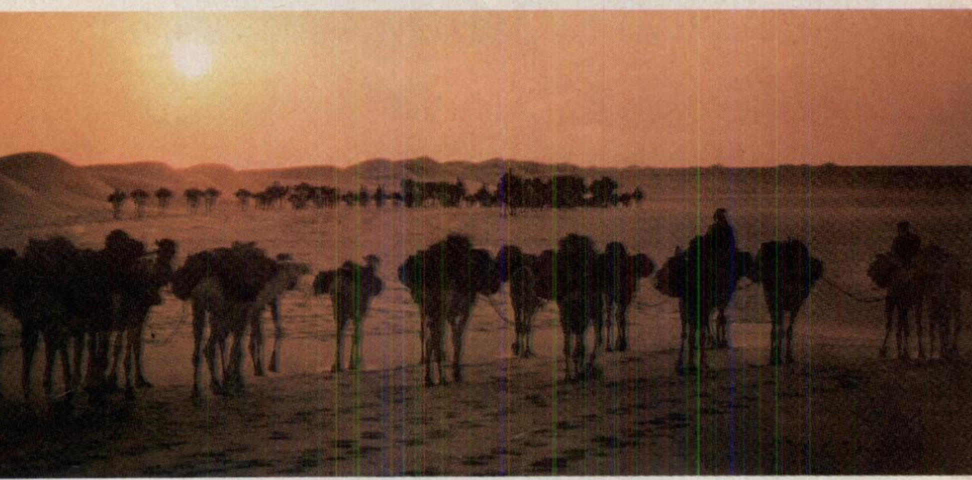

قافلة ملح للطوارق ·

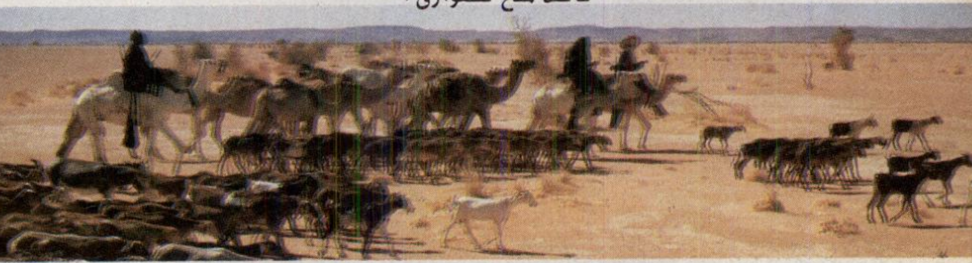

بدو الطوارق في طريقهم الى ليبيا لبيع الغنم والمعزى ·

منزلي الفيت الكثبان القاحلة وأيكات السنط المتناثرة التي تثير في النفس انطباعات يأس متفاوتة· وكنت ما أزال غريباً فلم أدر كيف أتعامل مع الصحراء أو مع سكانها وانتابني الحنين الى بيتي المريح· وعلى رغم كون المنازل في الصحراء أماكن موقتة للاقامة فالغريب ان لدى الذين يبنونها احساساً عميقاً بالانتماء اليها· فكأن هذه البيوت هي حقاً جزء من هؤلاء البدو، يحملونها معهم بجميع محتوياتها وينصبونها اينما وجدوا الماء والكلأ· ويبدو انهم يتنقلون في الصحراء لا كمالكيها الحقيقيين بل كمسافرين في رحلة مستمرة الى دواخل نفوسهم· والحق ان رحلتي لم تكن سهلة لكنها أتاحت لي ملاحظة حقيقة شائقة هي ان البدو لا يسعهم العيش الا بالتجاوب مع بيئتهم وأخذ متطلباتها في الاعتبار·

ذات مساء بدت الثريا متألقة في السماء كعيون عذارى في ثياب مخملية فيما بانت المجرة كهالة رمادية على رأس الليل الشديد

(c) 1983 by Bunny McBride. Condensed from The Christian Science Monitor (Jan. 26, 1983), Boston, Mass. Photos: Victor Englebert

البدو يهيئون جلود الماعز لحفظ الماء .

فتاة تطحن القمح .

شيخ من الطوارق يقرأ على احد الصبية تعاليم القرآن الكريم .

بدويون حول نار المخيم .

امرأة تعزف على الامزاد وهو شبه كمان بوتر واحد .

السواد. وفي مكان ما وسط هذا الظلام الدامس سمعت صوت يدين لا تنقطعان عن الطقطقة وتعالى الصياح وانطلقت الاصوات بالغناء. وسرت الى حيث تنبعث هذه الاصوات فرأيت حلقة للبدو وبحراً من الثياب الزرقاء والسوداء المتلاطمة فوق الرمال. أما الاطفال فكانوا يلبسون اثواباً نيلية تبين منها أقدامهم السمراء وشعورهم السوداء ويغنون متلاصقين ومتمايلين طرباً. فانضممت الى الحلقة وجعلت أراقب البدو وهم يغنون ويرقصون. وكانت عيون الفتيات تلمع بين حواجبهن وخدودهن المكشوفة كأنها حفنة من النجوم. وبدا منظر اولئك البدو تعبيراً عن جمال السماء في الليل. والواقع ان هؤلاء الناس شديدو التكيف مع محيطهم ولا ينظرون اليه بعداء او استغراب. وقد عرفوا كيف يرقصون مع النجوم.

وفيما كنت جالساً وسط ظلام الصحراء أجيل طرفي في السماء أحسست ان نجوم القطب باتت في متناولي، فأخذت قدماي تطقطقان وفي تلك اللحظة تبدد شعوري بالغربة.

■ بني ماكبرايد

في أي حال...

الناس أنانيون وغير منطقيين... ولكن أحبَّهم في أيّ حال.

واذا فعلت حسناً وأظهرت لهم الخير، فهم سيرمونك بالغرور وحب الذات... ولكن لا تتوقف عن فعل الخير.

وان نجحت في أعمالك، فلسوف تكسب أصدقاء زائفين وأعداء حقيقيين... ولكن اسعَ أبداً الى النجاح.

واياك أن تهجر الصدق والصراحة بحجة أن العثرات تأتي منهما، ولا أن تترك الصالحات لأنها تنسى.

ولئن ظل ذوو الافكار والعقول التافهة ينصبون الاشراك للعظماء، فلا تطرح أفكارك العظيمة، بل هب العالم أفضل ما لديك على الدوام.

ولا يوقفنَّك عن البناء أن ما تبنيه طوال عمرك قد يتقوض بين ليلة وضحاها.

ر.ب.

الدوافع الخفية

ثمة خفايا وألغاز يجدر بكل عاقل عدم السعي الى حلها. وأذكر أن جدتي كانت، كلما سُئلت عن دوافعها الحقيقية للقيام بعمل ما، تجيب: "هذه لا يمكن البوح بها، ولكن أستعيض عنها بذكر دوافع اخرى مقنعة."

ا.ش.

تنتشر قرى الاطفال "اس٠او٠ اس٠" في لبنان ومصر والسنغال وكمبوديا وعشرات البلدان الاخرى لتمنح الوف الايتام التعساء الحنان والامل

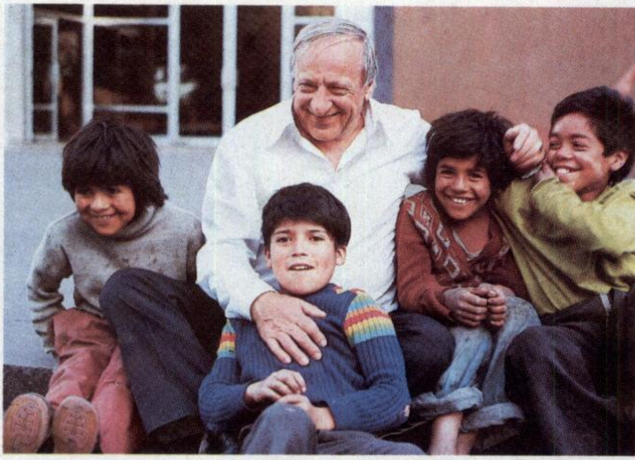

قرى الأطفال واحة حُبّ وحَنان

لم يجد صراخ الطفلين المذعورين وهما يهزان امهما ويناديانها:

"ماما ٠٠٠ماما ٠٠٠ إنهضي يا ماما !"

فالأم المسكينة لفظت أنفاسها وقضت برصاصة طائشة حين كانت المقاومات الارضية تتصدى لطائرات اسرائيلية مزقت سماء بيروت بهديرها الصاعق وهي في طريقها الى ضرب الاهداف الفلسطينية هناك٠

كان ذلك في السابع من يونيو (حزيران) ١٩٨٢٠ يومئذ كتب على ذينك الطفلين الشقيقين، حسن (أربع سنوات) وعلي (سبع سنوات)، أن ينضما الى ألوف الاطفال المنكوبين الذين فجعتهم الحرب بأهلهم

وشردتهم طوال ثماني سنوات وأمعنت في بلدهم لبنان تجريحا وتمزيقا.

وزاد في بؤس الطفلين أن والدهما كان مريضا عاجزا عن تقديم العناية لهما. لكن القدر كان رحيما، فقد قيض لهما أن يلتحقا باحدى قرى الاطفال "اس. او. اس" وينزلا في احد بيوتها السعيدة.

هذه القرية تابعة لحركة اجتماعية راقية هدفها العناية بالطفولة المشردة.

أسس الحركة نمسوي يدعى هيرمان غماينر قبل ٣٤ سنة، وهي تضم اليوم نحو ثلاثين ألفا من الاطفال ينتمون الى خمس وسبعين دولة. وجمعيهم يفيدون من هذه الحركة الواسعة الانتشار التي لا طابع سياسيا لها والتي عمت فائدتها العالم كمؤسسة خيرية اجتماعية.

قرية الاطفال التي نقل اليها الطفلان حسن وعلي تقع في بلدة صفاريه التي تبعد ٦٥ كيلومترا الى الجنوب من بيروت، في منطقة تنعم ببعض هدوء لان ويلات الحرب لم تصل اليها. بيوتها ذات الواجهات الحجرية الصلبة قائمة وسط كروم العنب والزيتون. وهكذا وضع الطفلان في رعاية إحدى "امهات" القرية التي حضنتهما بحنانها وضمتهما الى سائر الاطفال الذين ترعاهم كما لو كانت لهم أما حقيقية رؤوماً.

زرنا قرية الاطفال في صفاريه والتقينا السيدة جاكلين بالتزار التي تقوم بمهمات "الام" في أحد بيوت القرية منذ فترة طويلة. أخبرتنا أن الاشهر الاولى هي الاصعب في حياة الطفل الوافد حديثا الى القرية. فمأساته لا تزال حية في مخيلته، وبصماتها منطبعة في نفسيته، وحزنه لذلك شديد. إلا أن هذا الطفل لا يلبث أن يعود الى طبيعته ويهدأ روعه بعد أن يستقر في القرية ويشعر بدفء العاطفة التي تغمره بها عائلة "اس. او. اس".

كان هاجس هيرمان غماينر طوال حياته أن يوفر لاطفال العالم المحرومين حياة سعيدة. وهو ابن فلاح نمسوي، قصير القامة مع بعض بدانة، صرف اهتمامه الى انشاء مؤسسات للعناية بالطفولة المشردة المحرومة.

إن حركته توفر المأوى لعدد كبير من هؤلاء. كل منزل فيها يضم بين ستة اطفال واثني عشر طفلا متفاوتين في السن، يعيشون أخوة وأخوات في اشراف "الام" التي ترعاهم كما لو كانت ترعى أولادها وعائلتها الخاصة. وكل قرية من قرى "اس. او. اس" تضم بين ١٥ و٢٠ منزلا. وهي تشكل ضاحية لبلدة صغيرة. والى هذه البلدة يذهب أطفال "اس. او. اس" ليختلطوا بالاطفال الآخرين في مدارسها وينضموا الى النوادي الاجتماعية فيها وينشئوا صداقاتهم ويلعبوا ويمرحوا دونما وجل أو ارتباك. وهذه هي رغبة غماينر: أن يختلط هؤلاء الاطفال بمحيطهم بدلا من أن ينشأوا في محيط منعزل، وأن يعتبرهم أهل البلدة منهم لا غرباء عنهم.

ويختلف أطفال "اس. او. اس" عن

سواهم في المؤسسات الاجتماعية الاخرى التي ترعى شؤون الايتام والمشردين في أنهم ليسوا للتبني بل يبقون في إشراف الحركة ورعايتها حتى يبلغوا الثامنة عشرة أو اكثر ثم ينتقلون من منزل القرية الى "بيت الشباب" التابع للحركة في أقرب مدينة أو بلدة لمتابعة تحصيلهم العلمي أو تدريبهم المهني، ولا يحرمون التوجيه الصحيح. ومتى اصبحوا قادرين على اعالة انفسهم وتأمين نفقاتهم، يسمح لهم بمغادرة القرية.

يقول غماينر في هذا الصدد: "يعرف الاطفال أننا لن نتخلى عنهم فجأة أو نطلب منهم مغادرة القرية الى مكان آخر. ولن يستيقظوا ذات صباح ليكتشفوا أن من كان يقاسمهم البيت من الاشقاء أو الشقيقات غادر فجأة. لقد مر غيرهم من الايتام بتجربة مريرة في الانتقال من بيت الى آخر، فدخل بعضهم ١٦ دارا للايتام. لكن هذا غير وارد على الاطلاق في قرى "اس.او.اس."

بعد الحرب العالمية الثانية وجه غماينر اهتمامه الى مساعدة الاطفال الذين غدوا بلا مأوى. كان طالبا في كلية الطب في مدينة اينسبروك وقد دمرت القنابل المدينة وأصبح آلاف الأطفال مشردين يجوبون الشوارع على غير هدى. فقرر الشاب العطوف أن يبحث عن طريقة مجدية لمساعدتهم. وفي صيف ١٩٤٩ ترك كلية الطب وبدأ يجمع التبرعات المالية ليضيفها الى مدخراته الشخصية التي بلغت ٦٠٠ شلن نمسوي (١٣ دولاراً آنذاك). وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٩ أسس حركته التي تعرف اليوم بقرى "اس. او. اس" (.S.O.S) للأطفال.

تتلخص حركة غماينر بالآتي: هناك العديد من الارامل اللواتي خلفتهن الحرب بلا ملاذ، والعديد من الشابات العازبات اللواتي لم يجدن الزوج المناسب لنقص في عدد الشبان من جراء الحرب. فكان عليه أن يثير اهتمام بعضهن ليتقدمن لرعاية الاطفال المشردين وايجاد مأوى لهم يعيشون فيه في رعاية هؤلاء النسوة في مجموعات تشبه العائلة في تركيبها. وكان غماينر واثقا بأن النتيجة الحتمية ستكون لمصلحة الاطفال الذين ستضمهم عائلة سعيدة ترفرف عليها المحبة.

إنها لفكرة مناسبة في الوقت المناسب. ولم ينته العام ١٩٥٠ حتى كان غماينر تعاقد مع من يلزم من النساء وجمع ما يحتاج إليه من المال وشرع في بناء خمسة بيوت فوق قطعة أرض تبرعت بها بلدية إمست، وهي بلدة صغيرة على بعد ٧٥ كيلومترا الى الجنوب من مدينة اينسبروك. وتمت حفلة افتتاح القرية ليلة عيد الميلاد عام ١٩٥١ وقطع غماينر الشريط وهو متفائل ومغتبط. ولم يدر في خلده آنذاك أن هذه القرية ستكون الفاتحة لقرى عدة يتجاوز عددها المئتين وتنتشر في أنحاء المعمورة.

•

كانت فكرة العائلة كركن أساسي للمجتمع تروق الجميع، وهكذا انتقلت في العالم بسهولة. كما نجحت قرى

"اس٠ او٠ اس" في اتباع تقاليد البلدان الذي شيدت فيها وعاداتها كذلك ٠وفي اواسط الخمسينات انتشرت الحركة خارج النمسا حتى وصلت الى فرنسا والمانيا الغربية وايطاليا واسبانيا ٠

وفي العالم الثالث تسببت الازمات الاقتصادية والسياسية في تشريد العديد من الاطفال والايتام ٠ فكان أن اتسع نطاق الحركة خلال عقود ثلاثة ليشمل آسيا وامريكا الجنوبية وامريكا الوسطى وافريقيا ٠

وفي العام ١٩٨٢ زار غماينر اثنتين وعشرين دولة ليفتتح أربعين قرية جديدة لأطفال "اس٠او٠اس" ٠

بدأ انتشار الحركة في العالم الثالث عام ١٩٦٣٠ وكان في كوريا الجنوبية التي مزقتها الحرب، مئات الاطفال البائسين ،ينامون تحت الجسور أو بين أنقاض المنازل المتهدمة٠ فوضع غماينر خطة لتأسيس قرية "اس٠ او٠ اس" هناك وبدأ يجمع لها المال٠ واعلن انه سيدفع دولارا واحدا لكل طفل كوري يحمل اليه حفنة من الرز ٠

وفي النمسا تطوع كثيرون لصنع بطاقات صغيرة ألصقت عليها حبات الرز بالصمغ بحيث باتت تروق للشارين ٠ وقد بيعت البطاقات في أوروبا الغربية والولايات المتحدة بما يساوي دولارا واحدا للبطاقة٠ وتحت شعار "حبة رز من اجل كوريا" كانت حصيلة التبرعات خلال أسابيع قليلة ثمانين ألف شلن نمسوي (١٩٦٣ دولارا) ٠

وبعدما تجمع المال من أجل البناء والرواتب، قامت قرية "اس٠ او٠ اس" على قطعة ارض تبرعت بها ابرشية في مدينة ديغو، وهي تضم اليوم ١٣٠ طفلا، وقد تم بعد ذلك بناء قريتين، واحدة في ضواحي العاصمة سيول وأخرى في مدينة سن شون في الجنوب ٠

وفي مايو (أيار) ١٩٨٢ التقى غماينر رجلا عاش طفولته في قرية ديغو، وهو اليوم في السابعة، والثلاثين من عمره ويعمل ضابطاً برتبة لواء في سلاح الطيران في كوريا الجنوبية٠ أخبره هذا الرجل انه لم يكن يعرف من هو قبل أن تحدث له "المعجزة" ويلتحق بقرية الاطفال حيث أصبح له "أم" ترعاه ومنزل

يؤويه مع الاشقاء والشقيقات. لقد انتمى الى القرية وأعطي اسما لا يزال يحمله الى اليوم. قال: "أنا مدين بكل ما حققته في حياتي لقرية "اس. او. اس" للاطفال ولأمي التي رعتني فيها وغمرتني بمحبتها وحنانها."

حقا إن "الام" هي الركيزة الاساسية في قرية "اس. او. اس". لذلك كان لا بد من حسن اختيارها. ولما لم يكن يسيرا ايجاد زوجين يتفرغان لخدمة أطفال الآخرين، فقد ركزت الحركة اهتماما على اختيار النساء العازبات أو الارامل او المطلقات في بعض الاحيان على أن تراوح أعمارهن بين الخامسة والعشرين والاربعين. وليس ضروريا أن يحملن شهادات علمية أو اختصاصا بالتربية أو حتى إفادة تدريب في الخدمات الاجتماعية. كان الاهتمام في اختيار الام يركز على المؤهلات العاطفية التي تجعل من المرأة أما مثالية حقيقية تتحلى بالحنان والعطف والاهتمام والمسؤولية، ولا بأس إذا كانت تحسن الطبخ.

تبدأ الام فترة تدريبها باعتبارها "عمة" تساعد في أعمال المنزل وتهتم بشؤونه عندما تكون "الام" الاصيلة مريضة أو في إجازة. وتنتهي مرحلة التدريب بعد سنة، فتصبح العمة اماً بعد موافقة المسؤولة عن القرية واستشارة "امهات" المنازل الاخرى، عندئذ تعطى منزلا يضمها الى عائلتها الجديدة.

تتقاضى الام راتبا شهريا متواضعا اضافة الى علاوة مخصصة بادارة شؤون المنزل. ولها ملء الحرية في صرف المال بالطريقة التي تراها ملائمة. كما تتولى تزيين المنزل وشراء ما يلزم الاطفال من طعام وكساء. وتشرف بنفسها على الطبخ والتنظيف وسواهما. ولا تنسى أن تضع القواعد الاخلاقية التي ترغب في أن يتبعها "اولادها". وغايتها القصوى أن يسود البيت جو من الحب والحنان الحقيقيين، جو عائلي يشعر به كل زائر لقرية "اس. او. اس" مهما اختلفت أشكال بيوتها. فهناك بيوت مبنية بالحجار الخشنة في نيبال وبالقرميد في هندوراس وبخشب التيك في تايلاند. وفي جميع هذه البيوت المحبة هي وحدها السائدة.

اكتشفنا هذا الجو المميز ونحن في زيارتنا للام باتريسيا في منزلها الجصي المؤلف من طبقتين في قرية "اس. او. اس" في احدى ضواحي نيروبي عاصمة كينيا. كانت باتريسيا تطبخ في قدر كبير فوق فرن المطبخ، بينما جلس أربعة أطفال الى طاولة في غرفة الجلوس يكتبون فروضهم المدرسية، واقتعد طفلان آخران أرض الغرفة يلعبان الدومينو بهدوء. ومن سطوح بعض المنازل تدلت أزهار البوغنفيلية الارجوانية. وقرب هذه المنازل حديقة كبيرة مرتبة ومقسمة في شكل يسمح لكل عائلة بأن تزرع بعض الخضر.

في عودتنا من نيروبي عبر الطرق الترابية لقرية "اس. او. اس" كان الاطفال يودعوننا مبتهجين فرحين، حتى ليصعب علينا أن نتخيلهم تعساء

ضائعين يوم وصلوا الى القرية. لكن الحقيقة كانت غير ذلك. وإليكم قصة الفتاة الصغيرة سوزان التي التقيناها ذلك اليوم:

توفيت والدتها بعد بضعة أيام من ولادتها. ولما كان والدها معاقا، فقد أرسلت الى جدتها العجوز التي لم تكن تملك من الدنيا سوى اليسير. وبعدما بلغت الطفلة عامها الاول نقلت الى مؤسسة حكومية تعنى بالاطفال المتخلفين جسديا وعقليا. كانت تشكو من سوء التغذية، فتستلقي على ظهرها ساعات محدقة الى الفضاء دونما حراك. فألحقت سوزان – المولودة في ابريل (نيسان) ١٩٧٥ – بعائلة في قرية "اس. او. اس" للاطفال في يونيو (حزيران) ١٩٧٦. وبعدما أنقضت عليها سبع سنوات أصبحت فتاة ذكية مشرقة فرحة، تملك من الثقة بنفسها ما جعلها تبدو على أحسن حال. أنها اليوم مثل صارخ لما يفعله الحب والاهتمام بالطفل.

قال هيلموت كوتن رئيس حركة "اس. او. اس" في آسيا، وهو متخرج في مدرسة إمست، ومؤهل لخلافة غماينر عندما يتقاعد بعد سنوات قليلة: "الحاجة ماسة الى حركة "اس. او. اس" في العالم الثالث. لقد مر أربعون عاما على الحرب العالمية الثانية التي دمرت أوروبا. ونحن نعتبر ان كل بلد هو صاحب القرار في طلب مساعدتنا أو امتناعه عن ذلك."

وكان طبيعيا بعد ذياع صيت "اس. او. اس" في انحاء العالم أن تنهال عليها طلبات المساعدة. فالملكة نور في الاردن طلبت من غماينر المساعدة في تأسيس قرية أطفال في الاردن عام ١٩٨٢. كذلك السيدة جيهان السادات في مصر التي تدبرت الحصول على قطعة أرض في إحدى ضواحي القاهرة عام ١٩٧٧ لبناء قرية "اس. او. اس" تضم اليوم ثلاثين منزلا تؤوي ثلاثمئة طفل، وقد أضحت من أكبر قرى الاطفال في العالم. وتبعتها قرية ثانية بالقرب من الاسكندرية عام ١٩٨٠. وهناك مشاريع لبناء قرى أخرى في مصر.

ولما كانت نفقات العائلة الواحدة تتطلب المال الوفير، فاضافة الى ما تجمعه الحركة في البلد الذي تزمع اقامة القرية فيه، هناك اثنتا عشرة فرقة لجمع المال في أوروبا الغربية وامريكا الشمالية. يضاف اليها اكثر من خمسة ملايين من الاصدقاء والمتبرعين. وتبلغ الموازنة السنوية للحركة نحو مئة مليون دولار.

ولد غماينر في ٢٣ (يونيو) حزيران ١٩١٩. وهو لا يزال نشطاً، متدفق الحيوية، لا يعرف الوهن الى جسده سبيلا وقد رشح مراراً لنيل جائزة نوبل للسلام، وحاز اكثر من مئة وسام عالمي تنويها بخدماته الجلى، ومنها جائزة "واتلر للسلام" من مؤسسة كارنيغي. ومع ذلك فهو يأبى أن ينام على امجاده، ويسعى الى تحقيق هدفه الاوحد: أن تكون هناك قرية "أس. او. اس" في كل بلد في العالم لمساعدة الاطفال المساكين ورعايتهم.

■ اميلي وبير دولير

كان غاندي بشراً، وكالبشر كانت له عيوب. غير أن اعتماده اللاعنف والسلم سلاحاً ومحاولته تنقية السياسة من الشوائب واعتباره الهند كلها عائلة له جعلته من أعظم الابطال المعاصرين

المهاتما غاندي

ذلك الهندوسي الاصلع الناحل الذي يلبس مئزرا يستر عورته، قطع على قدميه خلال ٢٤ يوما مسافة ٣٨٥ كيلومتراً الى داندي، شمال مدينة بومباي الهندية، وهو يؤلب القرويين للانضمام الى مسيرته السلمية بقصد الاحتجاج على الأسياد البريطانيين. وابتكر للمسيرة عبارة "ساتياغراها" التي تعني "قوة الحقيقة."

وكان قد اعلم نائب الملك بأنه سيخالف القانون برفعه قبضة ملح جاف عن الشاطىء، علما أن الحكومة البريطانية حظرت إنتاج الملح على الهنود وقصرته على رعاياها.

وكما قال الرجل فعل.

ولو شاء الحاكم تطبيق القانون، لأطلق الشرطة المحلية لتبديد الحشود. وهذا يعني أن الهند برمتها كانت ستثور، فتقفل المكاتب وتتوقف القطارات وبقية مرافق الحياة.

إلا أن شرطيا واحدا لم يكن هناك، مما حمل المهاتما غاندي على التفكير في وسائل اخرى لاثارة الحكام. وما لبث أن أعلن خطته الوشيكة، وهي أنه وأتباعه سيقتحمون مصنع الملح الحكومي في دهاراسانا باسم الشعب.

واعتقل في أثناء تنفيذ خطته. لكن ٢٥٠٠ رجل من أتباعه تابعوا الزحف على مصنع الملح، حيث وقف نحو ٤٠٠

Photo: The Bettmann Archive, Inc.

شرطي ينتظرونهم. وانهالوا على رؤوسهم وأجسادهم بالهراوات. وكتب ويب ميلر مراسل وكالة "يونايتدبرس": "لم يرفع أحدهم يداً ليتقي الهراوات، بل تابعوا سيرهم وهم يتلقون المزيد من الضرب." واستمرت الملاحقة ساعتين لقيت خلالهما تلك الكتائب المسالمة صنوف التنكيل، فألقي أفرادها أرضاً وديسوا بالأحذية ودفعوا الى الخنادق والحفر. وتناثروا هنا وهناك وهم يئنون وقد غاب بعضهم عن الوعي.

حدث ذلك في ٢١ مايو (أيار) عام ١٩٣٠. وسرعان ما ارتحل تقرير الوكالة حول العالم. وكانت "مسيرة الملح" نقطة فاصلة في تاريخ الهند، كما في تاريخ العالم.

العصيان السلمي – ذاك الرجل العجيب المسمى "المهاتما غاندي" أربك الحكام المستعمرين الذين دعوه مختلا ومنافقا ومتصوفاً. أما الامراء الهنود في قصورهم فنظروا إليه كمثير للفتن، فيما اعتبره الساسة الهنود المتنافسون على الزعامة المحلية محرضا للعامة. ونظر إليه البرلمان في لندن كصاحب مشاكل.

وراح يطوف مدن الهند المكتظة وأريافها القذرة جامعا الأتباع وهو يعدهم بسلاح ثوري جديد اسمه العصيان السلمي.

وكان يظهر في أفقر أنحاء الهند ومعه معزاة يشرب حليبها. وكان غاندي نباتيا لا يأكل اللحم. وأحيانا كان يجلس صامتا على منصته بين الجموع وهو يشبك ساقا بساق، فيما الحشود صامتة أيضاً وشاخصة إليه.

ولم يكن لذلك الرجل وظيفة ولا هو كان قائد جيش أو صاحب سلطان رسمي. ولكن كان في إمكانه أن يشل الهند، إذ كان أتباعه يكتفون بكلمة واحدة منه ليوقفوا العمل في المكاتب والمصانع ومحطات القطارات. وقد تعرضوا للاعتقال بعشرات الالوف. وهو نفسه أمضى ٢١٠٠ يوم في سجون الهند، بعد ٢٤٩ يوما في سجون جنوب افريقيا. وفي ذلك يقول: "السجن سجن للصوص. أما لي فهو معبد."

ولجأ الى الصوم كضربة معلم. وكان ذلك بمثابة كابوس في نظر حكام دلهي والبرلمان البريطاني، خوفا من حدوث أشنع العواقب، في طول الهند وعرضها، في حال قضاء ذلك "المحرض الفقير"، كما دعاه ونستون تشرشل، بفعل الصيام.

ترى ما الذي يمكن فعله برجل كهذا!

الصدق والتضحية – ولد موهنداس كرمشند غاندي عام ١٨٦٩ في بلدة بور بندار الهندية. وكان ذووه من أتباع الديانة الهندوسية ومن الطبقة الوسطى اجتماعيا التي تأتي مباشرة بعد البراهمة، أي الكهنة والعلماء والأشراف. واسم "غاندي" يعني البقال، مما يشير الى مهنة العائلة. والعائلة، التي تنتمي الى عشيرة الفايشيا، كانت تمقت إراقة الدم وتعاف القتل، وإن يكن متعلقا بأصغر الحشرات.

وفي حداثته اتخذ غاندي مثالا له

بطلين من الأساطير الهندوسية، يمثل أحدهما الصدق والآخر التضحية. وفي الثالثة عشرة زوج فتاة في مثل سنه. وأرسلته عائلته الى لندن لدراسة القانون، وهناك عاش على غرار البريطانيين التقليديين. ودرس فن الخطابة واللغة الفرنسية، كما أخذ دروسا في الرقص.

وبعد ثلاث سنوات في لندن تخرج في الحقوق وعاد الى الهند. وسرعان ما طلبت منه شركة اسلامية التوجه الى جنوب افريقيا بدعوى قضائية. وهناك تعرض لحادث قاس غير مجرى حياته.

وكان موكله قطع له تذكرة سفر للدرجة الاولى في القطار الى بريتوريا. وعند وقوف القطار في المحطة الاولى، وهي بيترماريتسبورغ، دخل رجل اوروبي المقصورة. ولدى رؤيته شخصا ملونا، على رغم ملابسه الانكليزية، ثارت ثائرته واستدعى المفتش. ورفض غاندي الانتقال الى قسم الشحن وطرد من القطار. وقال في تلك الاهانة انها كانت "أعظم تجربة خلاقة في حياتي. وإليها تعود دعوة اللاعنف التي انتهجتها."

وباشر ذلك المحامي الناحل دعوة بني قومه المهاجرين الذين تنقصهم صفة المواطنية الى "العصيان السلمي." وكان استمد ذلك المبدأ من قراءة الروائي الروسي ليو تولستوي والكاتب الامريكي هنري ديفيد ثورو داعية الاحتجاج المدني.

وسرعان ما دعا غاندي الى مذهب الـ"أهيمسا"، أي اللاعنف. وراح يحض الهنود في جنوب افريقيا على تنقية ذواتهم من التعصب الديني الذي يفرق بين الهندوس والمسلمين. ودعا العوام الى تنقية ذواتهم من ناحيتين: النقاوة الجسدية التي كانت أمراً شاذا في الهند، والنقاوة الخلقية التي تسعى الى منتهى الصدق.

واستنكر غاندي التدابير المجحفة التي لجأت إليها السلطات في جنوب افريقيا، ومنها حظر ركوب مقاصير الدرجة الاولى على الهنود واعتبار الاضرابات خرقا للقانون وعدم الاعتراف بالزيجات خارج الكنائس المسيحية. وأصدرت الحكومة مرسوما إصلاحيا تاريخيا بعد انضمام ٥٠ ألف هندي الى حركة غاندي.

ومع الوقت اعتزل غاندي السياسة واتجه شطر الحياة الروحية. وأنشأ مختلى في بيئة زراعية مخصصا بالصلاة والتأمل والتواضع. وفي العام ١٩١٥، بعد مرور ٢٢ سنة على وصوله الى جنوب افريقيا، اعتزل المحاماة وعاد الى الهند.

تعددية هائلة - الهند؟ انه اسم مضلل حقا. فالهند ليست امة، لكنها خليط من المناطق والأديان والمعتقدات والعشائر التي يحارب بعضها بعضا ويذبح بعضها البعض الآخر كلما ثارت حدة التعصب. وحتى اليوم، نجد في الهند ٣١٢ لغة، منها ١٥ لغة قومية، فضلا عن ١٤٠٠ لهجة محلية.

وأثقلت الأرض بالاساطير والخرافات ومنيت مرارا بالطاعون والمجاعة حتى بدت أحيانا بلداً

للأموات. وأحط سكانها المنبوذون الذين بلغ عددهم خمسين مليونا. وكانوا يمارسون أحقر الأعمال ولا يجوز لهم العيش في القرى وارتياد أمكنة الشرب العامة ودخول المعابد. كما أرغم كل منهم على الصياح: "قذر، قذر" اذا شاهد أحداً في طريقه.

الى تلك الهند بالذات عاد غاندي، الى الهند التي أتت فيها الكوليرا والتيفوئيد والتهاب الكبد على ملايين، في حين بقي الأثرياء ضمن أبراجهم العاجية. أجل، عاد غاندي وقال: "الهند كلها عائلتي."

أقام غاندي معتزلا آخر وأعلن بهدوء أنه يرحب بالمنبوذين. وهلع أتباعه من تحديه السافر للتقاليد، حتى ان زوجته المطيعة حذرته من أن الهيكل المدنس عرضة للسقوط.

وما فتىء الهندوس التقليديون وعصابات الاحداث يزعجون غاندي باستمرار طوال سنوات، فيعترضون سيارته بأجسادهم أو يرجمونها. وكان غاندي، كلما انهال المحتجون بالحجار على سيارته، خرج منها ومشى وسطهم وقال: "ها أنذا بينكم، فاقتلوني! لماذا تخشون قتلي؟"

والحق أنه لم يهب الموت قط، ولا هو اضطرب لوفاة الآخرين اذا كانت ميتتهم "بريئة" أو إرادية. وكان الموت بالنسبة إليه تحقيقا للسكينة التامة والتطهر من الخطيئة.

ونما هيكله الجديد حتى ضم مئتي شخص، بينهم الملحد والعرقي والمتعصب وداعية العنف. واذا سأله زائر عن الدافع الى قبول اولئك القوم في معتزله، كان يجيب: "هذا بيت مجانين، وأنا هو المجنون الأكبر. ولكن من عجز عن تلمس الخير في اولئك الناس، فعليه أن يفحص عينيه."

وبعد نفاد الاعتماد الذي فتحوه للاختلاء في ذلك المكان، ذهب غاندي وجماعته الى حي المنبوذين. وهناك استهل حملة لأقناع مواطنيه الهنود بمقاطعة البضائع البريطانية. وكان لحملته تلك صدى غير متوقع. وفي بلدة شاوري شاورا اصطدمت الجموع مع رجال الشرطة في معركة قتل فيها ٢٢ شرطيا.

وعلى الأثر أوقف غاندي حملته احتجاجا على اللجوء الى العنف، مما حط من قدره لدى اولئك الذين ظنوا أن استقلال الهند يجب أن يحصل على نحو دموي وسريع. وتعرض غاندي للرجم والتوبيخ وأوشك أن يقضي اغتيالا. لكنه في الوقت نفسه أصبح زعيم المؤتمر الهندي القومي بلا منازع وأبا الهند الحديثة.

السياسة والاجلال – عمت شهرة غاندي العالم وتحلق حوله المثاليون والمتبرمون من العقائد التقليدية.

ودعا أتباعه الى محبة اولئك الذين يشتمونهم. وقال لخصومه السياسيين الذين انتقدوه لعدم تسميته البريطانيين أعداء: "إذا عاملناهم بعدالة، فلا بد من كسب تأييدهم."

أما تصرف غاندي خلال الحرب العالمية الثانية فقد أربك العديد من الغربيين. وحين بدت اليابان على

وشك اجتياح الهند، نصح غاندي أتباعه بأن يدعوا اليابانيين يأخذون ما شاؤوا من أرضهم، "ولكن دعوهم يشعرون أنكم ترفضونهم." وإذ هبت انكلترا للدفاع عن الهند، ارتأى غاندي أن يدعو الى حملة عصيان من شأنها التعجيل في الاستقلال. ولم يأبه الى أن دعوته تلك تضعف إنتاج السلاح الذي احتاج إليه العسكريون الهنود والبريطانيون على السواء. ووجه رسالة مفتوحة الى الشعب البريطاني المحاصر جاء فيها: "دعوهم يستولون على جزيرتكم الجميلة وبناياتكم الأنيقة. فالتخلي عن هذه المقتنيات لا يعني التخلي عن نفوسكم وعقولكم." ومرة كتب الى نائب الملك: "إن هتلر ليس بالشخص الرديء."

وأدهى من هذا كله تلك الرسالة التي كتبها غاندي الى أدلوف هتلر في ٢٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤١: "لسنا نشك في إخلاصك لوطنك، ولا نظن أنك ذلك المسخ الذي يصوره أعداؤك. إلا أن الكثير من أفعالك يبقى فظيعا. وإننا نقاوم الاستعمارين البريطاني والنازي، ونعدّ الفرق بينهما في الدرجة فقط."

ودعا المهاتما يهود اوروبا الى الرد على هتلر بالانتحار الجماعي. فهذا استشهاد نبيل من شأنه تأليب الرأي العام العالمي الى جانبهم وترك "إرث ثمين" للبشرية جمعاء.

قتلى بالملايين – من ناحية اخرى ظل محمد علي جناح، زعيم الرابطة الاسلامية المتمردة، يدعو طويلا الى تقسيم الهند من أجل إقامة وطن مستقل للمسلمين هو باكستان. وأُثرت عنه العبارة الآتية: "لن أقبل أن يحل طغيان الهندوس محل طغيان الانكليز." إلا أن غاندي قاوم التقسيم بضراوة، متوقعا أن يؤدي الى اراقة دماء كثيرة. وأعلن جناح الخامس عشر من شهر اغسطس (آب) ١٩٤٦ يوما حاسما في مقاطعة البنغال. وكان من نتائج ذلك الاعلان اندلاع أعمال عنف لا مثيل لها في كلكوتا.

وبعد شهرين توجه غاندي ذو السنوات السبع والسبعين الى مدينة نواق هالي التي أريق فيها دم كثير، وراح يهدىء الخواطر بمعاونة ترجمان وأمين سر. وبقي يتجول في المنطقة حافي القدمين أربعة أشهر. ولئن أثمرت مساعيه هناك، إلا أن العنف استشرى كالنار في أجزاء اخرى من الهند.

ونالت الهند استقلالها في ١٥ اغسطس (آب) ١٩٤٧. وفيما جماعات الهندوس والسيخ يزحفون شرقا بعيدا عن الكيان الباكستاني المستحدث، اصطدموا بالمسلمين المنطلقين من شرق البنجاب الى بلدهم الجديد. ولا نجانب الصواب اذا قلنا ان الملايين قضوا في المذابح التي تتالت. وصُعق غاندي وأعلن أنه سيصوم "حتى النهاية" ما لم توقف المجازر فورا. وتوافد الى سريره زعماء المسلمين والسيخ والهندوس قاطعين عهدا بوقف المعارك إلا أن أعمال شغب شنيعة اندلعت في دلهي خلال شهر سبتمبر (أيلول). وأعلن غاندي الصيام من جديد.

والواقع أن دعوة المهاتما أتباعه الى محبة المسلمين أثارت سخط الهندوس التقليديين. وانفجرت قنبلة في أحد اجتماعات غاندي المسائية للصلاة. وإذ راحت الشرطة تفتش الآتين الى الاجتماعات التالية، احتج غاندي على ذلك قائلا ان سلامته الشخصية لا تهمه: "إذ كتب لي الموت، فما أحلاه وسط الصلاة."

وهذا عين ما حدث. فقد لقي غاندي مصرعه وهو في طريقه الى اجتماع حاشد للصلاة عام ١٩٤٨. ولم يكن قاتله مسلما، بل هندوسيا متعصبا مقت أساليب غاندي وعزا إليه أمر تقسيم البلاد. وصرخ المهاتما بعدما مزق الرصاص صدره وبطنه عن مسافة قريبة: "هاي راما" (يا ألله).

ووزع رماد المهاتما بعد إحراق جثته على حكام المناطق، وألقيت نثر منه في أنهار الهند. ووقف تلميذه الاكبر وخليفته جواهر لال نهرو يخطب في ملايين لا تحصى من الأتباع ويقول: "لقد ذهب النور من حياتنا وعمت الظلمة كل مكان."

ضعف بشري - ان سيرة غاندي اليوم - ولما تنقض أربعة عقود على وفاته - تبدو كالأساطير الزاخرة بأعمال البطولة. لكن أحكام التاريخ ينبغي أن تكون أكثر صدقا من أحكام الأفلام السينمائية. ويرى بعض الدارسين أن تصرفات غاندي الغريبة وغير الواقعية أرجأت تحقيق استقلال الهند الذي كان وشيكا.

والواقع أن نجاح المقاومة التي لجأ إليها غاندي - وإن تكن سلمية - كان وقفا على البريطانيين بمقدار ما كان وقفا على أتباعه. وهو نفسه اعترف بالآتي: "يخامرني الشك في أن نجاح دعوتي كان ممكنا ضد أي امة اخرى."

أما طبقة المنبوذين فلم ترفعها مُثُل غاندي كثيرا. ولا منعت هذه المثلُ من خوض حروب دموية مع باكستان بلغ عددها ثلاثا في ثلاثين سنة.

وعلى رغم الاجلال الذي لقيه غاندي من أتباعه ونبل غاياته، فانه لم يكن كاملا. فهو كان حاد المزاج ولاذع الطباع. وقد رفض التعاون مع كثيرين كرسوا أنفسهم للخدمة العامة، وذلك بسبب تسلطه. ولم يردعه ولعه بالخطابة عن القول ذات مرة: "لن احجم عن التضحية بمليون نفس من أجل استقلال الهند،" علما أن أخذ حياة نملة كان شراً في نظره.

وفي السياسة كان غاندي أعنف كثيراً مما بدا. وانطوت فترات صيامه على قوة سياسية عظيمة. فمن كوخه الحقير أغرق العالم بالنداءات والأحاديث الاذاعية والمقابلات الصحافية. وكان كل خبر متسرب من معتزله كافيا لأطلاق المسيرات من بومباي الى بوسطن وبرلين.

ولم تكن معاملة غاندي لعائلته تثلج الصدر. فقواعده الخلقية الصارمة أبعدت أبناءه الأربعة عنه. وكان في السابعة والثلاثين عندما اعتزل الحياة الجنسية كليا وأمر ابنيه الكبيرين بان يحذوا حذوه. وحين أراد ابنه البكر هاريلال الزواج، رفض أن يمنحه

بركته· وتحول هاريلال الى الاسلام·
ولم يمنح غاندي أبناءه العلم الكثير· وحرم زوجته العلم الابتدائي، كما فرض عليها العفة طوال السنوات الاثنتين والأربعين التي تلت قرار اعتزاله الحياة الجنسية· ومرة علق على كآبتها بالآتي: "ان وجهها يبدو كوجه بقرة ساذجة·"

وقد انطوى اعتزال غاندي الجنس على مفارقات كثيرة غير أن تلك "الانحرافات" لا تنتقص من إنسانية غاندي وشجاعته الفائقة· وهو استهل ثلاث حركات شعبية عظيمة في بلاده، ضد الاستعمار وضد العرقية وضد التعصب الديني· ووهب العالم الحديث مثلا صارخا على سطوة اللاعنف· واعتبره العديد من القادة، ومنهم مارتن لوثر كينغ، مثلا أعلى· وقال البرت اينشتاين: "ان أجيالا كثيرة مقبلة لن تصدق أنّ رجلا كهذا كان بشراً من لحم ودم ومشى على الأرض·"

لقد كانت لذلك الرجل عيوبه، كما لكل إنسان· ولكن تملّكه سَعْيٌ الى الكمال لا يعطى كثيرين· ولقد غدا اسطورة في عطفه الانساني وتسامحه الديني ونصرة الفقراء والمحرومين وأهل الطبقات الدنيا الذين أغدق عليهم حسا باحترام الذات فقدوه طويلا·

ومهما تكن أخطاء ذلك الرجل، فهو سوف يبقى في نظر الوف الملايين، المهاتما، أي الروح العظيمة·

■ ليو روستن

شريط الاشواق

ذهبت زوجتي الى باريس بموجب منحة دراسية، لكني لم أستطع مرافقتها لضآلة المنحة وقلة مواردنا· وبعد تبادل الرسائل طوال خمسة أشهر قررنا الاستعاضة عنها بتسجيل ما نود قوله على شريط· وصادف وصول شريط زوجتي الاول يوم عيد ميلادي، وقد دعوت أنسبائي الى منزلنا· وبت مرتبكاً لاضطراري الى اشراكهم في سماع الشريط، علماً أن زوجتي تعبر عن أشواقها وعواطفها من دون مواربة· وسرعان ما استقر اضطرابي لدى وضعي الشريط في الآلة وسماع العبارة الاولى: "هذا الوجه مخصص للعائلة والاصدقاء·"

ا·غ·

عذر عكسي

ذهب جدي، وهو في الخامسة والثمانين، الى منزل جارنا ليقتل بعضاً من الوقت قبل الغداء· وعاد متأخراً وهو يعتذر: "ما أن بدأت أكلمه حتى وجدت أنه لا يكف عن الإصغاء·"

غ·ل·

هـذه التمـاريـن الرياضـيـة البسيطـة يستطيـع كـل منـا ممارستها وهو ينتظر دوره أمام شباك تذاكـر او فـي عـيـادة طبيب او في اي مكان آخر

تمارين بسيطة لغير المستعجلين

ما هو ذلك الشيء الذي لا ينجـو منـه أحـد، فيقـع ضحيته رؤسـاء الشركـات وتجـار السيـارات وموظفـو أسـواق الاسهـم الماليـة وعمـال الادمـغـة الالكترونية وربات البيوت، بل كل واحد منا؟

ذلك الشيء اسمه الانتظار. وكلنا يقضي ساعات أسبوعياً اسرى تلك العملية المقيتة التي ينتج منها الملل والخيبة وفقدان الوقت والطاقة.

لكن ثمة حلا لتلك المشكلة وهو أن نمارس الرياضة خلال انتظارنا. واذا نحن فعلنا ذلك، ففي امكاننا تجنب الازعاج واعانة ذواتنا على تحقيق الصحة الجسدية والنفسية.

فاذا وجد احدنا نفسه، من الآن فصاعداً، في طابور أو سيارة أو على الهاتف او في أي مكان آخر، فليباشر هذه التمارين البسيطة.

هز المعصم

اذا كنت منتظراً دورك أمام مسرح أو صالة سينما، فحاول التمرين الآتي:

١. احزم قبضتك ثم أرخها، مطلقاً لاصابع يدك العنان.

٢. هز معصمك يميناً ويساراً.

٣. حرك معصمك صعوداً ونزولا.

٤. هز يدك بقوة.

مارس هذا التمرين بكلتا يديك. والفوائد التي تجنيها منه هي تحسين الدورة الدموية ومنح يديك ومعصميك

Condensed from «Waiting Games: How to Get Rich, Powerful, Sexy and Healthy While You're Killing Time.» Copyright (c) 1983 by Eleanore Rowe. Illustrated by Jack Ziegler, published by Facts on File Publications, New York, N.Y.

المرونة والقوة. وهذا التمرين يفيدك على نحو خاص اذا كنت من هواة العاب المضرب.

وقت الدعاية

اذا قطع البرنامج التلفزيوني لبث اعلان ممل، فاصرف هذا الوقت على النحو الآتي:

١- استرح في كرسي، شاداً أسفل عمودك الفقري الى ظهره وشابكاً يديك وراء عنقك.

٢- ارفع ركبتك اليمنى والمسها بمعصمك الايسر. ثم بدل الوضع بمعصمك الايمن وركبتك اليسرى.

الفائدة: معدة أقل انتفاخاً ذات عضلات اشد.

تورد الوجنتين

اليك طريقة حسنة لتمضية الوقت انتظاراً لقدوم حبيب العمر:

١- احنِ القسم الاعلى من جسمك نحو الارض، وابقَ هكذا بضع دقائق.

٢- انهض ببطء، كأنك ترفع عمودك فقرة فقرة.

الفوائد: تورد طبيعي على خديك وتحرير أسفل ظهرك من الضغط.

رياضة على الهاتف

اذا كنت ممن يستعملون الهاتف كثيراً، فمارس رفع الاثقال بيدك الحرة. وفي امكانك رفع آلة الهاتف او دليله، او يمكنك شراء كتلة معدنية تزن كيلوغراماً واحداً وحفظها بالقرب من الهاتف.

مارس هذا التمرين وأنت في مقعدك.

احمل الثقل قريباً من صدرك، كل مرة بيد. زد عدد المرات مع الوقت، كذلك الثقل:

١- ارفع الكتلة المعدنية نَصْباً نحو السقف، ثم أنزلها وراء رأسك أبعد ما يمكن.

٢- مدّ يدك، وأنت حامل الكتلة، الى الجانب الايمن أو الايسر (بناء على اليد التي تستخدمها)، ثم حرك ذراعك على هيئة دائرية، أولا الى الامام ثم الى الوراء.

٣- مد يدك جانبياً كما في التمرين السابق، ثم أعدها الى صدرك.

٤- دلّ يدك ببطء نحو الارض لتلامسها.

الفائدة: تقوية الجزء الاعلى من جسمك.

رياضة للقدمين

حين تكون على الهاتف أيضاً، اخلع حذاءك وحرّك قدميك الى الامام والوراء، على قنينة مضلعة. فهذه الضلوع تمسّد أخمص قدميك.

الفوائد: اراحة القدمين وتسريع الدورة الدموية.

الاسترخاء

هذا التمرين يمكنك تأديته في أي مكان، من غير أن يلاحظك أحد:

١٠ شد أجزاء جسمك المختلفة ثم أرخها، مبتدئاً بقدميك وربلتي رجليك وفخذيك صعوداً. وأعطِ كل ناحية خمس ثوان.

٢٠ مع ارخاء كل جزء، ركز انتباهك على شعورك بالاسترخاء واختزن هذا الشعور في ذاكرتك. وعندما يحين دورك بعد انتظار، حافظ على استرخائك، واستدعه الى أي ناحية من جسمك يخالطها التوتر.

الفوائد: تقليص الالم واختزان الطاقة وتنقية الذهن.

في المطارات

لدى انتظارك في مطار، حاول التمارين الآتية:

١٠ ضع يديك على جانبي العربة التي تجرها. حركهما الى الوسط ثم باعدهما.

٢٠ شد قبضتيك جيداً قبل ارخائهما.

٣٠ ضع يداً على كل جانب عمودي. انزل بواحدة وأنت رافع الاخرى، ثم انزل بالاخرى فيما الاولى مرتفعة.

الفوائد: تقوية الذراعين والمعصمين واليدين والجزء الاعلى من الجسم.

رفع الوجه

على الهاتف أيضاً، بمكنك انجاز حركات خاصة برفع الوجه المتغضن والمتهدل:

١٠ افتح فمك على نحو بيضوي محكم. ثم حاول اطباق شفتيك على أسنانك.

٢٠ في الوقت نفسه، أغمض عينيك وارفع حاجبيك.

٣٠ مع ابقاء فمك مشدوداً، الجأ الى عضلات خديك العليا لترسم ابتسامة عند طرفي فمك.

٤٠ عد الى وضعك رويداً رويداً.

٥٠ املأ فمك، وهو مطبق، هواء كما لو كنت تنفخ بالوناً. ابق هكذا بضع ثوان ثم استرخِ.

الفوائد: اقصاء التجاعيد حول الفم مع تقوية عضلات الوجه.

وراء الطاولة

اذا كنت تنتظر قدوم أصدقائك للذهاب الى الغداء، فحاول بعض التمارين وأنت واقف وراء طاولتك أو أي قطعة أثاث اخرى ثابتة:

١٠ قف على بعد متر وراء الطاولة. انحنِ نحوها وأرح يديك عليها، ولتكونا في موازاة كتفيك.

٢٠ انصب جسمك. تنفس بهدوء، ثم اثنِ ذراعيك لانزال جسمك دفعة واحدة.

٣٠ ازفر الهواء فيما أنت تشد ذراعيك لاعادة جسمك الى وضعه.

الفوائد: تقوية العظام والجزء الاعلى من الجسم.

في الصف

اذا كنت واقفاً في طابور، فاستغل الوضع لانجاز الآتي:

١٠ تظاهر بأنك متكىء على جدار. احنِ ظهرك قليلا الى الامام وأنت تثني ركبتيك. حافظ على انتصاب

جذعك ورأسك فيما أنت تفعل ذلك.

٢. اسحب كتفيك الى الوراء ما استطعت. ابق هكذا قليلا ثم استرخ.

٣. خذ نفساً عميقاً. شد عضلات بطنك وأنت تزفر، واصمد هكذا بضع ثوان.

الفوائد: تحسين وقفتك وتجنب التعب من جراء الوقوف.

الضوء الاحمر

عندما توقف سيارتك أمام اشارة حمراء أو بفعل ازدحام حركة المرور، اسحب بطنك الى الداخل. حاول البقاء هكذا حتى يأتي النور الاخضر أو ينفتح السير أمامك.

الفوائد: تجنب انتفاخ البطن والانزعاج من توقف السير.

في الحمام

لدى انتظارك المياه الساخنة لأخذ حمامك الصباحي، افعل الآتي:

١. اشبك يديك وراء ظهرك موجهاً ذراعيك نحو الارض.

٢. خذ نفساً وأنت تشد كتفيك الى الوراء وترفع صدرك ما استطعت.

٣. انحن قليلا الى الامام وأنت تزفر، رافعاً ذراعيك فوق رأسك ما أمكن. حاول تقريب رأسك الى ركبتيك، مع ثنيهما قليلا اذا وجدت في ذلك ما يجهد.

الفوائد: اضافة الى التنشيط الوقتي، يؤدي هذا التمرين الى تخفيف التوتر في عنقك وكتفيك. وهو طريقة جيدة لاستهلال نشاطك اليومي.

■ اليانور رو

كل على ليلاه

لدى خروجهما من حانة قال رجل لرفيقه: "المشكلة هي أنه لا يمكنك العيش معها كما لا يمكنك العيش من دونها."

ـ أجل، انها المرأة! وقديماً قيل: "فتش عن المرأة."

"ومن قال شيئاً عن النساء؟ اني أتكلم عن النقود."

ج.د.

غير معقول

امتعض رجل وزوجته من عبارات تستعملها ابنتهما. فهي تكرر "هائل" و"غير معقول" عشرات المرات يومياً. وذات يوم فاتحها والدها بالامر: "هناك تعبيران يا حبيبتي أود الا أسمعهما منك بعد الآن، أحدهما هائل والآخر غير معقول." فقالت: "وما هما؟"

ا.غ.

ان هذا الناقد دودة كتب حقاً! فهو يقرأ حتى الكتب التي ينشر آراءه حولها.

صحيفة "دي زايت"، هامبورغ

قصة قصيرة

قصة صداقة مؤثرة بين عجوز انكليزية وهندي صغير لا يحب المدرسة

باقة حُبٍّ وحنان

فوق تلة قرب احدى المدن الهندية بيوت شيدها المستوطنون البريطانيون لمئة سنة خلت. وقد تداعى عدد كبير من هذه البيوت فأصبحت ملجأ للقطط البرية والبوم والماعز، وللمُكارين بين الحين والآخر. وبين تلك المساكن المُهملة كوخ نظيف يغطي جدرانه طلاء أبيض، تعيش فيه عانس انكليزية عجوز تدعى الآنسة ماكنزي. وهي تخطت الثمانين، ومع ذلك فما من أحد يلاحظ حقيقة سنها، لأنها بقيت مفعمة بالحيوية والنشاط. كانت تقصد القرية مرة كل أسبوع لشراء الزبدة والمربى والصابون، وزجاجة عطر أحيانا.

عاشت الآنسة ماكنزي في ذاك المكان منذ حداثتها، وذلك قبل الحرب العالمية الاولى. اما والدها وشقيقها وشقيقتها فماتوا جميعا. ولم يكن بقي لها من الأقارب أحد في الهند. وأما مورد رزقها الوحيد فراتب تقاعد ضئيل وبعض طرود ترسلها إليها إحدى صديقات طفولتها. ولم يكن زائروها كثرا، فهي لا تقابل من الناس غير رجل الدين وموزع البريد وبائع الحليب.

والآنسة ماكنزي، على غرار الكثيرين من المسنين الذين يعيشون في عزلة، اتخذت لها أنيسا هرة كبيرة سوداء ذات عينين براقتين صفراوين. وفي حديقة كوخها

الصغيرة كانت تزرع الاضاليا والاقاحي والسحلبيات النادرة. وكانت تعرف الكثير عن الازهار البرية والاشجار والطيور والحشرات. وهي لم تتعرف الى تلك الكائنات من خلال دراسة رزينة متطورة، لكن صداقة حميمة كانت تربطها بكل ما ينمو ويزهر حولها.

قاطف الازهار – نحن في شهر سبتمبر (أيلول) وموسم الامطار شارف نهايته، وقد بدأ القرنفل الهندي يزهر في حديقة الانسة ماكنزي. وجل ما تمنة العجوز آنذاك ألا يكون الشتاء قاسيا لأن مناعتها ضد البرد كانت تتضاءل سنة بعدسنة. وذات يوم فيما كانت تتمشى في أرجاء حديقتها شاهدت تلميذا يقطف الأزهار البرية على المنحدر فوق كوخها. فنادته سائلة: "ماذا تفعل يا فتى؟".

اضطرب الصبي وحاول العدو صعودا صوب الهضبة، إلا أن قدمه زلت على مسلات الصنوبر وانزلق حتى استقر على بساط من زهر الكبوسين في الحديقة. وإذ وجد الصبي أن لا مجال للفرار، نظر الى المرأة وقال بابتسامة عريضة: "صباح الخير يا آنسة."

كان تلميذا في مدرسة إنكليزية متوسطة، يرتدي السترة الخاصة بالمدرسة وربطة عنق. وهو نادى مخاطبته بكلمة "آنسة" كما يفعل معظم التلاميذ الهنود المهذبين.

"صباح الخير،" أجابت الآنسة ماكنزي بلهجة قاسية. "هل لك أن تبتعد عن زهوري؟"

نهض الولد وخطا فوق الزهور بحذر شديد وهو ينظر الى السيدة بعينين متوسلتين.

قالت له: "المفروض أن تكون الان في المدرسة، فماذا تفعل هنا؟"

– إني أقطف الأزهار يا آنسة.

ورفع نحوها باقة من السرخس والزهور البرية.

فاجأها جواب الصبي فأثر في موقفها، لأنها منذ زمن بعيد لم تلتق صبيا يبدي اهتماما بالزهور. وسألته: "هل تحب الزهور؟"

– نعم يا آنسة، أريد أن أصبح نبا... نباتاتيا!

"تعني أنك تريد أن تصبح نباتيا أي عالم نبات، أليس كذلك؟"

– أجل يا آنسة.

"هذا تفكير غريب بالنسبة الى صبي في مثل سنك هل تعرف أسماء هذه الزهور؟"

أجاب الصبي وهو يشير الى زهرة ذهبية صغيرة: "هذه ازرار الذهب." ثمّ أردف وهو يشير الى زهرة حمراء لها أوراق في شكل قلب: "ولكن ما هذه؟"

قالت الآنسة ماكنزي: "إنها زهرة البيغونية البرية، وهذه الأرجوانية اللون هي زهرة المريمية. هل لديك كتب عن الأزهار؟"

– كلا يا آنسة.

"تعال معي الى الداخل لأريك واحدا من هذه الكتب."

زيارات اسبوعية – دخلت العجوز برفقة الصبي غرفة صغيرة قرب مدخل البيت، ملأى بخليط من الأثاث

والكتب والزهريات وعلب المربى. وجلس الصبي خجولا مرتبكا على طرف أحد الكراسي، وللحال قفزت الهرة وربضت على ركبتيه وهي تحدث خرخرة ناعمة.

سألته الآنسة ماكنزي وهي ممعنة في التفتيش بين مجموعة كتبها: "ما اسمك؟"

- أنيل يا آنسة.

"وأين تقيم؟"

- عندما تقفل المدرسة أبوابها أذهب الى دلهي. إن والدي تاجر هناك.

"وأي تجارة يتعاطى؟"

- يتاجر بالمصابيح الكهربائية.

"آه لقد وجدته." ثم سحبت مجلدا ثقيلا عن أحد الرفوف، وقالت: "عنوانه فلورا هيمالينسس، وقد نشر عام ١٨٩٢. والأرجح ان هذه النسخة هي الوحيدة في الهند. إنه كتاب ثمين يا أنيل. فما من عالم طبيعة استطاع تدوين عدد كهذا من أزهار حملايا. إلا أن ثمة نباتات كثيرة لا يعرفها علماء النبات الذين يقتلون أوقاتهم في ابحاث مجهرية بدل تمضيتها في التنقيب والبحث في الجبال. من يدري، فقد يمكنك أنت أن تفعل شيئا في هذا الخصوص في المستقبل."

- أجل يا آنسة.

أشعلت العجوز الموقد ووضعت عليه ابريقا لتحضير الشاي. ثم جلست بجانب الصبي الهندي واستغرق الاثنان في الكتاب. وأشارت الآنسة ماكنزي الى ازهار عدة كانت تنبت في محيط الهضبة حول منزلها، فيما كان الصبي يسجل معلومات حول أسماء هذه الزهور ومواسمها.

وبعدما هم أنيل بالانصراف قال: "هل تسمحين بأن أعود لزيارتك؟"

أجابته: "نعم، إذا شئت ذلك. ولكن ليس خلال دوام المدرسة. عليك أن تواظب والا تنقطع عن صفوفك أبدا."

بعد تلك المقابلة راح أنيل يزور الآنسة ماكنزي مرة في الاسبوع، وكان في معظم هذه الزيارات يأتيها بزهرة ويطلب منها أن تتعرف إليها. وأما هي فكانت ترتقب زيارات الصبي بفارغ الصبر. وعندما كان صديقها الصغير يتخلف عن القدوم أسبوعا كانت تشكوه الى هرتها.

هدية ثمينة - في أواسط اكتوبر (تشرين الأول) لم يبق من الدراسة غير أسبوعين. وتساقط الثلج على الذرى البعيدة. واشرأبت إحدى هذه القمم شامخة فوق رفيقاتها، كقبة بيضاء منصوبة في صدر السماء. وبعيد غروب الشمس كان لون تلك الذروة البرتقالي يستحيل ذهبيا فزهريا فأحمر قانيا.

وسأل أنيل: "كم يبلغ ارتفاع ذاك الجبل؟"

أجابت الآنسة ماكنزي: "لا ريب في أن ارتفاعه يزيد على اربعة آلاف متر. لقد تمنيت دائما أن اذهب الى هناك، ولكن ليس ثمة طريق مناسبة للوصول إليه. إنك تجد على تلك المرتفعات زهورا لا وجود لها هنا، كالجنطيانا الزرقاء والكولومبين الارجوانية وشقائق النعمان."

- سوف أذهب لزيارة تلك الذرى في يوم من الايام.

"أنا واثقة من ذلك."

وعشية انتهاء العام الدراسي جاء أنيل ليودع الآنسة ماكنزي. وقبيل انصرافه وضعت الانكليزية العجوز كتاب "فلورا هيمالينسس" بين يديه وقالت له: "إنه هدية اليك."

- لكنني سأعود في السنة المقبلة وسيتسنى لي عندئذ أن أقرأه. ثم أن الكتاب ثمين جدا!

"إنني اعطيك إياه لانه كتاب ثمين. فأنا أخشى أن يقع في يد بائع جاهل لا يقدر قيمته."

دس الصبي كتابه تحت إبطه ووقف وقفة تأهب وقال: "وداعا يا آنسة ماكنزي." وكانت تلك المرة الاولى التي يلفظ اسم السيدة العجوز.

الفراش البارد - هبت ريح قوية حملت معها المطر وكتل الثلج، فذهبت بأزهار الحديقة كلها. وأقلعت الهرة عن الخروج واتخذت لها من قاعدة السرير ملاذا. وتدثرت الآنسة ماكنزي بشالات ولفاعات عدة لم تقها البرد القارس كما كانت ترتجي.

ثم اثلجت السماء وتخلف بائع الحليب عن مواعيده اياما عدة.

أمضت الآنسة ماكنزي معظم أوقاتها في الفراش لأنه أكثر مواضع البيت دفئا. وكانت تحتفظ بكيس ماء ساخن تضعه خلف ظهرها، والهرة تتكفل بتدفئة قدميها. وراحت تحلم بالربيع والصيف. فبعد ثلاثة أشهر تشق زهرة الربيع بطن الأرض وتخرج الى النور... ويعود أنيل.

وذات ليلة انشق كيس الماء الساخن وبلل السرير. واحتجبت الشمس طوال أيام وبقيت بطانيات السرير مشبعة بالرطوبة. وأصيبت الآنسة ماكنزي بقشعريرة البردية فاضطرت الى ملازمة سريرها البارد غير المريح.

وفي ليلة أخرى عصفت ريح عاتية ففتحت نافذة غرفة النوم على مصراعيها. وجرفت الريح المطر وكتل الجليد الى داخل الغرفة. واندست الهرة بسيدتها تلتمس الدفء. وفي الصباح فقد جسد العجوز المسكينة كل حرارة، وغادرت الهرة مرقدها في الفراش.

جاء بائع الحليب فيما كان شعاع الشمس يتسرب من نافذة الغرفة. وسكب البائع بعض الحليب في الوعاء الموضوع على عتبة الباب، فقفزت الهرة الى الارض.

رفع بائع الحليب صوته بتحية للآنسة ماكنزي. لكنه لم يلق أي جواب. وإذ كان الرجل يعلم أنها تنهض قبل بزوغ الشمس، أطل برأسه من خلال النافذة المفتوحة ونادى مرة أخرى. ولم ترد الآنسة على ندائه. لقد فارقت الى الجبل حيث منابت الجنطيانا الزرقاء والكولومبين الارجوانية.

■ **راسكين بوند**

لكي تضع ولدك على الطريق التي تختارها له، حاول سلوك هذه الطريق من وقت الى آخر.

ج.ب.

هل صحيح ان من واجب الاب تعليم اولاده قيادة السيارة ؟

دَرسٌ في القيادة

اعتقد انه من واجب المدرسة ان تكتفي بتعليم القراءة والكتابة والرسم والحساب وتترك للوالدين الاهتمام بالمواد الاخرى كقيادة السيارة ومشاكل المراهقة وآداب الهاتف. وتوافقني زوجتي ماغي على ذلك فتقول: "لنتقاسم المسؤوليات. انت تعالج مشاكل المراهقة وانا اعلم القيادة. اما آداب الهاتف فنتولى تعليمها مناصفة."

توزيع المسؤوليات هذا بدا لي سيئا للغاية. فالتغيرات الجسدية مثلا ليست واضحة لي ولا يعادلها وضوحاً الا استيعاب ماغي فكرة حشر السيارة بين سيارتين في الموقف.

قالت ماغي: "منذ مدة وانا افكر. جيني تمر بفترة حرجة من عمرها. ولدى المدرسة موظفون تدربوا على تدريس هذه الامور."

سألتها هل تتكلم عن القيادة ام عن المراهقة، فقالت: "جيني في السادسة عشرة. واذا كانت هناك امور لا تعرفها، فمن المستبعد انها ستتعلمها منا."

قلت اني مع ذلك ارى من واجب الأب تعليم اولاده فن القيادة. انه تقليد متعارف عليه في الاسرة. فانا تعلمت القيادة من والدي.

قالت ماغي: "يبدو أن والدك كان اسوأ سائق في العالم."

- بل هناك من كان اسوأ منه. والدتي.

"ومن علمها ؟"

- والدي.

اشارات غبية - كانت جيني تستمع الى راديو السيارة عندما جلست بجانبها. قلت: "اريد ان اقاطعك لحظة عن الاستماع الى برنامجك

هذا. الخطوة الاولى هي ان نضع المفتاح في مكانه. انه الآن في مكانه على كل حال. الخطوة الثانية هي ان ندير المفتاح" سمعت للحال تأوهاً عالياً وقالت جيني: "سبق ان علمتني والدتي ادارة المحرك."

- ادرك ذلك تماماً، ولكن تأكدي من الا تديري السيارة الا اذا كان المحرك مطفأ.

"حسناً. ثم ماذا؟" رفعت صوت الراديو ثم قشرت حبة علكة (لبان).

- يكفي هذا الآن. اذا تذكرت ما تعلمته حتى الآن، فهذا يعني انك ستفلحين في ما بعد.

السائقون الرجال، خلافاً للمعتقدات الشائعة، لا يعتبرون السائقات صنفاً من البشر دونهم شأناً. ولكن من العبث ان تقنع امرأة بذلك. وكما قلت لزوجتي، فليس هناك سبب على الاطلاق يمنع المرأة من ان تكون على مستوى الرجل في القيادة. كانت ماغي اثناء ذلك تقود السيارة.

قلت لها: "خذي مثلا سكرتيرة الرئيس الآنسة اوغلثورب. انها تقود سيارتها السبور وكأنها في سباق دولي. يجب ان تشاهديها بعينيك."

- كم بودي ان افعل.

"حاذري تلك الشاحنة!"

والظاهر ان النساء السائقات يعتبرن اشارات المرور اقتراحات اكثر منها اوامر. ماغي مثلا لا تستعمل موقف السيارات الكائن خلف مبنى البريد. "وما الغرض من ذلك؟" تقول لك. "من السهل دائماً ان تجد مكاناً امام المبنى."

"طبعاً،" اقول انا، "فالوقوف ممنوع هناك."

تعتقد ماغي ان ٩٠ في المئة من اشارات المرور لا مبرر لوجودها. تقول: "هدوء: مستشفى!" الاجدر ان توضع تلك الاشارة داخل المستشفى نفسه. فالضوضاء تأتي من هناك."

اقول: "يمكنك ان تتابعي السير. فالشرطي يشير اليك."

- "انتبه: طيران منخفض!" بحق السماء، ماذا ينتظرون منك ان تفعل في هذا الشأن؟

"تمهلي. كدت ان تصدمي ذلك الشرطي."

- نعم؟ اخبرني المزيد عن الآنسة اوستندورب."

"اسمها اوغلثورب. حسناً..."

- "انتبه: معبر غزلان!" حتى الآن لم اشاهد غزالا واحداً، فقد يصدمك احدهم من الخلف. ربما كان صياداً اطل برأسه من النافذة بحثاً عن قرون وعل ما."

"حاذري عامل الحفريات!"

- انها كالرجال تماماً تلك الاشارات، دائماً تقول لك اموراً تعرفها." الطريق زلقة عندما تكون رطبة!" كل الاشياء تكون زلقة عندما تكون رطبة. لا بد ان واضع الاشارة مهندس طرق يظن نفسه الوحيد الذي اكتشف ذلك."

"تلك الشاحنة على وشك الانعطاف!"

اساليب النساء - كانت ماغي تحادث جيني في المطبخ: "هل تعرفين ما هي العلامة الفارقة للمرأة السائقة؟ انها تعجب الرجال."

- ماذا تعجب؟

"ان اتقانك القيادة كالرجال لا

يستغرق وقتاً طويلا٠ اما تعلمك ان تكتمي الأمر،فذلك يستغرق العمر كله٠"

– لكن ماذا افعل عندما يتصرف أبي كالأبله؟ كأن يعطي الاشارة الضوئية في الاتجاه المعاكس او يوقف السيارة مرتقياً الرصيف؟"

"لا شيء، تجاهلي الامر٠ تحدثي عن الطقس، ولكن اياك ان تنتقدي اخطاء والدك٠"

– واذا كان المخطىء شاباً يترنح بالسيارة ويقلع ثم يقف بارتجاج؟

تضحك ماغي قائلة: "حاولي الخروج مع سائق أفضل منه٠"

– ولكن لنفرض ان هذا الشاب يعجبك كثيراً٠

"حسناً، اضبطيه وهو يؤدي حركة على النحو الصحيح ثم اخبريه كم هو سائق متأن٠ قولي انك تتمنين فقط لو امكنك ان تقودي مثله٠"

قالت جيني انها لا يمكن ان تفعل ذلك، بل تفضل ان تبقى صامتة٠ فاكدت لها امها: "بل يمكنك ان تفعلي اذا كنت تحبين الشاب حقاً وباخلاص٠"

كنت انتظر ماغي في السيارة٠ لم اكن حانقاً، بل ربما مستاء قليلا لان زوجتي احست بضرورة تلقين ابنتي كيف تحادثني، كأني انا الطفل لا هي٠

اعتذرت ماغي لانها تركتني انتظر، وانطلقت في الشارع اقود على طريقتي المعهودة وانا مسترخ ولكن على حذر٠ ولأني كنت اقود بانتباه زائد فقد تمكنت من رؤية السيارة المقبلة من شارع جانبي فضغطت الكابح بشدة٠ لكن ذلك لم يكن ضرورياً لأن تلك السيارة توقفت٠ التقطت ماغي محفظتها من ارض السيارة فقلت: "انا آسف٠"

قالت: "لا داعي الى الأسف٠ لقد باغتني وقوفك لأنك في العادة سائق متأن٠" ثم تناولت محرمة من المحفظة وقالت: "طالما تمنيت ان اكون ماهرة مثلك في القيادة٠"

نظرت بطرف عيني لأرى ما اذا كانت تسخر مني٠ ولم يكن الامر كذلك، انما كانت تحاول ان تكون لطيفة٠ واعتدلت في جلستي وانا اقود بأهدأ ما يكون٠ ربما بهدوء اكثر من اللزوم، لان السيارة توقفت٠ لا، لم تزعجني الملاحظة٠ فالمرء يشعر بالارتياح حين يعلم ان هناك من يحبه حقاً، وباخلاص٠

■ **ويل ستانتون**

رجل في الدار

فتحت خادمتنا الجديدة الباب، وكان الطارق صديقاً حميماً للعائلة لم تبصره من قبل٠ وبادرها بقوله: "أخبريهم أني هنا٠"

وجاءت الي تقول: "سيدتي، في الباب رجل يقول انه هنا٠"

م٠غ٠

الكل يوافق على أن الغفران فكرة رائعة، الى أن يواجه موقفاً يقتضي الغفران٠

سي٠ اس٠ لويس

حَقائِق حُلوة عَن السُّكر

تلك المادة اللذيذة التي يطلقون اسمها على الحسناوات اخذت تكتسب سمعة سيئة يقول هذان الخبيران انه لا مبرر لها

في السنوات الاخيرة زادت الاقاويل ان السكر من اشد الآفات هولا٠ واصبح يتردد ان السكر اصل كل علة، بدءا بالسمنة وانتهاء بصعوبات التعلم، فيكاد لا ينجو من هجماته الفتاكة معمر او رضيع٠

حتى الحكومة الاميركية نفسها كانت على اهبة الاستعداد لتعزيز هذا الاعتقاد٠ فبعدما اعلنت لجنة التغذية والحاجات البشرية المنبثقة من مجلس الشيوخ، في تقريرها الصادر عام ١٩٧٧، ان السكر شر يمكن تلافيه، اقترحت الوكالة الاتحادية للتجارة حظر الاعلانات التي تروج للسكاكر في برامج الاطفال (لكن الاقتراح

Consensed from «The One-Hundred-Percent Natural Purely Organic, Cholesterol - Free Megavitamin, Low - Carbohydrate Nutrition Hoax,» (c) 1983 by Elizabeth M. Whelan and Fredrick J. Stare, and used by permission of William Morris Agency, New York.

سقط لاحقا) . وانضم مصنعو الاطعمة الى القافلة واصبحت اعلاناتهم التلفزيونية تهتف قائلة: "مقدار منخفض من السكر." وبات الناس يتبجحون بانهم اقلعوا عن استعمال هذه المادة، كأن ذلك فضيلة في ذاته.

هذا الخوف من السكر مرده في الغالب الى معتقدين خاطئين يسودان الولايات المتحدة. اولهما ان استهلاك الامريكيين السكر بلغ حدا لم يسبق له مثيل. وثانيهما ان السكر يسيء الى الصحة.

لكن الاحصاءات الرسمية تشير الى ان معدل استهلاك السكر العادي (السكروز) في الولايات المتحدة لا يزال على حاله منذ سبعين سنة، بينما زاد استهلاك المُحليات الاخرى بنسبة كبيرة، خصوصاً مركزّ الذرة الذي يضاف الى الاطعمة المصنعة. وتشمل الاحصاءات المتعلقة بالمحليات ايضا المواد التي تضاف الى منتجات مثل صلصة البندورة (الكتشاب) وصلصة السلطة المعلبة، كما تشمل المشروبات غير الكحولية والحلويات. لذلك تتباين كثيرا التقديرات حول الكميات التي يستهلكها الناس من مادة السكر.

ولكن ما هو السكر؟

كيميائيا يطلق اسم السكر على مركبات عدة، الا ان قلة منها تتوافر في الاطعمة التي نتناولها. والاكثر شيوعا بين المحليات التي تضاف الى الاطعمة هو السكروز المستخرج من الشمندر او قصب السكر، ومركزات الذرة. ومن انواع السكر المتوافرة طبيعيا اللاكتوز الموجود في الحليب، والغلوكوز والفروكتوز وكلاهما متوافر في الخضر والفاكهة عموما. ولكي يتمكن الجسم من هضمها يجب ان تتحول كل هذه الانواع الى غلوكوز، وهو السكر الموجود في الدم. وهكذا فكل الانواع متساوية بالنسبة الى الجسم البشري الذي لا يهمه المصدر الذي يأتي منه السكر.

اما الناس الذين يولون صحتهم اهتماما فائقا فيرتأون ان السكر الابيض المكرر يشكل خطرا على الصحة، الا انه لا بأس بالمحليات ذات المصدر الطبيعي. لكن الواقع ان جزيء السكر هو جزيء سكر، سواء أكان مكررا ام لا. ومن المسلم به ان سكر الطعام لا يحتوي على اي فيتامينات او املاح او بروتيينات، في حين ان المغذيات في السكر الاقل نقاوة - كالسكر الاسمر او العسل - ضئيلة الى حد تكون معه عديمة الاهمية. فاذا كنت تفضل طعم السكر الاسمر او العسل على السكر العادي، فلا بأس من تناوله. لكن لا تظنن انك تتناول شيئا اكثر قيمة من الناحية الغذائية.

والمفاهيم الخاطئة السائدة تتعدى الاعتقاد الغامض ان "السكر مضر بصحتك." وفي ما يأتي نلقي نظرة على "التهم" الموجهة الى السكر.

السمنة. الوحدات الحرارية الزائدة على اللزوم، بصرف النظر عن مصدرها، تسبب السمنة. وليس هناك نوع معين من الوحدات الحرارية يسبب السمنة اكثر من سواه. الا ان

غراما واحدا من الدهن يحتوي على ضعفي الوحدات الحرارية الموجودة في كمية مماثلة من الكربوهيدرات (بما فيها السكر) والبروتيين. وهكذا فان مسحة من الزبدة على قطعة من الخبز المحمص تسبب ضعفي السمنة التي تسببها الكمية نفسها من الهلام (جيلو). فمن العبث اذاً اعتماد وجبة طعام خالية من السكر ثم ابدال السكر بمرق اللحم او البطاطا المقلية او اي من الاطعمة الدهنية الاخرى.

داء السكري. يهضم الجسم السكر الموجود في الدم بواسطة هرمون الانسولين الذي تفرزه غدة البنكرياس. ولدى حصول داء السكري يعجز البنكرياس عن افراز الكمية الكافية من الانسولين، او يكون الانسولين الذي يفرزه عاجزا عن اعطاء التأثير المطلوب. فمرضى السكري معرضون لارتفاع معدل السكر في دمهم، خصوصا بعد تناول السكر. ولكن لم يثبت حتى الآن ان تناول المواد السكرية يسبب الداء.

نقص السكر في الدم (هايبوغليسيميا). وهو نقيض مرض السكري. في هذه الحال يفرز البنكرياس كمية زائدة من الانسولين مما يخفض معدل السكر في الدم. وهذا المرض نادر الحصول، وتشبه اعراضه على نحو عجيب اعراض القلق المرضي، كأن هذه الحال المرضية وجدت خصيصا لمرضى الوهم الذين يصرون على ان يكون لهذه المجموعة من الاعراض الغامضة اسم معين.

وينخفض معدل السكر في الدم لدى مرضى الوهم الحقيقيين، وهم قلة ضئيلة، بسبب اورام في البنكرياس. ومن الاقوال الشعبية "الحكيمة" ان تناول وجبة غنية بالسكر (خصوصا المكرر منه) يثير البنكرياس فيفرز كمية زائدة من الانسولين، مما يؤدي الى تدني معدل السكر في الدم. ولكن من الواضح ان هذا الكلام عار من الصحة.

تسوس الاسنان. لا شك في ان السكر يسبب نخرا في الاسنان. ولكن من الخطأ الاعتقاد ان مشاكل التسوس يمكن ان تحل بمجرد ابدال سكر الطعام بالعسل "الطبيعي" او الفاكهة المجففة. فأهم ما في الامر الفترة الزمنية التي تتعرض فيها الاسنان للسكر. فكلما كانت المادة السكرية دبقة، طالت فترة تلامسها مع الانسان، وزاد بالتالي الضرر الناجم. والطريقة الوحيدة لاختصار مدة تعرض الاسنان للسكر هي في عدم تناول السكاكر اللزجة بين وجبات الطعام وتنظيف الاسنان مرارا. فالجراثيم الكامنة في الفم لا يهمها على الاطلاق نوع السكر الذي تعيش عليه. فبعض الاطعمة "الصحية" كالزبيب يمكن ان تستقر بين الاسنان طوال النهار مؤمنة طعاما شهيا للجراثيم.

امراض القلب. عام ١٩٦٤ اطلق طبيب بريطاني تهمة انتشرت على نطاق واسع عبر وسائل الاعلام، وهي ان السكر عامل مسبب لامراض

القلب. وقد توصل يودكين الى فرضيته هذه من طريق مقارنة مقدار السكر الذي يتناوله ٤٥ مريضا بالقلب باستهلاك ١٣ من ضحايا حوادث السيارات الذين كانوا يعالجون في المستشفى نفسه و١٢ رجلا آخر ممن يقيمون في المنطقة. واظهرت هذه الدراسة ان مرضى القلب يستهلكون من السكر اكثر بكثير من سواهم. وهكذا استنتج ان هذه المادة مضرة بالقلب.

الا ان نظرة سريعة على بعض الاحصاءات البسيطة تظهر لنا بطلان هذه الفرضية. فلو كانت هناك فعلا علاقة بين استهلاك السكر وامراض القلب، لوجب ان ترتفع نسبة الاصابات في البلدان التي تستهلك نسبة عالية من السكر. لكن الواقع ان عددا من هذه البلدان، مثل فنزويلا وكوبا والبرازيل وكوستاريكا، تنخفض فيها نسبة الاصابات بهذه الامراض الى حد ما.

عوائق التعلم. كثيرا ما نسمع ان السكر يسبب صعوبات في التعلم، وليست هناك اي دراسات علمية تدحض هذه الفرضية. وما يروج عن هذا الموضوع ليس سوى نتيجة دراسات غير دقيقة وتقديرات وآراء شخصية. كذلك ليس هناك ما يثبت المزاعم القائلة بان السكر ومشتقاته تسبب انحرافات سلوكية. فقد حدث في سان فرنسيسكو (كاليفورنيا) ان اغتال احد المراقبين عمدة المدينة ومراقبا آخر، ثم ادعى في شهادة الدفاع انه كان تناول الكثير من الحلوى والسكاكر قبل الجريمة مباشرة.

وتزعم سيدة من دعاة "الطعام الصحي" ان افراد "عائلة" مانسون المشؤومة الذين قتلوا الممثلة شارون تيت كان غذاؤهم الرئيسي اصابع السكاكر. وتقول: "لا جريمة حيث يكون الطعام جيدا."

هذه الفرضية ومثيلاتها لا تزال تنقصها البراهين العلمية المحسوسة.

الوحدات الحرارية "الفارغة". الادعاء ان السكر مشحون بالوحدات الحرارية "الفارغة" هو قول سخيف. فكل الوحدات الحرارية هي وحدات "ممتلئة" اي مشحونة بالطاقة. واستعمال السكر بدل المغذيات الاخرى يحدث خللا في التغذية. ولكن لا بأس من تناول بعض الاطعمة الجاهزة والسكاكر بين حين وآخر لسد حاجة الجسم من الوحدات الغذائية، بشرط ان يعتمد المرء نظاما غذائيا متوازنا.

الشواهد واضحة اذاً: السكر حلو المذاق، لكن ذلك لا يعني انه مضر بالصحة.

■ اليزابيت ويلان وفردريك ستار

بعض الخير يؤذي

اياك أن تؤدي خدمة لأحد الناس اذا كانت تجرّ الاذى على سواه. فالذي يتلقى الحسنة ينسى، أما الذي يتلقى الاذية فلا ينسى.

ف.ج.

هاوي نجارة يقدم ارشادات سهلة وعملية

النَّجار الشَاطِرْ

معظم ما اعرفه عن النجارة – وهو لا شيء تقريباً – تعلمته في مشغل المدرسة. بدأت التدرب في المشغل في الخمسينات حين كان الصبيان يتدربون في المشاغل والفتيات يتدربن على الاقتصاد المنزلي، وهذه تسمية رمزية للطهو... ولم يعد يسمح الآن للمدارس بفرز الصبيان والفتيات على هذا النحو.

كذلك لم يعد يسمح بوضع رؤوس التلاميذ بين فكي ملزمة، كما فعل معلمنا في المشغل السيد شميدت بروبي وليمس الطالب في الصف الابتدائي الخامس حين ارتكب خطأ واستعمل الازميل بدلا من مفك البراغي. كان المعلم شميدت متشدداً في استخدام الادوات على الوجه الصحيح. وانا اعتقد انه ما كان يجوز له ان يضع رأس روبي بين فكي الملزمة، لكني اراهن على ان روبي لن يرتكب هذه الغلطة مرة اخرى حتى نهاية عمره، هذا اذا عاش ليبلغ نهاية العمر.

في اشراف المعلم شميدت صنعنا بالتطريق اشياء على جانب من البشاعة والتفاهة يفوق ما يمكن ان يتصوره عقل انسان. اول مشروع

Condensed from Rodale's New Shelter (February '82).
(c) 1982 by Feature Associates, San Rafael Calif. with additions by the Author

رئيسي نفذناه كان صنع رف كتب صغير يمكن استخدامه ايضاً كمقعد. فذات يوم وانت تبحث عن كتاب، يخطر في بالك فجأة ان تجلس. فتلقي بالكتب جانباً، وهاك المقعد بين يديك.

وطوال السنوات التالية استخدمت المهارات التي اكتسبتها في المشغل لصنع اشياء جمة نافعة. وعلى سبيل المثال صنعت اخيراً لوحاً من الخشب.

أفدت من هذا اللوح في اغراض عدة. اني اقف عليه حين اضطر الى تناول جواربي من المجففة عندما تكون ارض غرفة الغسل مغمورة بالماء. وغالباً ما تعلو هذا الماء طبقة كثيفة من الحثالة القذرة. كذلك استخدم هذا اللوح لأهشم عنكبوتاً... كل فصائل العنكبوت حشرات قاتلة، فلا تصدق ذلك السخف الذي تقرأه في المجلات العلمية. وبعد ان اهشم العنكبوت أبقي اللوح مغموراً بالماء وسطحه الذي هشم العنكبوت الى أسفل لكي تزول عنه بقايا ذلك الوحش الكريه.

من اجل صنع لوح من الخشب تحتاج الى ما يأتي:

المواد: لوح من الخشب، طلاء.

المعدات: ازميل، مثقب يدوي.

يمكنك ان تحصل على قطعة الخشب من احد العنابر الخاصة. ولكن حذار، فعنابر الخشب زاخرة بالغرائب. فاذا كنت تعرف تماماً حجم القطعة التي تنشدها، فاسأل الرجل عن حجم مغاير. واذا لم تكن تعرف اي حجم تريد، قل له انك تبغي لوحاً من الخشب لتهشيم عنكبوت، عندئذ يدرك ما انت في حاجة اليه.

عليك ان تطلي اللوح لكي يفهم الناس انه من انتاج نجار منزلي. وانصحك باستعمال لون قاتم، اي لون احشاء العنكبوت. استخدم الازميل لفتح علبة الطلاء وابق المثقب اليدوي جاهزاً قربك خشية ان يكون المعلم شميدت يرصد نشاطك عن كثب.

بعد ان تفرغ من صنع اللوح يمكنك ان تتدرج نحو مشاريع اكثر تطوراً، كالقيثارة مثلاً. ولكن اذا كنت حقاً عازماً على ممارسة النجارة المنزلية، فيجدر بك ان تجهز نفسك بمشغل منزلي. وستجد هذا المشغل مفيداً جداً لتخزين مرشة الماء التي تروي بها ازهار الحديقة وسواها من الاشياء التي تنوي ان تصلحها قبل ان تقضي اجلك في هذه الدنيا. ولقد اتفقت وزوجتي على خطة من ثماني مراحل لتقرير الاشياء التي يجب اختزانها هناك:

١. تبلغني زوجتي ان شيئا ما في البيت تعطل. فتقول: "المصباح على الطاولة بجانب سريري لا يضيء."

٢. انتظر بضعة اشهر على أمل ان تكون زوجتي مخطئة في شكواها.

٣. تبلغني زوجتي انها ليست مخطئة: "المصباح لا يزال معطلا."

٤. اجري تحقيقات أولية. ادير المفتاح والاحظ ان المصباح لا يضيء حقاً، فأقول لزوجتي: "انك على حق. المصباح معطل."

٥. انتظر مدة تراوح بين ستة وتسعة اشهر على أمل ان يصلح الله المصباح او أن يشن الاتحاد السوفييتي هجوماً على الولايات

المتحدة فيتحول العالم كله كتلة متوهجة من الرماد النووي ولا يبقى ثمة من يأبه لمصباح معطل.

٠٦ تنذرني زوجتي بأن المصباح لا يزال معطلا وتصيح في ساعة متقدمة من الليل: "المصباح لا يزال معطلا" (مشدّدة على عبارة "لا يزال").

٠٧ احاول اصلاح المصباح في موقعه، ثم انهال عليه ضرباً. هذا غالباً يجدي في محاولة اصلاح المصابيح، لكنه نادراً ما يفيد في اصلاح الافران الكهربائية.

٠٨ اذا لم ينجح الاصلاح في الموقع أقول: "سيتعين علي ان انزل هذا المصباح الى المشغل المنزلي." وهذا اسلوبي في افهام زوجتي انه يجدر بها شراء مصباح جديد.

اذا اتبعت هذا النهج ستجد بعد بضع سنوات ان مشغلك المنزلي امتلأ بالاشياء المعطلة. حتى ذلك الحين يبدو المشغل خاوياً، ولذا يجدر بك ان تحصل على معدات وادوات. ولكي تضفي على مشغلك مظهراً جذاباً ينفي عنه صفة الخواء، اشتر ادوات باهظة الثمن وعلقها على لوحات في ترتيب جميل.

انك تحتاج اساساً الى اربعة اصناف من الادوات:

● ادوات تصيب بها نفسك (مطارق، فؤوس).

● ادوات تجرح بها نفسك (مناشير، سكاكين).

● ادوات تخز بها نفسك (مفكات براغ، ازاميل).

● ادوات اذا سقطت منك بالوضع المناسب تخرق قدمك (مخارز).

يجب التنبه الى ان كل هذه الادوات خطرة ولذا اياك ان تلمسها ابداً.

اذا حدث في اثناء حال طوارئ عمومية ان اضطررت الى استخدام ادواتك، فعليك باتخاذ اقصى درجات الحيطة. انا مثلا املك منشاراً آلياً دواراً له شفرة قاطعة تدور بضعة مليارات الدورات في الثانية ويمكنه ان يبتر احد اطرافك في أقل من رمشة عين. وحين اضطر الى استعمال هذا المنشار احتاط بأتباع أسلوب أمان وضعه فنيو الاشعة السينية (اكس). قبل كل شيء اغادر الحجرة واقطع التيار الكهربائي عن البيت كله. اضع قطعة من الخشب قرب المنشار ثم ادخل شريطه في المقبس الكهربائي. بعد ذلك اتراجع بحذر الى الحجرة الاخرى وأعيد التيار الى المنزل.

اني املك كذلك مسحاجاً وهو آلة أشدد في التوصية على اقتنائها. مسحاجي لم يسبب لي اي متاعب، حتى وان فعل لما دريت بذلك لأني لا املك ادنى فكرة عن الغرض منه. وقد اشتريت هذا المسحاج لأنه كان معروضاً للبيع.

يقول كتاب التعليمات الذي جاء مع المسحاج انك تستطيع استخدامه في صنع شيء ما. ربما كان هذا الشيء يصنع من قطعة خشب.

■ ديف باري

السر في بيع منزلك أن تجعله يبدو كأن أحداً لم يسكن فيه البتة. ا.ب.

جندي من جنوب افريقيا يحرس ليلا تحسباً لهجمات الثوار.

تقف تلك الارض بين شفق الامل وفجره ويتطلع ابناؤها بلهفة وقلق الى المستقبل

ناميبيا أيّ مُستقبل

وقضى محاربو البشمان الليل كله يرقصون حول النار وبدت اجسادهم الصفراء أشبه باللهب وسط جلبة الطبول وغناء النساء. فهذا المرح الصاخب مظهر من مظاهر حضارة في طريق الزوال يهدف الى تحدي الارواح الشريرة التي تستقر في ظلام ادغال ناميبيا.

كان البشمان يملكون معظم أجزاء افريقيا الجنوبية الغربية، ثم حلت محلهم قبائل سوداء شديدة البأس هاجرت من الشمال قبل زمن يراوح بين ثلاثمئة وخمسمئة سنة. وكثير من راقصي البشمان يلبسون الآن بزات القتال الخاصة بقوات دفاع جنوب افريقيا. وهم يستخدمون براعتهم القديمة في القتال لمقاومة فدائيي المنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا الذين يتخذون انغولا قاعدة لهم ويقاتلون لانهاء سيطرة جنوب افريقيا على ناميبيا.

Condensed from National Geographic (June 1983).
(c) 1982 by National Geographic Society, 17 and M Streets N.W., Washington, D.C.

زوجان يرفعان قبضتيهما تحية للمنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا٠

وهؤلاء الفدائيون ليسوا سوى ارهابيين في نظر الفرق العسكرية الكثيرة التابعة لافريقيا الجنوبية والمتمركزة على طول الحدود الشمالية مع انغولا التي تمتد ١٥٥٤ كيلومتراً٠ غير ان الامم المتحدة ترى في هذه المنظمة "الممثل الشرعي والوحيد للشعب الناميبي٠" وقد حكمت جمهورية جنوب افريقيا المنطقة التي تبلغ مساحتها ٨٢٤،٢٦٩ كيلومتراً مربعاً والتي تسمى ايضا جنوب غرب افريقيا منذ ما انتزعتها قوات الحلفاء من الالمان في الحرب العالمية الاولى٠

تعني كلمة ناميب "الارض المستباحة٠" لكن هذا المعنى لا ينطبق على ناميبيا اذ ان ٩٠ في المئة من سكانها ينتمون الى قبائل من السود تختص كل منها بحضارة وتاريخ متميزين٠ وفي ناميبيا ايضاً قبائل من البيض متحدرة من المقيمين الألمان او الافريقانيين او البريطانيين٠ وقال لي احد علماء الانثروبولوجيا (★): "اننا نتكلم في ناميبيا ٢٧ لغة ولهجة مختلفة فيجب الا تتوقع منا التعبير عن انفسنا بطريقة واحدة٠"

اما اذا نجحت المفاوضات الدولية في السنوات القليلة المقبلة، فسيكون لناميبيا موقف موحد في اشراف الامم المتحدة يؤدي الى انتخابات دستورية تقود الى الاستقلال٠ وسوف يكون ذلك اول امتحان سياسي حقيقي للمنظمة الشعبية التي قد تناهض اندماج الاحزاب القبلية في الاحزاب المنشقة كما حصل في التحالف الديموقراطي

(★) علم الانسان٠

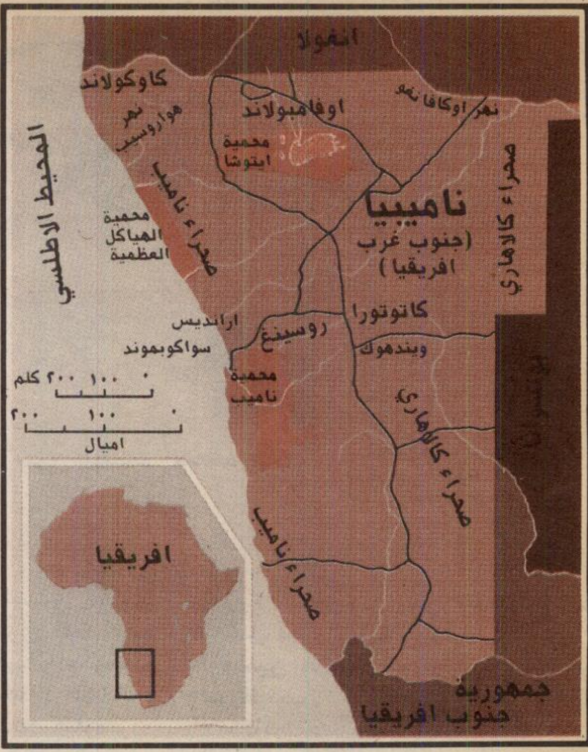

الذي قاد البلاد مدة اربع سنوات الى ان استأنفت حكومة جنوب افريقيا حكمها المباشر في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣٠ وقد رفضت الامم المتحدة الاعتراف بهذا الحزب لكونه دمية تعمل على تشجيع العداوات القبلية والحفاظ على سلطة ٧٦ ألف شخص من السكان البيض٠

التمييز العنصري – بعد اقامتي شهرين في ناميبيا أظن ان من الصعب اطلاق تعميمات مماثلة٠ فقد التقيت زعماء بعض القبائل الذين يؤيدون فعلا حكومة جنوب افريقيا كما التقيت رجالا من البيض ينددون بها٠ كذلك اتيحت لي محادثة ثائرين من المنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا واشخاص من قدماء المناضلين عادوا من المنفى ليمارسوا العمل السياسي في وطنهم٠ فاذا صح ان هناك دمى، فمن العسير تتبع خيوطها بدقة٠

لقد الغيت في ناميبيا قوانين مجحفة تتعلق بالتمييز العنصري٠ "الا ان التمييز العنصري الحقيقي ما زال قائماً،" على حد تعبير سليمان ميفيما

احد مؤسسي "المنظمة الشعبية الديموقراطية لجنوب غرب افريقيا،" "فالسود لا يتقاضون اجوراً عادلة ويعانون الامية ويفتقرون الى بيوت صالحة للسكن."

في كاتورا احدى ضواحي العاصمة وندهوك التقيت عاملا شاباً من قبيلة هيريرو. وعرفت انه يسكن على نحو غير قانوني مع أربعة اشخاص راشدين وعشرة اطفال في بيت من ثلاث غرف يبلغ ايجارها ٤٠ دولاراً في الشهر. وهو موظف في وندهوك يتقاضى راتباً شهرياً مقداره ٢٨٠ دولاراً اي نصف ما يتقاضاه زميله الأبيض. ويقول هذا العامل: "انهم يعللون ذلك بقولهم اني لا احتاج الى مزيد من المال لأن نصيبي من ايجار البيت زهيد، لكن هذا يعني اني لن استطيع السكن في مكان آخر."

والملاحظ في ناميبيا تعدد الولاءات ضمن المجموعة الواحدة. غير ان معظم افراد قبيلة الهيريرو الذين يبلغ عددهم سبعين الفاً هم من الانصار المتحمسين لحزب الاتحاد الديموقراطي. اما قبائل اوفمبو السبع القوية فتنزع الى مناصرة المنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا. ويبلغ عدد افراد هذه القبائل ستمئة الف اي ما يزيد على عدد افراد القبائل الاخرى جمعاء. لقد زرت جوزيا شيكونغو تابوبي رئيس قبيلة كوالودي في قريته الكبيرة التي تبعد مسافة أربعين كيلومتراً عن حدود انغولا. وهناك رأيت السلال الممتلئة بالحبوب والنساء اللواتي يعملن بكد طوال اليوم ليحصلن على نصيب من الثريد يسددن به رمقهن.

اما رجال ميليشيا القبيلة المدججون بالسلاح فوظيفتهم تذكير الاعداء باستعداد رئيس القبيلة لمحاربتهم.

وقال لي الرئيس: "ان افراد قبائل اوفمبو هم الضحايا الحقيقية لهذه الحرب. فالارهابيون يخيفون شعبنا ويخطفون اطفالنا الى انغولا ثم يعيدونهم الينا وقد باتوا ثواراً يحملون السلاح." وعلى اثر زيارة اعضاء من المنظمة الشعبية مدرسة الارسالية الكاثوليكية في اومبالانتو اختفى فرانس (١٨ سنة) ابن رئيس القبيلة. ويقول والده: "لم يبلغني منه شيء منذ العام ١٩٧٧ وأرجو الا يعود ليحارب ابناء قومه."

صحراء كالاهاري — في شرق أراضي أوفمبو يقع نهر أوكافنغو الذي يمتد مسافة ٣٥٥ كيلومتراً على حدود انغولا وناميبيا ثم يجري جنوباً الى مستنقعات بوتسوانا. وفيما كنت أقود سيارتي شرقاً في محاذاة ضفة النهر رأيت قطعاناً من البقر الاسود تساق الى المراعي وحقول الذرة. وهذا جزء من خطة زراعية تمولها الحكومة بدأت قبل ثلاث سنوات وتهدف الى تعليم المزارعين المحليين كيف يحسنون انتاجهم. وتعرضت هذه الجهود للنقد لكونها وسيلة لابقاء السود "في مكانهم". الا أن تحسين انتاج المزارعين قد يكون في المستقبل علاجاً ناجعاً لجنوب افريقيا حيث ولدت محاولات التصنيع والمكننة الزراعية بطالة في الارياف وأدت الى ازدياد عدد الاحياء الفقيرة في المدن وتركت نقصاً فادحاً في الغذاء.

وفي ناميبيا أيضاً صحراء رائعة غنية على نحو عجيب بالالماس والاورانيوم والفحم والنحاس وبمعادن أساسية أخرى. ويزخر هذا البلد بمظاهر ساحرة من حياة أفريقيا البدائية. وتتجلى هذه المظاهر بأروع صورها في صحراء كالاهاري في الشرق وفي صحراء ناميبيا التي تعترض مسافة ١٦٠٠ كيلومتر من ساحل الاطلسي المهجور.

وفي عالم قاحل مفعم بالكثبان والسهول البركانية شاهدت الزرافات والنعام والاسود والمها تهيم ككائنات أسطورية وسط السراب فتقطع المسافات الطويلة سعياً الى الماء.

ومن الشاطىء المهجور سافرت شرقاً عبر الجبال القاحلة وسهول كووكو الصخرية موطن قبيلة من بدو "الهمباس" الرحل الذين يعيشون من رعي الماشية. فبعد لأي شديد وجد مئتان من هؤلاء ملاذاً في وادي نهر هواروسب. فاقتادوا ماشيتهم الى هذا المكان لينجوا من موت محتم في أرض قاحلة. ولم يجدوا في مقرهم الجديد روثاً يسدون به أكواخهم ولا لبناً لاطفالهم ولا سمناً يصنعون منه مراهم حمراء تقي أجسادهم الشمس المحرقة. فعمدوا الى حفر قنوات للري في رقع صغيرة من حقول الذرة التي لم تنضج بعد.

قال قائدهم: اسحق: "اننا نبذل قصارانا لنعين أنفسنا. فالحكومة تعطينا بعض الذرة ونحن لدينا بعض الماعز. غير أن رجالنا عاطلون عن العمل. ومن العسير أن يفكر المرء في المستقبل عندما يكون جائعاً."

ان معظم أفراد الهمباس أميون. وقبائل السود الاخرى تزدريهم بسبب وسائلهم البدائية. وهم الآن ينظرون بحسد الى الجنوب حيث يبلغ معدل أجر العامل من قبائل داماراس وأوفمبو وهيريرو ٤٠٠ دولار شهرياً اضافة الى اعانات السكن ومكاسب أخرى في منجم روسينغ الذي يعد أكبر مناجم الاورانيوم في العالم.

يبلغ انتاج روسينغ السنوي خمسة آلاف طن من اوكسيد الاورانيوم أي ما قيمته ٣٥٠ مليون دولار. وتملك جمهورية جنوب افريقيا ١٣ في المئة من المنجم فيما تملك شركة بريطانية ٤٦ في المئة.

بين الشفق والفجر ـ افتتح المنجم عام ١٩٧٦ وبلغت كلفته ٣٥٠ مليون دولار. وقد استنكرت الامم المتحدة هذا العمل باعتباره استغلالا غير قانوني لموارد ناميبيا وعمالها. يقول طوني غب الناطق بلسان مدير المنجم: "اننا نستخدم ٢٣٠٠ رجل أسود وملون معظمهم من دون خبرة أو من ذوي الخبرة المحدودة كما نستخدم ٨٧٠ رجلا أبيض. ونحن نصرف ثلاثة ملايين دولار في السنة لتدريبهم ونستعين على ذلك بستة وخمسين معلماً يشغلون وظائف دائمة. وعلى هؤلاء تعليم العمال المبادىء الاساسية للقراءة والكتابة واعداد بعضهم لتشغيل الآلات والاشراف عليها وبعضهم الآخر للعمل في المصفاة."

ومعظم عمال الشركة الزنوج يعيشون في أرنديس وهي بلدة جديدة ساهمت شركة روسنغ في الجزء

الاكبر من كلفة انشائها. وفي هذه البلدة بيوت من ثلاث غرف نوم أو اربع وشقق سكنية صغيرة. وفي وسطها مدارس ومتاجر ومستشفى حديث فيه ٤١ سريراً. ويتمتع هؤلاء العمال برعاية طبية مجانية ويخضعون لفحوص دورية.

وعلى مسافة سبعين كيلومتراً الى الجنوب الغربي تقع بلدة سواكوبموند التي تعد ذكرى حية لامبراطورية القيصر الالماني فيلهلم التي لم تنجز. وتضفي عمارات القرن التاسع عشر جمالا على شوارع هذه البلدة. ويقوم فيها صرح أمامه بركة ماء تحية لابنئها الذين ماتوا في سبيل وطنهم أثناء الحربين العالميتين. والحق أن بين الالمان وناميبيا علاقة وثيقة. فكثيرون ممن يتكلمون الالمانية اليوم في ناميبيا ينتمون الى مهاجرين وصلوا اليها بعد الحرب العالمية الثانية. وهم ينظرون نظرة أوروبية الى الوضع السياسي المعقد في ناميبيا. يقول محافظ البلدة يورغ هنريتشسن: "اننا ببساطة نؤيد أسطورة الابقاء على ١١ تنظيماً ادارياً منفصلا. فالاتحاد الديموقراطي قد يجد نفسه منقسماً وغير فاعل ازاء القرار الموحد للمنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا."

وعند رجوعي الى وندهوك عدت الى العالم الحقيقي. فقد وردت أخبار في الصحف المتعددة اللغات ان المفاوضات الدولية قد تجعل ناميبيا الدولة الافريقية المستقلة الثانية والخمسين. وتكلمت هذه الصحف على رجال بيض يؤمنون بالتمييز العنصري وعلى آخرين استطاعوا قراءة خط الانسانية الجديد على جدار الاستعمار المنهدم. أما الزنوج فناقشوا بحماسة شديدة الاحكام القبلية المتحيزة والسلطة الجديدة.

وفي ليلتي الاخيرة في ناميبيا لخص لي أحد مواطني وندهوك حقيقة ما يجري وبدا كلامه ترنيمة بالنسبة الى أرض تقف بين الشفق والفجر. قال: "اذا كنت تحب هذا البلد، فانك بلا شك واقع في حيرة شديدة."

■ **بريان هودغسون**

كتب الحقوق

خلال اسبوع الامتحانات النهائية غصت مكتبات الجامعة بالطلاب من جميع الفروع بما فيها مكتبة الحقوق التي يحظر استخدامها عادة على طلاب الدوائر الاخرى. وضاق طلاب الحقوق ذرعاً بمنافسيهم وحاول بعضهم ردعهم عن دخول المكتبة. وحين سئل طالب حقوق كيف استطاع تمييز الوافدين عن الزملاء اجاب: "هذا بسيط، اذ ان كتبهم مصورة في حين ان كتبنا نحن لا تحوي رسوماً."

ر.ش.

ليكن أفضل ما في هذه السنة اسوأ ما سيكون في السنة المقبلة.

ب.د.

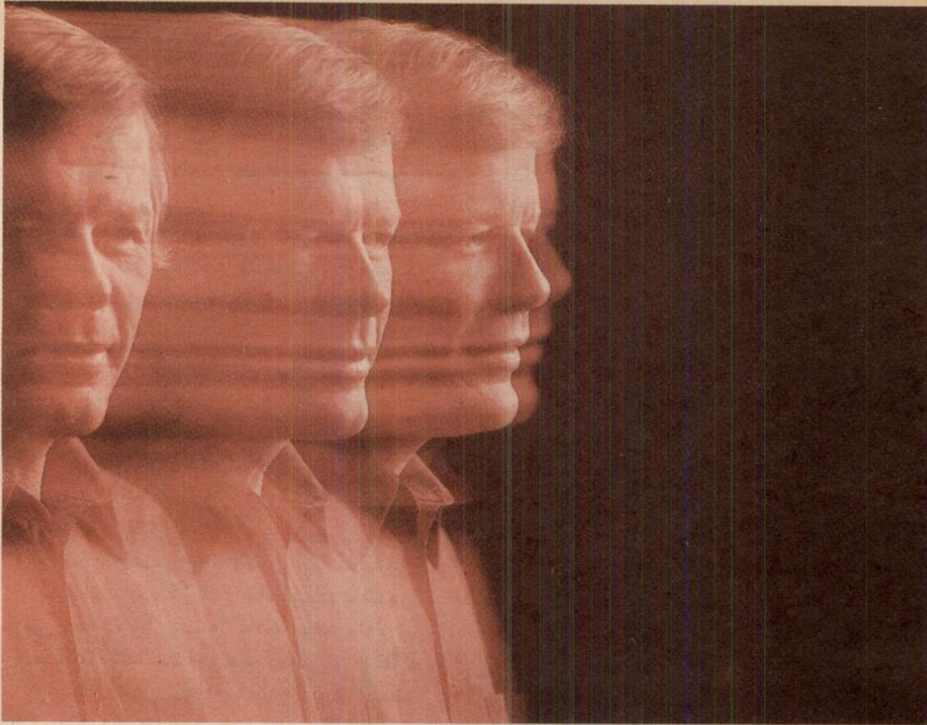

أيّها الرجُل ماذا يُعجبُك في المَرأة؟

ما هي المواصفات التي تلفت الرجل في المرأة؟ هنا بعض اجوبة صريحة

Condensed from «How to love a Man,» copyright (c) 1981 by Alexandra Penney and Norman F. Stevens Jr., Published by Clarkson N. Potter, Inc., New York, N.Y.
Photo: Al Francekevich

ت تجمع بين النساء والرجال صفات من أبرزها نزوعهم الى الرومنطيقية وحاجتهم الى الحنان. والى ذلك فهم يشتركون في التطلع الى أشخاص من الجنس الآخر ذوي إحساس مرهف وخيال واسع. ومن بين صفاتهم المشتركة أيضا نزعتهم الى الاستسلام وشعورهم بعدم الاطمئنان. وعلى رغم هذه الصفات المشتركة فان بين الرجال والنساء أوجه اختلاف عميقة من الناحية الجنسية إضافة الى اختلافاتهم البيولوجية.

لقد قابلت ما يزيد على مئتي رجل أمريكي من أعمار وبيئات مختلفة لأدرك على نحو أفضل مواقف من الجنس معينة، وسألتهم عما يجعل امرأة بعينها تحرك فيهم الشهوة الجنسية. فذهبوا الى ان ذلك يرجع الى ثقتها بنفسها ورزانتها وذكائها وجودة صحتها وجاذبيتها وأنوثتها.

لذلك، خلافا لما هو شائع في وسائل الاعلام، يمكن ان تتمتع المرأة بجاذبية جنسية من دون ان تكون جميلة ممشوقة القوام. ولا ريب في ان تركيز التلفزيون والسينما ومجلات الازياء النسائية على ان الجاذبية الجنسية وقف على ذوات الوجوه والاجساد الجميلة يزيد في شعور المرأة بعدم الاطمئنان.

إن إحساس المرأة بجاذبيتها الجنسية لا يشترط سوى مصالحتها ذاتها وجسدها.

●

لقد قال الرجال الذين قابلتهم انهم يؤثرون المرأة التي تجهد لبرز جمالها على المرأة الفائقة الجمال. فهم يلاحظون في المرأة تفاصيل دقيقة كمستحضرات التجميل والشعر والاظفار والبشرة. ويقول أحدهم: "انني اتطلع الى ما يدل على أنها امرأة تعنى بنفسها. وأظن ان لهذا العامل أثرا كبيرا في جاذبيتها".

التوازن العادل - ورد في اكثر الاحصاءات إثارة للدهشة ان ٧٥ في المئة من الرجال اليوم يطلبون من المرأة مشاركة أكبر قبل الجماع أو أثناءه. فهم يريدون امرأة تبدي اهتمامها ومتعتها وتشارك في الجماع بفاعلية. ولئن يكن رجال الاجيال الماضية يجدون في تلك المشاركة ضربا من "الاسترجال"، فان معظم الرجال اليوم يشعرون بالحاجة الى فترة من الراحة تعتقهم المرأة فيها من الخضوع لامتحان إثبات الرجولة.

غير ان عددا كبيرا جدا من النساء يشعر بأنه إذا ملكت المرأة زمام المبادرة وجعلت الرجل يعرف حقيقة ما تريد، فسوف تبدو فاقدة أنوثتها أو عدوانية. وقد أثارت العبارة الاخيرة انفعالات حادة لدى كثيرات من النساء اللواتي حادثتهن.

وسبب ذلك ان بعض الرجال يحمّل عبارة "امرأة عدوانية" مدلولا سلبيا على حد تعبير موظف إداري كبير سعد بزواج "امرأة ينعتها معظم الناس بأنها ذات نزعة عدوانية شديدة." وفي رأيه ان الرجال الذين يعارضون المساواة مع المرأة يستخدمون هذه العبارة على نحو يفيد الازدراء. ويضيف: "ان ما يخيف

هؤلاء الرجال حتى الموت ليس امرأة واثقة بنفسها بل امرأة ترفض تمثيل دور الاذعان التقليدي."

يقول أحد الرجال: "العدوانية في رأيي تعني الثقة بالنفس والاقدام وعدم الاستسلام ونوعا من التفكير متقدما." ويذهب آخر الى ان المرأة العدوانية هي "تلك التي لديها احساس بشخصيتها المستقلة." فهذان الرجلان يجدان في هذه الصفات "منحى إيجابيا واضحا." ويرى أحد الرجال الذين يستحسنون عدوانية النساء "ان المشاكل تنشأ عندما تحاول المرأة ان تصبح الشخصية المسيطرة في علاقتها بالرجل. قد يكون هذا ممكنا أحيانا الا ان التوازن العادل يجب ان يتحقق في تلك العلاقة."

اغواء ووقاحة ـ السؤال المطروح الآن هو: كيف يمكنكِ ان تدعي الرجل يعرف ما تريدين وتعطيه ما يريد من دون ان يتسم فعلك "بالوقاحة"؟

تستطيعين ذلك باستخدام ذكائك وحساسيتك ورقتك وأنوثتك. وهذا يعني ان عليك تجنب الادعاء الكاذب والمضايقة والمناورة وتمثيل الادوار.

من أفضل الوسائل التي تستطيع المرأة ان تلجأ اليها لتعبر عن اهتمامها بالرجل، ان تنظر اليه نظرات صريحة. وقد يبدو هذا ضربا من السذاجة، غير ان كثيرا من النساء يتحاشين النظرات المباشرة إذ يرين فيها تعبيرا عن الوقاحة. ومع ذلك فكثير من الرجال يرون في تلك النظرات مظهرا بارزا من مظاهر الاغواء.

وتستطيع المرأة إظهار اهتمامها بالرجل من خلال طريقة حديثها معه. فعليها ان تتحاشى الكلام على نفسها أو عملها. ويمكنها ان تسأله إبداء رأيه في إحدى اللوحات المعلقة في الزاوية أو في مقبلات الطعام. كما يمكنها ان تسأله عن اسم العطر الذي يستعمله بعد الحلاقة.

وإذا أرادت المرأة اعتماد وسيلة مبتكرة لتوحي الى الرجل بأنها تود توثيق معرفتها به، فبوسعها ان ترسل اليه هدية.

وعلى سبيل المثال تستطيع المرأة ان ترسل فنجان قهوة بتركيبة معينة الى الرجل الذي يحب القهوة، أو صورة من معرض فني لمن يهوى الفن، أو طبقا من المعكرونة البيتية لمن يحب هذا اللون من الطعام.

إن الرجال يعرفون على نحو قاطع ما يجعل المرأة غير مثيرة جنسيا. فهم يكرهون مثلا المرأة المبتذلة التي تعوزها الحساسية. وفي ما يأتي نماذج من النساء اللواتي يجفل منهن الرجل:

المرأة التي تشبه القدر الضغطية. هذه المرأة لا تفتأ تتصل بالرجل وتطارده بحيث لا تترك له ما يفعله، مما يحدث خللا في العلاقة بينهما. فالعلاقة بين شخصين تقضي بتشاركهما كليهما لبلوغ الهدف الخاص الذي يتوخيانه.

المرأة اللاصقة. هي التي لا تنفك تطارد الرجل علانية. وقد قال لي أحد الرجال الذين قابلتهم: "إذا تحرشت

بي امرأة بحضور أشخاص آخرين، فلا أظن انني استطيع الاستجابة الى طلبها. فمثل هذا التصرف غير مستحسن."

المرأة المترددة. هي التي تعوزها الثقة بالنفس. وفي هذا الصدد ينصح أحد العزاب المرأة قائلا: "على النساء الا يخجلن مما يفعلنه أو يقلنه عندما يكن في صحبة رجل. فالمرأة الخجولة تعكس شعورها على شريكها."

المرأة التي لا تحسن اختيار الوقت المناسب. إن هذه المرأة لا تملك إحساسا بالتوقيت الصحيح. فهي قد تكون بالغة الرقة والرومنطيقية والاثارة لكنها لا تستطيع ان تجذب الرجل اليها عندما يكون منصرفا الى مشاهدة مباراة في كرة القدم أو منهمكا في تأدية تمارين رياضية.

وإذا سألت مئة رجل عن سبب الجاذبية الجنسية في المرأة، فأغلب الظن ان تسعة وتسعين منهم سيجيبون انه "الثقة بالنفس." فهم في الحقيقة لا يأبهون بجمال المرأة وروعة قدها بل يؤثرون المرأة التي يمتلكها شعور بالراحة في ما يخص ذاتها وجسدها. وقد عبر أحد الرجال عن ذلك قائلا: "ان المرأة التي يصح القول انها تتمتع بجاذبية جنسية هي تلك التي تعلم انها خليقة بالحب."

■ **الكسندرا بيني**

ركاب مستعجلون

معظم المسافرين لا يطيقون الانتظار بعد هبوط الطائرة، بل ينهضون من مقاعدهم فيما الطائرة تتحرك على عجلاتها نحو المحطة الأخيرة. وهذا يسبب أخطاراً بعض الأحيان. غير أن ربان احدى الطائرات حل المشكلة باعلانه الآتي: "بما أن هذه الطائرة ستستأنف رحلتها، فنحن نطلب من كل راكب يود مساعدتنا في تنظيف المقاعد أن يقف لدى هبوط الطائرة." وهكذا لم يقف أحد قبل وصول الطائرة الى نقطتها الأخيرة.

ب.ك.

العطلة ضرورية!

أجمل ما في العطلة أنها تستغرق الكثير من وقتك. فاذا أخذتها في شهر اغسطس (آب)، فالصور الفوتوغرافية تأتيك في سبتمبر (أيلول)، والفواتير في اكتوبر (تشرين الاول)، وصحتك المستعادة في نوفمبر (تشرين الثاني)، وحقائبك في ديسمبر (كانون الاول).

ر.١٠.

اني أحسد الشبان على الاخطاء الكثيرة التي ما زالت في انتظارهم.

ر.ك.

Robert P. Carr / Bruce Coleman, Inc.

س الساعة الرابعة والنصف من صباح احد ايام يناير (كانون الثاني)، والظلمة حالكة لا يلوح فيها قمر ولا نجوم، والحرارة ١٠ درجات تحت الصفر. وكنت جئت مع صديق لي الى خليج بلهام، وهي منطقة واسعة وعرة على اطراف مدينة نيويورك. فقد كنا نأمل القاء نظرة خاطفة على البوم الكبير الاقرن، او على الاقل سماع نعيبه المميز الذي وصفه الشاعر توماس فوتور بأنه "نواح الارواح المائتة."

وعثرنا على اجمة من شجر الشوكران الذي يحبه البوم. فجلسنا فيها ولبثنا ننتظر. وفي غضون ساعة استحال لون السماء ازرق قاتماً وبدأت الحياة تدب في الغاب. كان الاوز الكندي في جوارنا يقوقىء بصوت شجي والسناجب تستهل ثرثرتها الصباحية. فجأة تناهى الينا نعيب سلطان الغاب. لقد عاد الاقرن الكبير من رحلة صيده الليلية. وهرعت السناجب مذعورة صعوداً ونزولا على افنان الشوكران، وارتقى طائر

Hans Reinhard / Bruce Coleman, Inc.

البوم - النسر طائراً.

سُلطان الغابْ

بوم الثلوج•

القيق (ابو زريق) اعلى الاغصان وهو يطلق نفيره منذراً بخطر داهم.

جثم البوم على غصن شجرة عارية، فرحنا نراقب هذا المخلوق المثير عبر منظار. كان طوله ٦٠ سنتيمتراً وله عينان صفراوان كبيرتان.

وكان انتباه البوم منصباً على اعماق الغاب حيث استجاب لنعيبه بوم اقرن آخر. وتوالت النداءات باشارات ناعمة خفيضة، فللبوم نظام معقد من الاشارات الصوتية لا نعرف عنه سوى القليل. وبغير جهد او اهتمام انساب فوق رؤوسنا باسطاً جناحيه متراً ونصف متر، فحام في دورة صامتة حول الشجرة التي اختبأنا تحتها ثم عاد الى مجثمه.

هـذا هـو الطائـر الـمكروه بيـن الطيور. وكان المزارعون الاسبان يعتبرونه نذير شؤم. لكن البوم الكبير الأقرن، بريشه الزاهي بالالوان الكستنائية والرمادية والصفراء، لا يسع المرء الا ان يعتبره بطل الغاب المجلي بلا منازع.

رأس رادار — يعرف الانسان عن البوم اقل مما يعرف عن بقية الطيور، ربما لانه تحمل دائماً غموض الليل. فهذه الجوارح طيور ليلية تحوم فوق الغابات والحقول باجنحة لا تبعث اي صوت. وفي النهار تلجأ الى اماكن منعزلة، مثل زاوية مخزن مهجور او قبة برج قديم، حيث تبني اعشاشها من دون ان يراها احد وتنام طوال النهار حتى يتلاشى الضوء. اما ريشها الادكن فيوالف محيطه حتى ليتعذر تمييز الطائر عن لحاء شجرة.

وقبل ان يقترب المرء من مربض البوم الطويل الاذنين، يكون هذا سمع وقع خطاه. فيضيق حدقتي عينيه اللامعتين لتصبحا مجرد شقين رفيعين، ويضم ريشه ويمط جسده حتى يغدو بضعفي طوله ونصف عرضه العاديين، وينصب ريش اذنيه. وهكذا يخيل الى الناظر انه مجرد جدعة في غصن يابس.

اما بوم الثلوج، وهو طائر ارضي يقطن في سهول التندرا القطبية، فله ريش ابيض جميل مرقط بلون بني غامق لتتعذر رؤيته فوق الثلج. وكل بضع سنوات تتناقص اعداد الجرذان القطبية (اللاموس) التي يعيش البوم على اقتناصها، فتغادر هذه الجوارح مواطنها الطبيعية في هجرة قسرية الى الجنوب. وحين تقف على الشواطىء الامريكية الشمالية ومدارج المطارات، يمر بها الناس من دون ان يلتفتوا اليها حاسبين انها كتلة من الثلج او صحيفة حملتها الريح الى هناك.

وثمة اكثر من ١٣٠ نوعاً من البوم منتشرة فوق سطح الكرة الارضية. وهي تراوح بين البوم السمين القزم، وهو في حجم العصفور الدوري ويدعى الخَبَل، والبوم الاقرن العملاق الامريكي وابن عمه الاوروبي البوم — النسر. هذه الجوارح كلها تتآلف على نحو مدهش مع مهمتها الطبيعية في حفظ الدورة الغذائية في الغاب.

والبوم يرى الاشياء على مقدار من الضوء يقل مئة مرة عما يحتاج اليه الانسان للرؤية. فعيناه المتجهتان الى الامام خلقتا للتحديق الى ظلمة

Condensed from Geo (April '82). (c) 1982 by Knapp Communications Corp., Los Angeles, Calif.

عين يقظة لبوم كبير اقرن٠

دامسة٠ وعلى غرار البشر يتمتع البوم بنظر مزدوج٠ فكل عين ترى المنظر نفسه من زاوية مختلفة قليلا، وهذا يعطي الرؤية عمقاً لكنه يحد من اتساع مداها٠ ولتعويض ذلك انعم على البوم بعنق طويل لين يسمح له بان يدير رأسه كأنه كاشف رادار٠ وتقول الاسطورة ان البوم يمكنه ان يدير رأسه دورة كاملة حتى ينقطع عنقه وهو يتابع بعينيه انساناً يطوف حول الشجرة تحته٠ وهذا ليس صحيحاً، غير ان حركة الارتداد لديه سريعة وخاطفة ولذا يبدو كأن راسه دار دورة كاملة٠ كذلك تزعم الاسطورة ان البوم يعمى في النهار٠

والحقيقة ان البوم يتمتع برؤية جيدة في جميع الاحوال الضوئية٠

ان بصر البوم الحاد يتكافأ مع سمع فريد قد لا يفوقه رهافة سمع اي مخلوق آخر٠ فأذناه المختبئتان تحت صفحة وجهه كبيرتان جداً٠ وفي بعض الانواع تكون احداهما ادنى من الاخرى في موقعها في الجمجمة، فتتوجه الاذن اليمنى الى اعلى واليسرى الى اسفل، ونتيجة لذلك تتلقى كل اذن الموجات الصوتية في وقت وجهارة مختلفين قليلا٠ وبمقارنة الاصوات المتباينة يكون البوم انطباعاً دقيقا حول موقع صدورها عمودياً وافقياً٠

بوم بوبوك
Eric Lindgren/ Adrea Photographics

F.J. Alsop III / Bruce Coleman, Inc.

بوم زعاق ينشب براثنه في طريدة.

Robert P. Carr/ Bruce Coleman, Inc.
بوم زعاق.

زواج مدى الحياة ـ هناك انواع قليلة، مثل بوم الحظائر و"مسن المنشار" الصغير، تحوم على علو منخفض فوق الحقول والمروج حتى تسمع وقع قوائم فأر او جرذ. ومعظم انواع البوم يجثم ساكناً على غصن او جدعة شجرة بانتظار سماع خفيف او سقسقة تكشف ان طريدة دسمة اضحت في متناوله. واذ يندفع الجرذ الماكر نحو جحره، يعدل البوم مساره بسرعة فائقة وينقض على فريسته.

وجناحا البوم ضخمان جداً بالنسبة الى وزن جسمه، ولذا يوفران له قدرة على الطيران مع حاجة قليلة الى صفق جناحيه. كما ان الاطراف الناعمة للارياش تمتص الامواج الصوتية التي يحدثها سريان الهواء اثناء الطيران مما يتيح للبوم طيراناً صامتاً.

ما ان يقترب البوم من فريسته حتى يباشر استخدام الاسلحة المكتملة التي وهبته اياها الطبيعة: منسر حاد معقوف واربعة براثن

Stephen Dalton/ Photo Researchers

Thomas D. Mangelsen

فوق: الجناحان العملاقان والارياش الناعمة الاطراف تمنح البوم خفة وطيراناً صامتاً.

تحت: خلافاً للاسطورة، يستطيع البوم ادارة رأسه بزاوية ٢٧٠ درجة فقط.

كالابر، اثنان اماميان واثنان خلفيان مثل الملقط المسنن. ويهاجم البوم ووجهه الى الامام ورأسه ممتد في خط مستقيم مع الطريدة لكي يحافظ على اتصاله السمعي بها. وفي اللحظة الاخيرة من المطاردة ينحرف الرأس الى الوراء وتبرز البراثن هابطة كعجلات طائرة. ثم تنشب في جسم الطريدة وتعمل فيها قبضاً وغرزاً وتمزيقاً. وبعد ذلك يبدأ المنسر عمله.

هذا الطائر الفذ بين الطيور لا يهتم لبناء اعشاش، بل يستولي غالباً على اعشاش مهجورة للغربان والصقور او يجد مكاناً ملائماً في زوايا الابنية. ولا يتورع البوم الكبير عن طرد الطيور الاخرى من وكناتها اذا راقته الفكرة. وقد عرف عن البوم الكبير الاقرن انه يطرد النسور من اعشاشها.

حين يعثر البوم على شريك يبقى وفياً له طوال الحياة. لكنهما قد يفترقان بعد فترة احتضان البيض والفراخ ويذهب كل في سبيله سعياً وراء رزقة بمهارته، فيهاجر جنوباً او يطوف في اصقاع الصيد الشتوية. وقد تستأنف الحياة الزوجية في الربيع التالي حين يعود الزوجان الى اماكن الاحتضان المألوفة.

اما فراخ البوم المكسوة بالزغب الابيض الناعم فتقارب حجم البلوغ بعد عشرة اسابيع. وهي تعلم ابويها بجوعها من طريق اطلاق خليط من الصراخ والرغاء والقوقأة والصفير والسقسقة. لكن الام التي يمضها

الالحاح النهم تنفر اخيراً من العش وتلتحق بزوجها القابع في مجثم قريب· وبعد اربعة اسابيع يكتفي الابوان بزيارة العش لماماً لألقاء ما يحملان من غذاء· وتهاجم البومة الحاضنة اي معتد على حرمها· وهذا مبعث شكاوى العابرين الابرياء الذين يتعرضون فجأة لانقضاض تشنه عليهم بومة حاضنة·

والبوم غالباً يراقبنا اكثر مما نراقبه· فقبل سنتين كنت في الريف، فأجفلت ذات ليلة من نومي حين سمعت صوتاً غريباً هو نعيب البوم المخطط: "هو و و و و!"

وهرعت الى الخارج في مثل لمح البصر ووقفت فوق كومة تراب امام كوخي· وكان مطر ربيعي انهمر وخلف ستاراً من الضباب يخترقه بين حين وآخر شعاع من ضوء القمر· وفيما كان ذلك البوم النائي عن موطنه الاصيل يردد نداءه، اخذت احاكيه مجيباً: "هو و و و و·" فيرد: "هو هو هو هو و و و و·"

طوال خمس دقائق ممتعة استمرت هذه المناجاة· واحسست برعشة مألوفة تتملكني حين مر فوق رأسي طيف اجنحة صامتة عبرت واختفت·

ترى هل كان الواحد منا يتحدى الآخر ام يغويه؟ ام اننا كنا مجرد شقيين نتعب لنبث احزاننا في الظلام؟

■ جوناثان ايفان ماسلو

السائحة والدجاجة الهرمة

رست سفينة سياحية في احد الموانىء، فاستغلت سائحة الفرصة للذهاب الى المسرح· وهناك جلست الى جانب رجل متقدم في السن· وتعجب هذا لرؤيتها وحدها، فسألها: "كيف تسيحين وحدك؟"

وأشارت المرأة الى شعرها الرمادي وقالت: "عندما يكتسي رأس المرأة هذا اللون، فلا خوف عليها·"

ـ لكن في بلدنا مثلا شعبياً يقول: "من الدجاجة الهرمة يصنع افضل حساء·"

ب·د·

ما قال لا إلا ···

اعتذرت شابة عن المشاركة في مباراة للتزلج على الجليد، قائلة: "اني لا أُحب النشاطات الرياضية التي تدعى اليها سيارات الاسعاف·"

رفض الروائي الامريكي وليم فولكنر حضور حفلة عشاء في البيت الابيض لتكريم حائزي جائزة نوبل، معللا رفضه بالآتي: "ان سني لا تسمح لي بقطع هذه المسافة الطويلة للاكل مع اناس غرباء·"

ج·ب·

وسط هذا العالم المكسور والزمن الرديء، لا تزال تأتينا من هنا وهناك بوادر من الشهامة والتضحية والمحبة

مُغامِرون مُعاصِرون

الشفاء بالعمل

فريمان ريد رجل لا كالرجال. ففي العام ١٩٦٥، عندما كان بحكم وظيفته كمحلل للتكاليف ومهندس انتاج لدى شركة "نورث اميريكان روكويل" يعمل على برنامج "ابولو" الفضائي، بينت الفحوص المخبرية انه مصاب بتصلب مضاعف في أنسجة جسمه، وهو مرض يؤدي الى شل الجهاز العصبي.

وبدلا من ان يقعده المرض وفقدان الوظيفة، ادار ريد ظهره لميدان التنافس الأحمق في كاليفورنيا وتوجه الى ويلاميت فالي في ولاية اوريغون، حيث استهل عملا تطوعياً شاقاً مع الأفراد والمؤسسات، بما فيها المدارس والمستشفيات ودور العجزة في بلدة ليبانون (لبنان) وجوارها. ومن اعماله الجديدة، وهو في الخامسة والخمسين، مساعدة المعلمين في التدريس والاولاد المتخلفين في التعلم.

والناظر الى فريمان ريد، البالغ ١٨٨ سنتيمتراً طولا و٩٠ كيلوغراماً وزناً، يظن انه مثال الصحة. لكن الواقع نقيض ذلك. ويقول ريد: "بت لا احس بيدي الا قليلا. وفقدت معظم حاسة السمع وبدأت حاسة البصر تخونني. واذا تعبت، ظلعتُ في المشي. والتكهنات الطبية غير مشجعة."

(c) 1983 by Sue McCracken, The Oregonian (May 29, '83), National Enquirer (January 4, '83), (c) 1983 by National Enquirer, Inc., UPI Release (June 9, '83), (c) 1983 by United Press International, (c) 1983 by Peg Gibbons, Newsday (May 22, '83)

والحق ان تصميم ريد على قهر المرض انتقل كالعدوى الى الذين يعمل معهم. وامكنه ان يحمل العديد من الضعفاء الأجساد على الوقوف والمشي. ويبلغ افتخاره ذروته بما انجزه مع امرأة في الثمانين في دار للعجزة، ظنت انها لن تستطيع النهوض او المشي على الاطلاق. وهو تصدى لمشكلتها اول الأمر بالقول انها طويلة القامة، مما يعني ان في امكانها النهوض عن كرسيها بالاتكاء على قضيب.

"ولما وقفت، قلت لها ان في امكانها ان تخطو خطوة واحدة الى الأمام، فثانية فثالثة. وما ان فعلت حتى انهمر الدمع من عينيها بعدما كانت تظن انه قضي الأمر.

"بعد ذلك وضعتُ علامات في الممر، وهي بمثابة مراحل تجتازها واحدة بعد الاخرى. ووعدتها بأن ادعوها الى العشاء متى استطاعت قطع خمسين متراً. وهكذا كان، مما أدخل الفرح الى قلبها.

"واذا سألني الناس لماذا افعل هذه الامور، أجبتهم اني لا اود الانكفاء على ذاتي أمام شاشة التلفزيون. لكن هذا ليس عين الحقيقة. والواقع اني اتصرف على هذا النحو لأن مساعدة الآخرين تمدني بالبهجة. وهذا يرضيني أكثر من اي وظيفة شغلتها في حياتي."

صحيفة "ذي اوريغونيان"

البطل بو

في السادس من يونيو (حزيران) ١٩٨٢، قرر روب ولوري روبرتس من بلدة غلينوود سبرينغز في كولورادو ان يتنزّها بالقارب في نهر كولورادو. ومن حسن حظ الزوجين انهما اخذا كلبهما، وهو كلب صيد من فصيلة اللبرادور عمره تسعة اشهر. وجلس روب (٣٤ سنة) في مؤخر القارب المعدني يجذف، فيما جلست لوري والكلب بو في مقدم المركب ذي الامتار الخمسة يستمتعان بالمشهد وبهدوء الماء.

وفجأة بات القارب وسط تيار جامح قلبه. وجرف روب نحو المياه المتدفقة بينما سقطت لوري وبو تحت القارب.

وظنت لوري انها هالكة غرقاً لا محالة. وكلما حاولت البروز فوق الماء صدها القارب بكل ثقله. وفي احدى محاولاتها، صدم القارب رأسها وأفقدها حس الاتجاه. وقالت لنفسها: "يا الهي! أليس من طريقة لمغادرة هذا المكان؟"

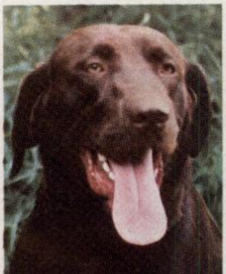

ثم حصل أمر مدهش. كان روب على مسافة مئة متر يحاول التقدم متعثراً نحو زوجته لمساعدتها، حين شاهد بو يبرز فوق الماء بالقرب من القارب. وغطس الكلب من جديد ليعود بعد نحو ١٥ ثانية وهو يجر لوري وقد احكم عض شعرها بأسنانه.

وتتذكر لوري الحادث بالآتي: "لم اعرف ان بو كان يفعل ذلك، بل حسبت ان شعري علق بشيء. وكنت

فاقدة الوعي آنذاك. غير اني ما لبثت ان ادركت ان بو هو الذي يسحبني. ولما برزنا فوق الماء، راح يدور حولي كأنه اراد ان يقول: "انتظري. سأساعدك في الخروج كلياً من الماء." وامسكت بذيله فيما سبح الى الشاطىء."

ويضيف روب: "تلك كانت عجيبة عجاباً. لقد انقذ بو حياة لوري. واظن انه اعظم كلب في العالم."

صحيفة "ناشونال انكوايرر"

آندرو الشريف

يوم افتتاح المباراة الامريكية اللغوية لتلاميذ المدارس للعام ١٩٨٣، كان الفتى آندرو بين الذين اقصوا في المرحلة الاولى بعدما اخبر الحكام انهم لم ينتبهوا الى احد اخطائه في التهجئة.

ويقول آندرو فلوسدورف (١٣ سنة) من بلدة فوندا في ولاية نيويورك: "أجابني اعضاء اللجنة التحكيمية اني شخص شريف صاحب مبادىء. والحق اني أرفض تمثيل دور الشخص القذر."

ولما عرف الصحافيون بقصة آندرو تحلقوا حوله لمقابلته، ومعهم ممثلو شركات التلفزيون الذين طلبوا ظهوره على الشاشة. وأدهشته تلك الضجة، وعلق بالآتي: "أيُشكر الانسان لأنه يؤدي واجبه؟ أوليس مبدأ الكشفية الأول هو الشرف؟"

وكالة "يونايتد برس"

شَهم بلا اسم

عندما توقف قطار مدينة نيويورك الجوفي (المترو) في محطة بروكلين بعد تأخر ١٥ دقيقة، تزاحمنا نحن المنتظرين بالمناكب للصعود اليه. وما ان اقفلت الابواب حتى علا الضجيج بكاء طفل.

وادرت وجهي نحو مصدر الصوت لأرى اماً شابة تحاول تهدئة ابنها. وقال جاري متذمراً: "يا الهي! ما هذا؟" وتبعه آخرون في التعبير عن انزعاجهم. وبعد ما رأته الام من امر الركاب، راحت تخاطب طفلها بلغة انكليزية مكسرة وتحاول تهدئة روعه، ولكن من غير جدوى.

ولما بلغ القطار المحطة التالية ازداد الصراخ. وسكت الطفل قليلا لدى فتح الابواب واقفالها، ثم استأنف عويله بصوت اقوى.

وكان بين الركاب الذين صعدوا من تلك المحطة رجل متقدم قليلا في السن وغير متقن اللباس، وقد اعتمر قبعة سوداء قديمة على قامته الطويلة الضامرة. وشق ذلك الرجل طريقه بين الركاب متخذاً مكاناً له مع الواقفين. وبدا انه لم يأبه لصراخ الطفل.

وانطلق القطار من المحطة، الا ان صراخ الطفل طغى على قعقعته. وما هو الا قليل حتى ارتفع عواء كلب فوق ضجة القطار وزعيق الطفل.

واخذ كل منا ينظر بهدوء حوله والى الآخرين للتأكد من اننا كلنا سمعنا الصوت نفسه. ووسط تلك البلبلة انطلق الصوت مرة اخرى. ولاحظنا جميعاً ان الطفل كف عن البكاء وراح ينظر مشدوهاً الى الرجل

الطويل امامه. غير ان الرجل بدا كأنه لا يفقه شيئاً.

وبعد هنيهة دس الطفل رأسه في كتف امه. وللحال سمعنا النباح من جديد. وفي اللحظة عينها رفع الطفل نظره الى الرجل الذي بقي في مكانه بلا حراك. واخذ الطفل يضحك مسروراً وهو يتمتم كلمات على مسمع امه ويشير الى ذلك الرجل. وراقته تلك اللعبة كثيراً. وكلما خبأ رأسه في صدر امه، عاود الرجل النباح.

وراحت الام تبتسم كأنما هي اعتقت من حمل ثقيل. ووجهت ابتسامها الى طفلها والى الرجل الغريب والى الركاب حولها. وما كان منا، نحن الركاب المتذمرين، الا ان ابتسمنا فرحاً وفرجاً. ونسينا التجربة الأليمة التي عشناها من محطة الى اخرى ذلك اليوم. واخترقت بادرة ذلك الرجل الشهم اعماق انسانيتنا حتى الجذور.

صحيفة "نيوزداي"

مدح الامير فيليب

مرة استقبل الامير فيليب، زوج ملكة بريطانيا الحالية، في حفلة عشاء ببيتين من الشاعر جون درايدن:

"لقد تعددت جوانبه
حتى بدا مجموعة رجال في واحد."

وأعجب دوق ادنبره بالبيتين، فتحرى لاحقاً موقعهما في القصيدة ليجد الآتي بعدهما:

"متحجر في آرائه، ودائماً على خطأ.
مليء البدايات، فارغ في النهاية.
وقبل أن يكمل القمر دورته،
يأخذ دور الطبيب والعابث والسياسي والمهرج."

بول ديكسون، كتاب "الأنخاب"

اغلى فنجان قهوة

حددت محامية الساعة التاسعة صباحاً موعداً لمقابلة زبون جديد. ورغبة منها في اضفاء جو من البهجة على اللقاء، آثرت مقابلته في احدى الغرف العامة بدلا من مكتبها. ووصل الى الموعد قبلها. ولما دخلت بادرها بطلبه فنجاناً من القهوة.

ومن غير أن تنطق بكلمة، نزلت الى المقهى في الطبقة السفلى وعادت ومعها طلبه. وحين شكرها قالت: "لا شكر على واجب. اني أتقاضى مئة دولار على الساعة. ولقد كلفك فنجان القهوة هذا ٢٥ دولاراً."

ن.١٠.

دَائرة المعَارف

كلمات الدائرة لهذا الشهر مأخوذة من الاعداد الثلاثة الاخيرة من "المختار". وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١ . **خوى:** جاع ـ عامل معاملة الاخ ـ ارتشى ـ خلا.

٢ . **انبلج:** اشرق ـ ضاق صدره ـ زال ـ انفجر.

٣ . **عَنْوَة:** خلسة ـ قهراً وقسراً ـ خصوصاً ـ قصداً.

٤ . **الفلول:** الاطفال ـ ظلمة آخر الليل ـ الاثلام ـ الحراب.

٥ . **اللأي:** الشدة ـ التردد ـ الحيرة ـ الرأي الضعيف.

٦ . **عوّل:** اكثر العيال ـ اطعم ـ اعان ـ اتكل.

٧ . **مضّ:** هز بعنف ـ اوجع ـ اضجر ـ حفز وحرض.

٨ . **دَلَف:** دخل ـ قارب الخطو ـ رشح ـ اخلف بوعده.

٩ . **الاوار:** غبار الحرب ـ الجوع ـ الحر والعطش ـ القدر.

١٠ . **الزخم:** الدفع الشديد ـ الذكاء ـ المطر الغزير ـ الزحمة.

١١ . **انبرى:** خرج ـ ادار ظهره ـ شفي ـ اعترض.

١٢ . **مخر:** نفخ ـ شق الماء ـ ثقب ـ مشى مختالا.

١٣ . **الجأش:** الجندي ـ الغضب الشديد ـ القلب ـ ولد الحمار.

١٤ . **الخِضَمّ:** الكآبة ـ السر الدفين ـ الصدر ـ البحر العظيم.

١٥ . **هصر:** كسر ـ نظر بحقد ـ وبخ ـ اكل بشراهة.

١٦ . **بصبص:** فتح عينيه ـ اشرق ـ نظف ـ نظر خلسة.

١٧ . **ذَرِب:** فصيح ـ فاسد ـ كثير التملق ـ مهذب.

١٨ . **الغليل:** الارض القاحلة ـ الجوع ـ العطش الشديد ـ الغالي.

١٩ . **تحيَّن:** اعمل الحيلة ـ تظاهر ـ طلب الموت ـ ترصَّد.

٢٠ . **قَدَح:** عاب ـ كد في العمل ـ ثقب ـ عرج.

٢١ . **اوعز:** ازعج ـ اوغر الصدر ـ اشار ـ احتاج.

٢٢ . **المنقبة:** المرأة الصالحة ـ الواحة ـ الخصلة الحميدة ـ الكنز.

٢٣ . **اضطلع بالشيء:** تفحصه ـ نهض به ـ عرفه ـ نظر اليه.

٢٤ . **تقفّى:** نظم الشعر ـ تخطّى ـ غاب عن النظر ـ تتبع.

٢٥ . **الردح:** المدة الطويلة ـ العناء ـ اللحظة ـ الشهر.

٢٦ . **القَسَمة:** القطعة ـ الاصبع ـ الوجه ـ النصيب.

٢٧ . **العُباب:** العطش ـ الموج ـ الغيم الكثيف ـ الحرب.

٢٨ . **برّح:** ترك ـ حنث بيمينه ـ شتم ـ اجهد.

٢٩ . **الثُمالة:** الحافة ـ البهجة ـ الهذيان ـ ما بقي في الاناء.

٣٠ . **التسويف:** المماطلة ـ الخبث ـ النميمة ـ التعذيب.

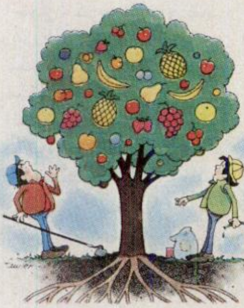

الأجوبة الصحيحة

١. **خوى البيت**: سقط وتهدم. ايضاً: فرغ وخلا.

٢. **انبلج الصبح**: اشرق واضاء. بَلِج الحق: وضح وظهر.

٣. **عَنْوَةً**: قهراً وقسراً. العاني: السائل من ماء او دم.

٤. **الفلول**: الكسور او الاثلام في حد السيف. ايضاً: المنهزمون.

٥. **اللأي واللأى واللأواء**: الشدة والمحنة. اللأى: الترس والثور الوحشي.

٦. **عوّل على فلان وبه**: اتكل عليه. العالة: النعامة.

٧. **مضّ وأمضّ**: اوجع. المضض: وجع المصيبة.

٨. **دلف**: مشى كالمقيّد وقارب الخطو. ايضاً: تقدم. اندلف عليه: انصبّ.

٩. **الأوار**: الحر والعطش والدخان. الآرة: الموقد.

١٠. **الزَخْم**: الدفع الشديد. زَخِم اللحم وأزخم: انتن.

١١. **انبرى له**: اعترضه. الباري: ناحت السهم. ومن الامثال: اعطِ القوس باريها، اي فوض امرك الى من يحسنه.

١٢. **مخرت السفينة**: جرت تشق الماء مع صوت. الماخور: بيت الريبة والفسق.

١٣. **الجأش**: القلب والصدر. يقال: رابط الجأش، اي شجاع. جأشَ قلبه جأشاً: اضطرب من حزن او فزع.

١٤. **الخِضَمّ**: البحر العظيم. ومن السيوف: القاطع.

١٥. **هصر**: كسر. الهاصر: الاسد لانه يهصر فريسته.

١٦. **بصبص الجرو**: فتح عينيه، والكلب: حرك ذنبه.

١٧. **ذَرِب**: فاسد. لسان ذرب: فاحش وبذيء.

١٨. **الغليل**: العطش الشديد. ايضاً: الحقد وحرارة الحب او الحزن.

١٩. **تحيَّن منه غفلة**: ترصَّد حينها. الحين: الوقت والمدة.

٢٠. **قدح في عرضه**: طعن فيه وعابه.

٢١. **اوعز اليه في كذا**: تقدم وأشار.

٢٢. **المنقبة**: الفعل الكريم والخصلة الحميدة. جمعها مناقب.

٢٣. **اضطلع بحمله**: نهض به وقوي عليه.

٢٤. **تقفّى**: تتبع. ايضاً: اختار. تقفى به: بالغ في اكرامه.

٢٥. **الرَدَحِ**: المدة الطويلة.

٢٦. **القَسْمة والقَسِمة**: الوجه والحسن. القسامة: الحسن.

٢٧. **العُباب**: معظم السيل. ايضاً: موج البحر. العَباب: شرب الماء.

٢٨. **برّح به الامر**: اتعبه واجهده وآذاه اذى شديداً.

٢٩. **الثُمالة**: ما بقي في الاناء من ماء وغيره. ايضاً: الرغوة.

٣٠. **سوّفه تسويفاً**: ماطله وقال له مرة بعد اخرى "سوف افعل".

المستوى	**٢٥ ــ ٣٠: ممتاز**
	١٩ ــ ٢٤: جيد جداً
	١٣ ــ ١٨: مقبول

غرائب طريفة عن السلوك الجنسي
في المجتمعات المائية

غرائب جنسيّة عند الأسماك

نحن الآدميين المغرورين بأنانيتنا نفترض ان الحب والغزل والعلاقات الجنسية تبلغ أوجها في جنسنا. لكن الواقع غير ذلك. ففي محيطات العالم وبحيراته وانهاره اسماك وكائنات لافقارية تمارس اساليب متنوعة من الجماع تتسم غالباً بالحذق والغرابة والرونق وتفوق اساليبنا.

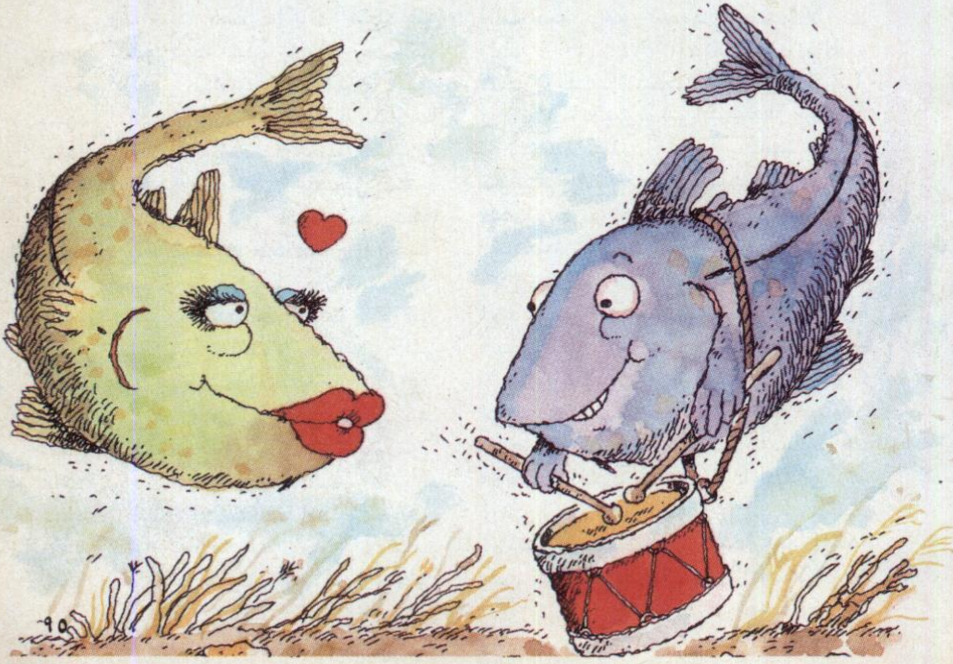

خذ مثلا السمكة القمَّامة ذات اللون الزاهي التي تدعى "لابرويدس ديميدياتوس" وتقطن في منطقة الجرف العظيم الممتد ازاء شواطىء اوستراليا الشرقية. يبلغ طول الذكر من هذه الفصيلة ١٠ سنتيمترات وهو شرس جداً في الدفاع عن قطاعه الخاص الذي يضم "حريماً" من سبع او تسع اناث، فيصد عنه اي ذكر آخر من الفصيلة نفسها. ولكن ليس هذا بالامر السهل لانه، اضافة الى تجواله حول حدود قطاعه، عليه ان يبقى ممسكاً بزمام اناثه. فاحدى هذه الاناث تفرض سيطرتها على رفيقاتها ويتخذ الذكر تجاهها مسلكاً عدوانياً لانها تهدد هيمنته على الحريم كما تهدد – ويا للغرابة – دوره الجنسي ايضاً.

في الواقع، بعد ساعات قليلة من موت الذكر تبدأ هذه الانثى ممارسة دوره. فهي (التي اصبحت هو) تخضع الحريم لأمرها وتتخذ لنفسها سلوك الذكر. والقضية ليست تحديد المسيطر فحسب، ففي غضون شهر واحد تصبح الانثى المهيمنة ذكراً بالمعنى الوظيفي الكامل. وهكذا يؤدي موت هذا الذكر الجديد الى تحول الانثى المهيمنة التالية الى دور الذكر في سعي انثوي سرمدي الى بلوغ القمة في هرم الهيمنة.

وعلى رغم الغرابة التي يتسم بها السلوك الجنسي لأسماك "لابرويدس" فانه يؤدي غرضه الوظيفي. وقد نجحت هذه الاسماك القمَّامة في تأمين بقاء نسلها عبر اجيال لا حصر لها. وكما في بقية الفصائل، يتطور السلوك الجنسي ليتلاءم مع المتطلبات البيئية المتعددة. فالصعوبة في العثور على قرين او على طعام لتغذية الصغار وتفادي الاسماك العدوة التي تفترسها وسوى ذلك من الدواعي تأتلف لتكون العادات التناسلية في هذه الفصائل. وتجاوباً مع الاختلاف الهائل في البيئات المائية طورت الاسماك تنوعا عجيباً في اساليب الجماع.

ذكور مرتزقة – بالنسبة الى الاسماك من فصيلة "سيرانيدا" التي يبلغ طول الواحدة منها ٢،٧٥ متر ووزنها ٣٠٠ كيلوغرام، يتقرر الجنس على اساس السن والحجم. ففي صغرها، حين تكون الاسماك صغيرة الحجم وضعيفة، تكون كلها من الجنس اللطيف. ومع نموها وتقدمها في السن، اي بين الخامسة والعاشرة، تتحول كلها ذكوراً. وهكذا فان الاسماك الكبيرة هي جميعها ذكور.

وربما كانت أسرع الفصائل في تحقيق التحول الجنسي الفصيلة الخنثوية من سمك القاروس الرملي المخطط "سرانوس سوبليغاريوس" الذي يتوالد في خليج المكسيك. تعمد احدى هذه الاسماك المخططة باللون البني الى طي جسدها في شكل حرف " S " وتبسط زعانفها على مقربة من جارة لها. هذه السمكة المطوية المغازلة هي ذكر كما يبدو. اما الاخرى التي تراقب هذا الغزل فهي انثى. يقذف الذكر منيَّه وتقذف الانثى بييضاتها. وهكذا يتم الجماع بين سمكتين من اسماك الجرف.

ولكن هذه ليست سوى البداية. فبعد ذلك يتحول الذكر الى دور الانثى الخجولة بينما تعمد "السيدة" السابقة الى طي جسدها في شكل حرف "S" . هذه المرة يقذف الذكر السابق البييضات وتتولى الانثى السابقة تلقيحها.

ويبدو ان لا شيء يحد من تصميم هذه الفصيلة الصغيرة على البقاء. وعندما يلتقي "ذكران" يتخذ احدهما وظيفة الجنس الآخر. وبعد الجماع يمكن ان يتبادل الاثنان دوريهما ويكررا الجماع على نحو جديد. ويحدث الامر عينه حين تلتقي "أنثيان".

هكذا تصبح الحياة محيرة في خضم العباب. وعلى رغم ان الذكر يتصف بالشراسة، فهو في بعض الفصائل الجنس المهدد بالخطر. فسمك "المولي" الذي يعيش في نهر الأمازون ويدعى "بيسليا فورموزا"، وهو نوع قريب من سمك "الغوبي" الصغير الذي يربى في الاحواض المنزلية، خطا الخطوة الاولى نحو التكاثر بمعزل تام عن الذكور.

تتألف هذه الفصيلة من الاناث فقط. ولكن كيف تتناسل من دون ذكور؟

في فصل الجماع تستخدم الاناث ذكوراً خانعة وغير مجربة من فصيلة قريبة مزدوجة الجنس (لأن الذكور القوية والأبية من تلك الفصيلة تكرس نفسها لخدمة الاناث من فصيلتها). ويقتصر دور هذه الذكور "المرتزقة" على تنشيط نمو البييضة، وهي لا تدخل في الحقيقة اي جينات وراثية منها. اما النسل المتأتي من هذا الجماع الفاتر العاطفة فيكون كله من الاناث ومتماثلا الى حد بعيد.

الزوج الكسول - هناك ذكور سمك تعيش على ما تجنيه أناثها. ففي الاعماق الباردة تطوف صغار الذكور من سمك "ابو شص" بحثا عن انثى ترافقها لتعيلها. واذا لم يعثر الذكر على انثى، فانه يموت. ولكن حين يجد واحدة يجتهد كي لا يضيعها في تلك الاغوار السحيقة، فيغرز اسنانه عميقاً في رأسها او بطنها او خياشيمها ويتعلق بها حفاظاً على حياته.

مثل هذا الذكر يأخذ في النحول حتى يصبح مجرد طفيلي. ثم تتصل الدورة الدموية في جسم انثى هذه الفصيلة بالدورة الدموية في جسم "زوجها" وبذلك يتغذى الذكر بدم أنثاه. في هذه الاثناء تنمو خصيتاه وتتضخمان حتى يغدو جسده كله مجرد هيكل لأعضائه التناسلية مما يؤمن التلقيح الجنسي لهذه الفصيلة التي تقطن في بيئة خالية. وقد عثر في شمال المحيط الاطلسي على اناث من هذه الفصيلة يبلغ طول الواحدة منها ١،٧٥ متر وتحمل الذكور الأسرى الهزيلة التي لا يزيد حجمها على تسعة سنتيمترات.

ولكن ليست جميع ذكور الكائنات البحرية على هذه الحال المخزية في حياتها الجنسية. خذ الاخطبوط مثلا. فالذكر هو الذي يباشر عملية الجماع بمداعبة انثاه بمجساته الطويلة. حينئذ تظهر هي تجاوبها بتبديل

ألوانها واشكال جسمها، فتحمر خجلا اول الامر كأي فتاة طاهرة، واخيراً تشعر الذكر بقبولها مبادرته. وحين تصبح هي قابلة للجماع يستخدم الذكر ذراعاً متطورة على نحو خاص ليضع كمية من المني داخل تجويف في جسدها. وهكذا يظلان متصلين ذراعاً بجسد. وقد يدوم الاقتران على هذا النحو يوماً كاملا.

اما الجماع عند فصيلة سمك القد (الحدوق) فيمتاز بظاهرة غريبة كذلك. خلال فترة التفريخ الربيعية يستدعي الذكر انثاه باستخدام اكياس هوائية في جسمه يطلق منها ما يشبه الموسيقى العسكرية التي تحاكي قرع الطبول. واذا كان في المكان ذكور عدة، ربح الجولة الذكر الذي يكون عزفه أقوى وأطول. وحين تقترب الانثى منه تدب فيه الحماسة فيتسارع القرع ليغدو نوعاً من الطنين

وغني عن القول ان الامانة الزوجية خلة نادرة في فصائل السمك باستثناء فصيلة واحدة تقطن الاغوار العميقة قبالة ساحل اليابان. فثمة نوع من القريدس (الاربيان) يعيش الزوجان منه طوال حياتهما معاً. وحين يصلان الى سن البلوغ يحشران نفسيهما داخل نوع من الاسفنج يدعى "سلة أزهار فينوس" لكي يتغذيا داخلها. وبعد ان يعجزا عن الخروج لكبر جسميهما يبقيان حبيسين أبداً في ذلك القفص الزجاجي. (هذا النوع من الاسفنج يقدم كهدية عرس في اليابان اذ انه يرمز الى تمني حياة طويلة في رفاء دائم.)

الجماع الجنسي، كما رأينا، يسبب مشاكل في مملكة الكائنات المائية. ووجود جنسين منفصلين طبيعياً يؤدي، كما يبدو، الى تضارب في المصالح. والسؤال هو: لماذا يتطور الذكور الى اناث حين يكون ممكناً من الناحية النظرية ان تؤمن "الأناث" التناسل المستمر؟

السبب هو التنوع الوراثي. ففي الفصائل التي لا جنس فيها يأتي الصغار نسخاً طبق الاصل عن الأمات، بينما في الفصائل الجنسية يتقاسم النسل الجينات الوراثية التي تتحدر اليه من الأب والأم معاً.

وهذا الاختلاط والتبادل في الجينات الوراثية في كل جيل يعزز احتمال بقاء بعض النسل حياً مهما تكن الأحوال البيئية التي يواجهها. وهكذا نرى ان الجنس هو وسيلة الطبيعة لمواجهة المستقبل غير المضمون والدائم التبدل في حياة هذه الكائنات. لذلك، وسواء سبحنا في مياه البحار ام درجنا على اليابسة، يجب ان نحمد كلنا خالقنا العظيم.

■ هنري لي

نظرية اقتصادية

قيل للاقتصادي الامريكي جون كينيث غالبريت ان آراءه تثير الجدل، فأجاب: "هذا يحصل فقط بالنسبة الى اولئك الذين لا يشاركونني في الرأي."

صحيفة "الحرية"، كندا

حلق هذا العالم السويسري الجريء الى أعلى اجواء بلغها انسام وغاص الى اعماق لم يبلغها أحد قبله وفتح آفاقاً جديدة للانسانية جمعاء

أوغست بيكار الأستاذ المغامر

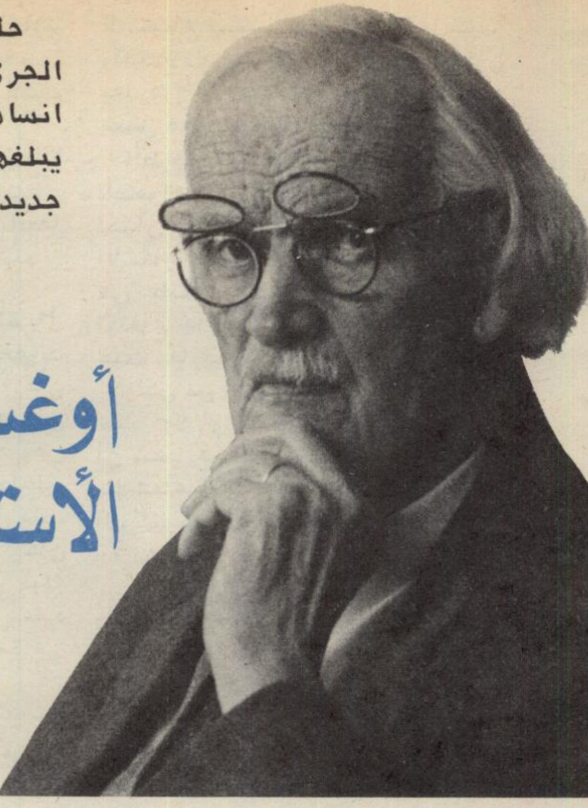

اوغست بيكار.

بدا الاستاذ اوغست بيكار لطلابه في جامعة بروكسل (بلجيكا) بقامته الناحلة الفارعة وجبهته النافرة كأي استاذ جامعي مثالي شارد الذهن دائما. وهو سأل ذات مرة احد طلابه في اي اتجاه كان يسير حين التقاه، فأشار الشاب الى قاعة المحاضرات. عندئذ قال بيكار: "اذاً فانا تناولت طعام الغداء حقاً." وبعد لحظات من هذا الشرود

ادهش استاذ العلوم الفيزيائية طلابه حين رسم على اللوح شكلا هندسياً معقداً باحدى يديه بينما هو يكتب الشرح العلمي لذلك الرسم باليد الاخرى.

وبالبراعة نفسها طور هذا الاستاذ في مختبره أدق موازين صنعت حتى الآن لوزن المواد الكيميائية، وابدع أرهف جهاز لقياس التيار الكهربائي واكثر الاجهزة حساسية لتسجيل

الزلازال. غير ان مغامراته خارج المختبر هي التي جعلته شخصاً شهيراً، حيث كان يسعى الى كشف المجهول.

قال ذات مرة في صغره: "أريد ان ابلغ ارتفاعاً في الجو لم يبلغه انسان قبلي وأغور الى اعماق لم يصل اليها احد بعد." وبعد سنوات حقق رغبته.

بيكار وآينشتاين – ولد في مدينة بال في سويسرا عام ١٨٨٤، وظهرت دلائل نبوغه في سن باكرة جداً. كان في العاشرة حين أخذه ابواه الى السيرك واستحوذ على انتباهه مروض الأسد الذي سار من القفص الداخلي الى القفص الخارجي وهو يغلق باب الاول قبل ان يفتح باب الثاني. كان اوغست الصغير يحاول تطبيق مبدأ الصمام الهوائي الذي يتعين عليه استخدامه في تجاربه المستقبلية في طبقات الجو العليا.

التحق اوغست بالمعهد التقني السويسري في زوريخ لمتابعة دراسته، وهناك التقى العلامة ألبرت آينشتاين (١). ثم انتقل عام ١٩٢٢ الى بروكسل للتدريس. واستقطب اهتمامه الاشعاع الكوني الذي كان موضوع اهتمام رئيسياً في ذلك العهد. وكان الاعتقاد حينئذ ان هذا الاشعاع يسبب مرضاً اشعاعياً واختلالات وراثية في الجسم. وكان يفترض ان جو الارض يقي الانسان بعض هذه التأثيرات، ولكن كيف؟

الطريقة الوحيدة للتأكد من ذلك هي الصعود فوق الغيوم أعلى مما بلغه انسان من قبل. وكان بيكار يعتقد ان الأسفار الجوية في المستقبل ستكون في طبقات الجو العليا، اي على ارتفاع ١٢ كيلومتراً فوق سطح الارض حيث مقاومة الهواء ضعيفة جداً.

ولكن من اجل اقناع الآخرين يتحتم عليه اولا ان يثبت ان الانسان يمكنه ان يبقى حياً في تلك الاعالي الزاخرة بالاشعاعات الكونية مع فقدان الاوكسيجين وانخفاض الحرارة الى ٦٠ درجة مئوية تحت الصفر.

رائد الفضاء – منذ نعومة اظفاره كان بيكار مولعاً بالطيران. وعند بلوغه الثلاثين حصل على اجازة طيار منطاد. من ثم أخذ يستخدم هذه المهارة في اجراء تجاربه على الاشعة الكونية. استعان بمنحة مالية للابحاث من بلجيكا لبناء كرة من الألمنيوم محكمة الاغلاق قطرها ٢،١٠ متر، كما صمم منطاداً يعتمد الهيدروجين ويعادل ارتفاعه ١٥ طبقة سكنية ليحمل هذه الكرة. وكان اكبر منطاد في الوجود. وفي ٢٦ مايو (أيار) ١٩٣١ كان كل شيء جاهزاً للاقلاع في تلك الرحلة التاريخية من اوغسبرغ في ألمانيا. وفي الثالثة والنصف من صباح اليوم التالي ولج بيكار ومساعده بول كبفر القمرة المضغوطة الاولى في العالم وهما يعتمران

(١) بعد سنوات طويلة من هذا اللقاء، حين كان آينشتاين في الولايات المتحدة وقد غدا بيكار طيار منطاد شهيراً، ألقى بعض العلماء ظلالا من الشك على نظرية النسبية التي وضعها آينشتاين. فطلب هذا من بيكار اثبات نظريته من خلال رحلة بالمنطاد الى أعالي الجو حيث يستطيع قياس سرعة الضوء على نحو ادق مما يتيسر على سطح الارض. فلبى بيكار رغبة صديقه العلامة واثبت بتجارب لا تدحض صحة هذه النظرية.

خوذتين واقيتين صنعاهما من السلال والوسائد الصغيرة. وكانت خطتهما تقضي بالعودة الى الارض ظهراً.

واجه الاقلاع بعض المصاعب بسبب الريح الشديدة التي هبت، فمد العاملون على الارض حبالا اضافية ليثبتوا المنطاد في مكانه، لكن محاولتهم جاءت متأخرة. وحين نظر بيكار من النافذة ليعطي اشارة الانطلاق كان منطاده يحلق فوق مداخن المدينة. وارتفع المنطاد الى علو ٤٠٠٠ متر بسرعة، ثم حدث خلل اذ كشف مقياس الضغط الجوي ان ضغط الهواء في الداخل والخارج كان متساوياً. اذاً، أخذ الهواء "الثمين" يتسرب من داخل القمرة الى الخارج عبر فتحات المقياس. وعمد بيكار الى سد الفتحات بنتف الالياف مع الشحم.

وكان مقياس الضغط سقط الى ارض القمرة وتحطم نتيجة خضة قوية عند الاقلاع. ورأى بيكار الزئبق يندلق على الارض، وادرك للحال انه سيؤدي الى تآكل ارض القمرة المصنوع من الألمنيوم فيفتح فيها ثغرة. وتمنى في تلك اللحظة لو ان لديه جهاز تفريغ يمتص الزئبق. وفجأة لمع في خاطره ان لديه مثل هذا الجهاز، بل هو اضخم جهاز تفريغ في الوجود وعلى عتبة نافذته تماماً. وصل انبوباً من المطاط بأحد المصارف الهوائية في القمرة، واذا بالضغط المنخفض يمتص الزئبق ويلقيه خارجاً فوراً.

عند مستوى ١٥،٧٨٠ متراً في طبقات الجو العليا عاد الهواء يتسرب. فصمم بيكار على الهبوط الى مستوى ادنى. وجذب صمام تصريف الغاز ليفرغ بعض ما في المنطاد من الهيدروجين، لكن الصمام كان معطلا اذ اشتبك احد الحبال الاضافية التي ألقيت الى المنطاد عند الاقلاع بحبل الصمام فتعطل عن العمل. ولو جذب بيكار حبل الفتحة الرئيسية ليفرغ المنطاد كلياً من الغاز، لأدى ذلك الى سقوطهما الى الارض كصخرة تنحط من عل.

هكذا وجد بيكار وكبفر انفسهما في مأزق واصبحا حبيسين فيطبقات الجو العليا التي راودهما الامل في قهرها. واخذا يهيمان على غير هدى في كرتهما الالمنيوم فوق جبال الألب في اتجاه البحر الادرياتيكي بين يوغوسلافيا وايطاليا. وكان بيكار مدركاً انه لو اتيح لهما الصمود حتى مغيب الشمس فسيهبط بهما المنطاد مع تدني الحرارة الخارجية وبرودة الغاز في جوفه.

منظر رائع ـ أخذت الشمس المتوهجة ترفع حرارة القمرة حتى بلغت درجة لا تطاق. وكان أحد جانبي القمرة مطلياً بالابيض ليعكس حرارة الشمس، غير ان الجهة المواجهة للشمس في هذا الموقف كانت مطلية بالاسود فأخذت تمتص الحرارة القوية لأن المحرك الكهربائي المعد لادارة القمرة في الاتجاه الصحيح تعطل ايضاً. وبلغت الحرارة داخل القمرة ٤٠ درجة مئوية واستحال اجراء كل التجارب المقررة، لكن بيكار قال في ما بعد: "كان المنظر رائعا."

بيكار وكبفر يعتمران خوذتيهما الواقيتين، وهما سلّتا تسوّق مقلوبتان ومبطنتان بالوسائد.

المنطاد الذي يبلغ ارتفاعه ١٥ طبقة سكنية خلال تجهيزه للرحلة التجريبية في اوغسبرغ، ألمانيا، في ١٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٣٠.

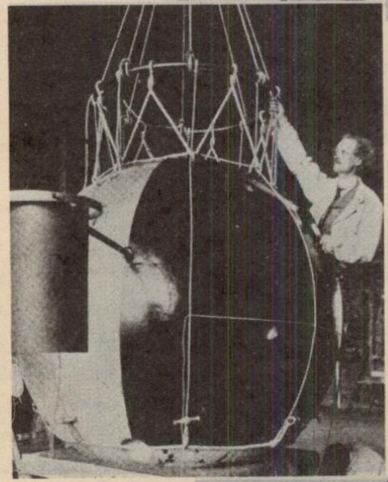

بيكار يتفحص كرة الالمنيوم التي ستحمله الى ارتفاع ١٥،٧٨٠ متراً.

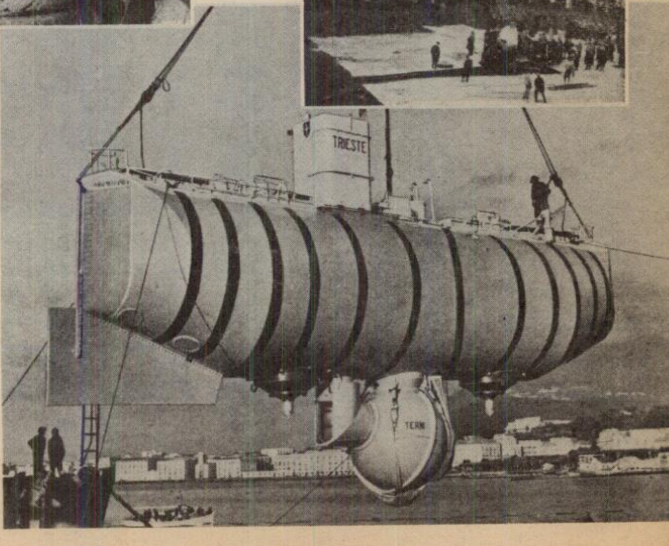

سفينة الاعماق "تريستا" تنزل الى البحر.

مرت الساعات بطيئة واخذت الصحافة العالمية تنعت رحلة المنطاد الذي تأخر موعد عودته الى الارض بأنها كارثة. وتملك الخوف زوجة بيكار واولاده الاربعة. وأخيراً غربت الشمس ولكن لم يحدث شيء. كتب بيكار في سجل الرحلة في قمرته: "ليس من المعقول الا يأخذ المنطاد في الهبوط."

اخيراً في الثامنة الا ربعاً مساء أخذ المنطاد يهبط ببطء ثم بسرعة متزايدة. وفي التاسعة بلغ مستوى ٤٥٠٠ متر. وكان مخزون الاوكسيجين قارب النفاد. وحين أحس بيكار ببوادر النعاس المميت سارع الى فتح الكوة ليندفع الهواء النقي الى الداخل. ومر المنطاد فوق القمم الصخرية المسننة ورأى بيكار قرية صغيرة فحاول ان يرسل اليها اشارة ضوئية بمصباحه اليدوي الكهربائي.

اخذ المنطاد يهوي بسرعة ونجا الرجلان بأعجوبة من الاصطدام بحافة جرف في الجبال. عندئذ تأهب بيكار لتفريغ الغاز من المنطاد في اي لحظة تسنح له. وما ان مرا فوق هضبة مكسوة بالثلج حتى صاح: "الآن" وجذب كبفر حبل كوة التفريغ وهبط المنطاد الى الارض. كان الهبوط عنيفاً لكن الحظ حالف الرجلين فلم يصابا بأذى.

قضى بيكار وكبفر بقية ليلتهما فوق الجرف الثلجي ملتحفين قماش المنطاد الفارغ من الغاز. وفي الصباح وصل فريق انقاذ الى قرية أوبرغورغل في النمسا وعثر على الرجلين سالمين. وتبين ان اشارة بيكار بمصباحه اليدوي التقطت في القرية.

بين ليلة وضحاها أصبح بيكار وكبفر بطلين شهيرين على رغم ان ابحاثهما في الاشعة الكونية لم تكتمل. واستحوذ على اعجاب العالم بلوغهما ارتفاع ١٦ كيلومتراً في الجو. وقال وليم اودونيل المسؤول في وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا): "كانت هذه حقاً الكبسولة الفضائية الاولى."

عاد بيكار الى الجو في السنة التالية وانطلق المنطاد هذه المرة من زوريخ في سويسرا ولم يواجه اي عقبات. واثبت بيكار بالبرهان القاطع ان الاشعة الكونية لا تعيق غزو الانسان الفضاء. وهو افتتح في الواقع عصر الاسفار الجوية الحديثة والاكتشافات الفضائية.

ريادة الاعماق – بعد اقتحام طبقات الجو العليا تحول بيكار الى البحر. وكان في الثالثة والخمسين من عمره. ومع ان احداً لم يغص الى عمق يزيد على ٩٢٣ متراً فقد راود خياله ان يجعل اعماق المحيطات أماكن سهلة الرياد كما جعل طبقات الجو من قبل. وعمد في اول الامر الى ربط كرة فولاذية بعوامة مملوءة بالبنزين الذي هو أخف من الماء. ولكي يجعل سفينة الاعماق هذه تغوص، وضع كتلا من الحديد في أوعية الصقها بالعوامة بفعل مغناطيسية صادرة عن تيار كهربائي. فاذا اراد الغواص العوم، فهو يضغط زراً فيقطع التيار الكهربائي وتنعدم المغناطيسية وتسقط الكتل الحديد.

اوقفت الحرب العالمية الثانية مشروعه موقتاً. وفي العام ١٩٤٨ عاد بيكار الى تجاربه قبالة ساحل غرب افريقيا. وبلغ في غوصه الاول ٢٥ متراً وفي الثاني (الذي كان غوصاً غير مأهول) ١٣٨٨ متراً وهو رقم قياسي. ولكن قبل ان يحاول بيكار تحطيم رقم قياسي في غوص مأهول أصيبت سفينة الاعماق بعطب في اثناء سحبها من بحر هائج.

وفي ١٩٥٣ كان بيكار بلغ التاسعة والستين واستعد وابنه جاك (٣١ سنة آنذاك) للغوص في سفينة اعماق جديدة دعاها "تريستا" قبالة ساحل ايطاليا الغربي. وغاصا في اليوم الاول الى عمق ٤٠ متراً، ففي هذا العمق يمكن الغواصين ان ينقذوهما اذا طرأ خلل ما. لكن الغواصة ادت واجبها على اكمل وجه. فقررا الغوص الى عمق ١٠٨٠ متراً. وتم كل شيء على ما يرام وهما يهبطان من الضوء الخافت الى الظلمة الحالكة. واخيراً اصطدمت انوارهما الكاشفة بقاع البحر وغدا كل ما حولهما أسود. الا ان الغواصة استقرت في سبخة من الوحل وادرك الرجلان أنهما غرقا في متر ونصف متر على الاقل من الطين لأن نافذتهما غطيت تماماً. وكانت هذه المرة الاولى التي يلامس انسان حي قاع البحر.

اطلق اوغست الاوعية التي تحوي كل الحديد، لكن السفينة ظلت ثابتة في مكانها. ترى هل غرقا في الوحل الى عمق يتعذر معه الافلات؟ وبعد مضي دقائق بدت لهما دهراً شعرا بارتجاج خفيف ورأيا الماء الموحل حولهما يعتكر. انهما يرتفعان!

بعد بضعة اسابيع غاص اوغست وابنه الى عمق قياسي مذهل هو ٣١٥٠ متراً وافتتحا بذلك عهد اختبارات اعماق البحار (٢). وربما كانت تلك اعظم لحظة في حياة بيكار. فقد بلغ في صعوده وهبوطه أعلى وأعمق نقطتين وصل اليهما انسان. وهكذا حقق احلام طفولته. وتقاعد بيكار من مهنة التعليم وعاد الى موطنه سويسرا. وفي ٢٥ مارس (آذار) ١٩٦٢ مات في نومه عن عمر ناهز ٧٨ سنة.

خلال حياته كرمت بلدان عدة بطل المغامرات هذا، اذ ان طبعه الجريء والارقام القياسية التي حققها جعلته ذا شهرة واسعة. وكان عمله غريباً بالنسبة الى استاذ متواضع. وكان يجد متعة غامضة وبعض الحرج في ما لقيه من تنويه وتشريف. وقال مرة: "كل ما اردت ان افعله كان تسليط الاضواء على الظلمات. ان ذلك يجعل حياة المرء خليقة بأن تعاش."

ولعمري انها لعبارة جديرة بأن تنقش على شاهدة ضريح هذا الرجل الخارق.

■ **راوول تانلي**

---

(٢) قدمت الغواصة "تريستا" في ما بعد الى اسطول امريكا الشمالية. وفي ٢٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٠ انحدر جاك بيكار والملازم في البحرية الامريكية دون والش الى عمق ١٠،٩١٦ متراً في خندق ماريانا.

الدماغ عضو يباشر العمل منذ نهوضك من النوم، ولا يتوقف الا عند بلوغك المكتب. ر.ف.

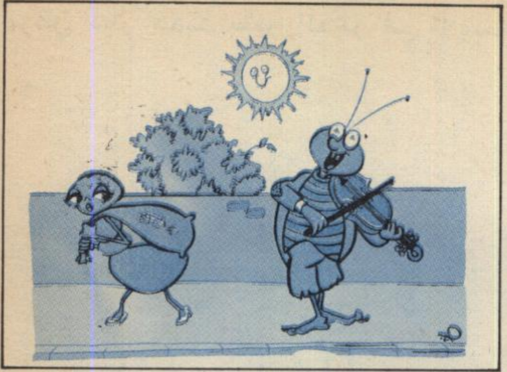

حَديقـــة أفكار

- الوالدان هما القوس التي يُطلق منها الاولاد سهاماً حية.

جبران خليل جبران، "النبي"

- ان معنى الصداقة ليس في مصافحة أو بسمة أو كلام عذب، بل هو في الشعور الذي يتولد لدى المرء عند ادراكه أن شخصاً آخر يقبله ويثق به.

رالف والدو امرسون

- التاريخ لا يدور بالطبق نفسه مرتين.

ل.ف.س.

- من المدهش أن نقع على مزايا متناقضة في الشخص الواحد، وفي الوقت نفسه على انسجام ملحوظ.

سومرست موم

- لا تخشَ الظلال قط. فهي تعني أن ثمة نوراً يشرق في مكان قريب.

ر.ر.

- أمرّ الدموع التي تذرف فوق القبور تفيض من الكلمات التي لم نتفوه بها والافعال التي بقيت أفكاراً.

هارييت ستوي (كاتبة امريكية)

- أصدق تعبير لشعب ما عن نفسه نجده في ما يبتكره من رقص وموسيقى. فالأجساد لا تكذب البتة.

انياس دو ميل (مصممة رقص امريكية)

- الامل يبتسم على عتبة السنة الجديدة، هامساً انها ستكون خيراً من الماضية.

الفرد لورد تنيسون

مرض سار جديد يثير الذعر في الاوساط الطبية

ايدز الداء الرهيبُ

عنوان يتصدر الصفحة الاولى في احدى صحف نيويورك ويحذر: "التلامس وحده قد يكفي لنشر ايدز!" (١)، ومحطة تلفزيون تتساءل في نشرتها المسائية: "هل لديك المناعة ضد ايدز؟" وبمثل هذا الرعب يعم انذار الخطر انحاء الولايات المتحدة.

كادت هذه التقارير المثيرة والمضللة احياناً توحي ان هذا المرض الغامض الذي يصيب في الدرجة الاولى الرجال اللوطيين والمخنثين ومدمني المخدرات وسكان جزر هاييتي والمصابين بسيلان الدم، سوف ينتشر بين سكان امريكا. فكانت النتيجة ان شاع الخوف من مرض ايدز بسرعة اكبر من شيوع المرض نفسه.

ومرض ايدز مخيف حقاً، فهو يهاجم جهاز المناعة في الجسم فيفقده حصانته ضد المرض وبعض انواع السرطان. والمرض في ذاته لا شفاء منه ويقتل اكثر من ٧٥ في المئة من ضحاياه خلال سنتين.

لقد مرت سنتان على تسجيل الاصابات الاولى في مركز مراقبة الامراض في اطلنطا، ولاية جورجيا. لكن اسباب هذا المرض ما زالت مجهولة.

وحتى تعرف هذه الاسباب فان افضل ما ينصح به الاطباء الجماعة الاكثر تعرضاً للخطر - اي الرجال اللوطيين - ان يخففوا من عدد شركائهم الجنسيين. لانه من الثابت قطعاً ان انتقال ايدز يتم من طريق المضاجعة الجنسية، ولذا فالعلاقات غير المشروعة تزيد احتمال تعرض الرجال لهذا المرض. وحتى الشركاء الذين يبدون سليمي الصحة يكونون من حاملي الجرثومة. وكثيراً ما تتأخر

---

(١) Acquired Immune Deficiency Syndrome «AIDS» اي اعراض نقص مكتسب في المناعة.

Condensed from Discover (July '83). (c) 1983 by Time Inc., New York, N.Y.

اعراض المرض بين ستة اشهر و٣٦ شهراً بعد التعرض للعدوى.

والاطفال ايضاً - حتى الآن يؤلف اللوطيون والمخنثون نحو ثلاثة ارباع المصابين في الولايات المتحدة. اما مدمنو المخدرات الذين قد يصابون بالمرض من طريق الابر الملوثة فيبلغون ١٧ في المئة، بينما يكون سكان جزر هاييتي خمسة في المئة لاسباب مجهولة. وهناك واحد في المئة من المصابين بسيلان الدم الذين ينتقل اليهم المرض من الاشخاص الذين يتبرعون بدمهم. اما بقية المصابين فليس من تفسير لسبب اصاباتهم، بمن فيهم اولئك الذين قضوا قبل ان يتمكن الاطباء من معرفة ما اذا كانوا لوطيين او مدمنين.

وفي اواخر مايو (ايار) ١٩٨٣ اعتبرت دائرة الصحة العامة الامريكية مرض ايدز شاغلها الاول. وفي بداية اغسطس (آب) افاد مركز مراقبة الامراض ان عدد الاصابات بلغ ٢٠٠٨ توفي من اصحابها ٧٧٤. وكان عدد المرضى يتضاعف كل ستة اشهر.

ويستبعد معظم الاطباء ان ينتشر مرض ايدز بين الناس عموماً، اذ يبدو ان سببه يكمن في الدم. ويقول الدكتور جيمس كوران رئيس فريق مكافحة ايدز في مركز مراقبة الامراض: "ان انتقال العدوى يتطلب احتكاكاً حميماً - كالجنس - مع شخص مصاب، او اتصالا بدم مصاب. ونحن لا نجد المرض لدى زملاء المصابين في العمل او لدى الاشخاص الذين يحتكون بهم في حياتهم اليومية."

ويبدو ان الضحايا الذين ليسوا من الجماعة الاكثر تعرضاً لمرض ايدز حصل لهم اكثر من احتكاك عابر مع احد افراد هذه الجماعة. فهناك ما لا يقل عن عشر اصابات في اناث لهن علاقة جنسية مع رجال مصابين بالمرض، كذلك هناك عشرون اصابة بين الاطفال. فقد اصيب احد الاطفال بمرض شبيه بمرض ايدز بعد نقل الدم اليه، كما اصيب ١٢ رجلا بالطريقة نفسها. اما بقية الاطفال الذين اصيبوا بالمرض فيبدو ان امهاتهم التقطنه من طريق المخدرات او الجنس او الاثنين معاً. ولان هناك اعتقاداً بان العامل المسبب لمرض ايدز موجود في الدم، يظن الدكتور كوران ان المرض انتقل الى الاطفال من طريق الدم وهم في ارحام امهاتهم.

وظهور مرض ايدز في مجموعات من غير اللوطيين اقنع علماء مركز مراقبة الامراض بان عاملا آخر لنقل المرض قد يكون جرثومة. وهم يقدرون انه فيروس جديد او فيروس عادي طرأت عليه تغيرات جينية.

فيروس رجعي - الاذى الاول الذي يصدر عن مرض ايدز يصيب خلايا "ت" وهي كريات دم بيضاء مهمتها الاساسية مساعدة الجسم في مقاومة الامراض الجرثومية. وهناك نوعان من هذه الخلايا: المساعدة التي تحفز جهاز المناعة على مقاومة الاجسام المهاجمة، والكابتة التي تحول دون

اندفاع الجهاز في رد فعل متطرف. وفي الاحوال الطبيعية تكون الخلايا المساعدة ضعفي الخلايا الكابتة عدداً. اما في مرض ايدز فيطغى عدد الكابتة على المساعدة مما يشل قسماً من جهاز المناعة. وقد وجد الباحثون في جامعة روكفلر في مدينة نيويورك نوعاً من البروتيين في دم عدد من ضحايا المرض يعمل ككابت قوي للمناعة. وقد يكون الجسم نفسه هو الذي صنع البروتيين تحت تأثير المرض الفيروسي.

واحد الفيروسات التي قد تسبب خللا في خلايا "ت" هو ذلك الذي يسبب لوكيميا الخلايا "ت" (٢) في الانسان. وهي لوكيميا غريبة جداً. وقد وجد هذا الفيروس لدى اقل من واحد في المئة من اشخاص اصحاء تم فحصهم في امريكا الشمالية، لكنه اكثر انتشاراً في جزر الكاريبي. واجرى علماء المعهد الوطني للسرطان في جامعة هارفرد ومعهد باستور في باريس دراسات على اهالي جزر هاييتي، لصلتهم بمرض ايدز. فوجدوا فيروس لوكيميا "ت" في نسبة عالية - ٢٥ في المئة في دراسة هارفرد - من المصابين بمرض ايدز او المعرضين للاصابة به.

وبما ان الفيروس لم يثبت وجوده لدى جميع ضحايا الايدز، يشك الكثير من الباحثين في ان يكون هو سبب المرض. بل نقيض ذلك قد يكون صحيحاً، اي ان وجوده ناتج من مرض ايدز اذ تنعدم المناعة في الجسم فينتهز الفيروس الفرصة للظهور، كما يقول الدكتور كوران. وينتمي فيروس لوكيميا "ت" الى نوع من الفيروسات الرجعية التي تسبب السرطان في الحيوانات وتكبت جهاز المناعة، مما حمل الدكتور كوران على الاعتقاد ان مرض ايدز قد تسببه "بعض الفيروسات الرجعية المماثلة لفيروس لوكيميا "ت".

تجارب انبوبية - يلاحق الباحثون دلائل اخرى لكشف اسباب المرض. وهناك دليل يبعث الامل برز في مختبر آلان غولدشتاين في كلية الطب في جامعة جورج واشنطن، اذ اكتشف غولدشتاين لدى بعض المصابين في المراحل الاولى من المرض نسبة عالية من هرمون الغدة الصعترية (٣). وهذا ما ركز البحث على الغدة نفسها التي تفرز مواد اساسية لتكوين خلايا "ت".

كما ان عدداً من العلماء يعتقد ان لفيروس "سيتوميغالو" من عائلة فيروسات القوباء صلة بمرض ايدز. فهو يستطيع كبت جهاز المناعة موقتاً وهو شائع في الرجال اللوطيين، كما ثبت انه السبب في وفاة بعض ضحايا مرض ايدز. ويعمل الباحثون الآن على التفتيش عن نوع جديد منه ربما كان اكثر خبثاً.

وفي كلية الطب في جامعة البرت اينشتاين ومعهد مونتيفيور الطبي في مدينة نيويورك يقول الباحثون انهم وجدوا فيروساً آخر في بول سبعة عشر مصاباً بمرض ايدز. وهذا النوع من الفيروس المعروف باسم

(٢) اللوكيميا هي ابيضاض الدم.

(٣) غده صغيرة صماء قرب قاعدة العنق.

"ادينوفيروس ٣٥" هو واحد من ٤١ فيروساً متقاربة تسبب انواعاً عدة من الاضطرابات لدى الانسان بما فيها بعض مشاكل التنفس.

وأملا في انارة المستقبل الكئيب لضحايا مرض ايدز عمد بعض الباحثين الى استخدام بعض العوامل البيولوجية كالانترفيرون، وهي مجموعة من نحو ٢٠ مادة تصنعها خلايا متنوعة وتقاوم الامراض الجرثومية والسرطان. ويجري الآن صنع بعض من هذه العوامل في المختبرات بواسطة البكتيريا الموجهة جينياً، وهي طريقة حديثة معقدة. ويأمل الاطباء ان يكون الانترفيرون عاملا مساعداً في استرجاع جهاز المناعة وظيفته.

ولكن ما زالت النتائج غير ثابتة. الا ان الانترفيرون يبدو مفيداً ضد سرطان "كابوزي"، وهو نوع من سرطان الجلد شائع لدى المصابين بمرض ايدز وكان من الصعب معالجته لان المعالجة العادية للسرطان تضعف هي ايضاً جهاز المناعة في الجسم.

واثبتت دراسة نشرت في مجلة "نيو انغلند الطبية" ان ١٢ مصاباً بمرض ايدز وبسرطان الجلد عولجوا بالانترفيرون. فكانت النتيجة ان شفي ثلاثة منهم وظلوا اصحاء حتى بعد اشهر من توقف المعالجة. كما تحسنت كثيراً حال مريضين آخرين وطرأ تحسن بسيط على ثلاثة غيرهم. اما الاربعة الباقون فلم تتبدل حال السرطان لديهم.

وهناك دراسة حديثة اجراها باحثون في الادارة الامريكية للغذاء والدواء ومعاهد الصحة الوطنية تبين ان "انترلوكن - ٢"، وهو عامل عضوي آخر تصنعه كريات الدم البيضاء، يزيد من فاعلية المقاومة في الخلايا المعطوبة لدى ضحايا ايدز، على الاقل في التجارب الانبوبية. وليس معروفاً بعد ما اذا كان هذا العامل يساعد المرضى انفسهم ام لا. غير ان هناك تجارب قيد الدرس لمعرفة فاعليته وسلامة استعماله لدى البشر.

وربما كانت الاخبار الاكثر تشجيعاً ما يتعلق بالمصابين باعتلال الغدد اللمفية. وهو مرض مزعج بدأ يكثر لدى اللوطيين ومدمني المخدرات.

وتشمل اعراض هذا الداء تورم الغدد اللمفية والحمى والتعب والعرق الليلي، وفي بعض الحالات خسارة في الوزن وتضخماً في الطحال، وهي جميعاً تشير الى بداية مرض ايدز.

كذلك تضطرب نسبة خلايا "ت" في مرضى الغدد اللمفية مما اثار خوف الاطباء الذين اكتشفوا ذلك من انهم امام بداية مرض ايدز.

ولكن بعد وضع المصابين باعتلال الغدد اللمفية قيد المراقبة لمدة سنتين وجد بعض الباحثين ان اقل من ١٠ الى ١٥ في المئة منهم اصيبوا بمرض ايدز على رغم استمرار التورم اللمفي سنوات. ويبدو ان المرضى الذين لم يصابوا بمرض ايدز استطاعوا ان يحصروا مرضهم في الغدد اللمفية.

ومهما يكن اتجاه مرض ايدز فانه احتل مكانته كواحد من اعجب الالغاز الطبية في هذا العصر.

■ **دنيز غرادي وكيلي تاسكر**

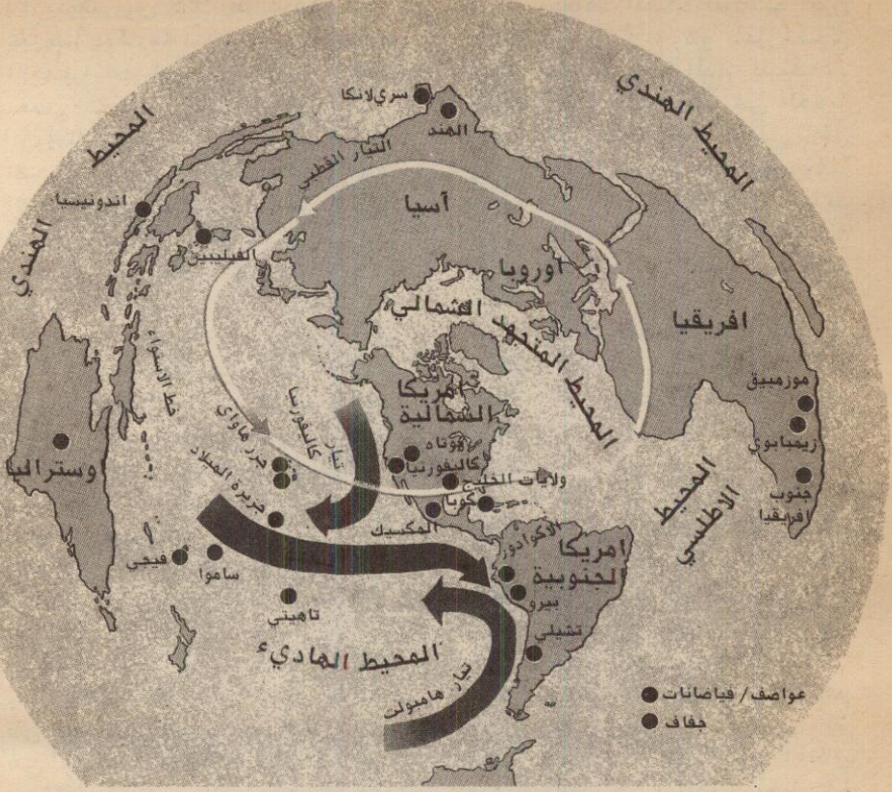

يتنادى العلماء من اصقاع العالم لدراسة
هذه الظاهرة الطبيعية المخيفة
والتكهن بزمن وقوعها
والاستعداد لتفادي
ويلاتها المرتقبة

«النينو»

م

مناخ المحيط الهادىء معتدل عادة، لكنه لا يلبث ان يجن فجأة منذراً بأخطار داهمة وخراب رهيب.

وقد اعلنت جوان هوك من ادارة المحيطات والاحوال الجوية في الولايات المتحدة، انه ما بين الأشهر الاولى من عام ١٩٨٢ وسنة ١٩٨٣ تسبب الطقس الرديء العاصف في خسائر مادية فاقت قيمتها المليار دولار في الممتلكات وبلغت نحو ستة مليارات في القطاع الزراعي في عشرات البلدان في القارات الخمس، وذلك من جراء الفياضانات والجفاف والحرائق والاعاصير الغريبة النادرة التي ضربت ولاية هاواي في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢.

ومع نهاية ١٩٨٢ وبداية ١٩٨٣ غمرت الامطار الغزيرة مساحات صحراوية كبيرة في بلاد الاكوادور وشمال غرب البيرو. فقطعت السيول الجارفة الطرق العامة واغرقت المواسم الزراعية وأزهقت ارواح المئات. كذلك تسبب الطمي والاوحال في تدمير عدد من قرى البيرو. ودام الطوفان حتى شهر مارس (آذار). وفي الاكوادور غمرت الفيضانات ثلث البلاد، بحسب ما اعلنه مسؤول اداري. اما في مدينة غوياكيل فبلغ معدل المطر نحو ٦٠ سنتيمتراً في يونيو (حزيران) مع ان متوسط المطر لا يتجاوز السنتيمتر الواحد في مثل هذا الوقت.

قحط وفيض — في الشمال ضربت ولاية كاليفورنيا عواصف عاتية نتجت منها فيضانات هائلة جرفت الطمي والاوحال، وارتفاع في حركة المد والجزر. وكانت الخسائر جسيمة اذ تعدت ٣٠٠ مليون دولار في الممتلكات، واجلي عشرة آلاف من السكان عن بيوتهم وقضى منهم ما لا يقل عن اثني عشر شخصاً.

وفي الطرف الآخر من المحيط الهادىء، في جنوب شرق اوستراليا، بلغ الجفاف اقصاه وعم القحط البلاد. فصوّحت المراعي وظمئت المواشي وشبت الحرائق فالتهمت مساحات واسعة في القسم الجنوبي من البلاد وتسببت في موت ٧١ شخصاً. اما الاضرار المادية فتجاوزت الاربعمئة مليون دولار. وكانت حصيلة الأضرار الزراعية اكثر من مليار دولار.

واصاب الجفاف ايضاً سري لانكا وجنوب شبه الجزيرة الهندية حيث تدنى معدل الانتاج الزراعي الى النصف. ولم ينج القطاع الصناعي من بعض الاضرار. وعانت ولاية تاميل نادو الهندية الكثير بسبب شح المياه وما نجم عنه من نقص في الطاقة الكهربائية. فانخفض انتاج الاسمنت والسماد الكيميائي والصودا الكاوية بنسبة راوحت بين ٢٥ و٤٠ في المئة، مما ادى الى تسريح ما بين ١٠٠ الف و١٥٠ الفاً من عمال المصانع. اما كمية المياه القليلة المتبقية فحولت لري الاراضي الزراعية.

وفي بداية ١٩٨٢ ضرب الجفاف اندونيسيا ايضاً فأودى بحياة ٣٤٠ شخصاً قضوا جوعاً وعطشاً. كما انتشر وباء الكوليرا نتيجة تلوث المياه، فادخل اكثر من الف شخص

المستشفيات. وفي جنوب جزر الفيليبين قاسى السكان من شح المياه والنقص في المواد الغذائية لأن معدل المطر لم يتعد الـ٢٠ في المئة من متوسط الامطار. وهذا يعني ان خمسمئة الف هكتار من الاراضي المزروعة غدت غير صالحة للاستثمار.

وفي جنوب شرق آسيا حصل اسوأ جفاف عرفته البلاد. فحدث ارتفاع غير عادي في درجة الحرارة وانخفضت نسبة الامطار فلم تزد على نصف المعدل المعتاد في الفترة ما بين نوفمبر (تشرين الثاني) وابريل (نيسان)، اي في فصل الامطار.

اما في زمبابواي وموزمبيق وجنوب افريقيا فتدنى انتاج المواد الغذائية بين ٤٠ و٧٠ في المئة، مما حدا سلطات موزمبيق التي تضرر اربعة ملايين من سكانها، على طلب مساعدات غذائية طارئة في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣.

غير عادي – يظن العلماء ان لهذه الكوارث التي نزلت بالعالم علاقة وثيقة بقوة هائلة غامضة تنبعث من المحيط الهادىء وتتفاعل مع طبقات الجو. ويتولد وسط المحيط تيار دافىء يعرف شعبياً بأسم "النينو" ومعناه في الاسبانية "المولود الجديد". ويظهر هذا التيار كل سنة تقريباً مع اقتراب عيد الميلاد، ويبدأ في العادة دافئاً خفيفاً على شواطىء البيرو والاكوادور. اما في الفترة ١٩٨٢ – ١٩٨٣ فقد اندفع التيار الدافىء على نحو غريب ومرعب لتشمل رقعته ربع الكرة الارضية ابتداء من البيرو والاكوادور. وكان ظهوره المخيف يختلف كلياً عما كان في السابق. والتقلبات الرهيبة في الضغط الجوي التي رافقت ظهوره نبهت الى وجوده غير العادي.

تحصل في طبقات الجو كل أربع أو خمس سنوات تغيرات وتقلبات تدوم احياناً بين ثمانية عشر شهراً وسنتين. ومن الدراسات السابقة نعرف ان تيارات دافئة من نوع "النينو" حصلت في الاعوام الآتية: ١٨٧٧، ١٨٩١، ١٩١٨، ١٩٢٥، ١٩٤٠ – ١٩٤١، ١٩٥٧ – ١٩٥٨، ١٩٦٥، ١٩٧٢ – ١٩٧٣، ١٩٧٦ – ١٩٧٧، ١٩٨٢ – ١٩٨٣. والتيار الأخير كان الأقوى خلال القرن العشرين اذ ارتفعت حرارة المياه السطحية في بعض الاماكن اكثر من سبع درجات مئوية فوق الحرارة العادية.

ومعلوم ان حركة الرياح والتيارات المائية تتفاعل بطريقة علمية واضحة. تهب الرياح التجارية فوق المحيط الهادىء عادة من الشرق الى الغرب. وهناك تيارات مائية تتحرك على خط الاستواء في الاتجاه نفسه. وتشبه حركة المياه ما يحصل متى نفخ المرء في فنجان قهوة، اذ يرتفع السطح الساخن في الطرف المقابل لاتجاه النفخ. على المنوال نفسه تتحرك الرياح والتيارات. فتتجمع المياه على الشاطىء الجنوبي الشرقي من آسيا وعلى شواطىء الجزر الكثيرة التي تقع بين المحيط الهندي والمحيط الهادىء، ويرتفع منسوب المياه على شواطىء آسيا حوالى نصف متر عن معدله في شواطىء امريكا الجنوبية.

تتجمع المياه في القسم الغربي (او الآسيوي) من المحيط الهادىء وتتشكل طبقة كثيفة من المياه الدافئة فوق السطح. ويحصل العكس في القسم الشرقي من المحيط الهادىء حيث تكون طبقة المياه الدافئة ضحلة.

الشتاء الطويل - يتكون تيار "النينو" عندما يبدأ الضغط الجوي المنخفض فوق بلاد اندونيسيا في الارتفاع تدريجياً، بينما الرياح التجارية الهوجاء التي تهب على خط الاستواء تأخذ فجأة في الركود، فيقل نشاطها وتخف سرعتها مما يغير اتجاهها العادي فتصبح حركتها من الغرب الى الشرق.

ويصرح أوجين راسمسون من ادارة المحيطات والاحوال الجوية في كامب سبرنغز (ولاية ماريلاند) ان العلماء لم يتوصلوا بعد الى تحليل الأسباب.

ومع ذلك يلاحظ ان المياه المتراكمة تتحرك بعنف وشدة من دون اتجاه وهي تعود الى امريكا مارة عبر خط الاستواء حيث تكتسب قوة حرارية شمسية هائلة تزيد من دفء التيار المائي الذي يغوص في النهاية الى اعماق المحيط. عندئذ تزداد كثافة المياه السطحية الدافئة التي كانت ضحلة سابقاً، وتتوسع في القسم الشرقي من المحيط الهادىء. ويمنع هذا التيار وصول الغذاء الى الأسماك كما يمنع المواد الغذائية من ان تطفو على السطح لتتلقفها الطيور البحرية. وفي العام ١٩٨٢ تسبب تيار "النينو" في رحيل ملايين الطيور البحرية التي كانت معششة في جزيرة كريسماس فوصلت الى شواطىء البيرو في امريكا الجنوبية. فكان ان تدهورت صناعة تعليب الأسماك الصغيرة (آنشوا). وقد سبق لهذه الصناعة ان تأذت عام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ للسبب نفسه.

ان ارتفاع حرارة المياه فوق سطح المحيط يرافقه تغير في الضغط الجوي ودرجة الحرارة وحركة الرياح. وهذا ما يسبب تغيراً جذرياً في المناخ. وقد فاقت التغيرات المناخية الاخيرة كل التوقعات. فغمرت الامطار الغزيرة نصف الكرة الارضية، خصوصاً شمال شرق المحيط الهادىء. ورافقت السيول الغزيرة رياح شديدة على ارتفاع ١١ كيلومتراً وبسرعة ١٩٠ كيلومتراً في الساعة.

ومن امريكا الشمالية الى امريكا الجنوبية اندفعت السيول بسرعة غير مألوفة. وكان اطول فصل للأمطار دام حتى الربيع في كوبا والمناطق الجنوبية من الولايات المتحدة.

وهاجم الطمي والسيول الناجمة عن ذوبان الثلوج ولاية يوتاه حيث تدفق السيل في الاودية في جبال واساش جارفاً معه الطمي والصخور، مما اضطر اكثر من خمسمئة شخص الى اخلاء منازلهم.

وفي كوبا والولايات الامريكية على خليج المكسيك اجبرت السيول عشرات الالوف على ترك منازلهم. وارتفع منسوب المياه في نهر بيرل مترين فوق معدل الفيضانات في نهر المسيسيبي. وبلغت الخسائر المادية نحو ٢١ مليون دولار. اما القسمان

Mediterranian Sea
rotring
No 1
In the Middle East
and worldwide.
rotring isograph
With the invention of the first, definitive drawing pen – the rotring rapidograph – we began a whole new era in technical drawing. All over the world designers and engineers are creating progress with rotring. From the drilling rig and the automobile right down to the golf ball; practically everything has its origins in the technical drawing. And because someone has to build from it, the drawing must be precise. That's why rotring is indispensible. So are rotring drawing pens, rotring compasses, drawing boards, stencils and templates. Ask for more information about our precision drawing instruments.
Available in all leading stationary shops in the Middle East.
rotring
Made in Germany

الشمالي الشرقي والغربي الاوسط من الولايات المتحدة فتمتعا بشتاء معتدل تبعه ربيع ماطر، بينما انحصرت الرياح القطبية الباردة في شمال شرق كندا.

ابحاث مستقبلية – يربط العلماء بين التغيرات المناخية والتيار الدافىء "النينو" الذي كان وراء الشتاء العاصف في امريكا الشمالية والجنوبية، من جهة، والقحط الذي اصاب المكسيك وقسماً من امريكا الوسطى في صيف ١٩٨٣ من جهة اخرى. كذلك هم واثقون بعلاقة هذه التغيرات بالجفاف في اوستراليا واندونيسيا. وقد اعلن راسمسون ان تأثير التيار الدافىء في التغيرات المناخية يطول اكثر من ثلث العالم وقد يصل تأثيره الى نصف العالم.

كذلك ربط العلماء بين التغيرات المناخية في الشرق الاوسط وتيار "النينو". وربما كان هو سبب الشتاء البارد والمثلج في الشرق الاوسط، والفيضانات الهائلة في البرازيل والباراغواي وشمال الارجنتين، والامطار الغزيرة في الصين، والجفاف الخانق في افريقيا الغربية وشبه الجزيرة الايبرية.

ويرى العلماء ايضاً ان هناك مؤثرات اخرى متداخلة تتفاعل وتعدل في المناخ، كالتغيرات التي حدثت ربيع ١٩٨٣ على اثر انفجار بركان شيشون في المكسيك الذي زادت ثورته العارمة في اندفاع التيار الدافىء "النينو" لكثرة الحمم التي قذفها من جوفه والتي غطت الفضاء بغيوم كثيفة من الرماد الحالك. واستناداً الى دراسات سابقة، فان ثورة البركان تصحبها تغيرات اكيدة في المناخ ودرجات الحرارة والضغط الجوي.

ويقول راسمسون: "ان كل تيار دافىء يختلف عن سابقه باختلاف مسبباته، فتترتب عن ذلك حالات متباينة وغير ثابتة النتائج. الا انه يؤكد ان خمس كوارث الجفاف في الهند منذ ١٨٧٥ حدثت في السنوات التي ضرب تيار "النينو" البلاد. ويتطابق توقيت الكوارث ايضاً مع حصول كوارث الجفاف في جنوب شرق افريقيا."

ان زيادة المعرفة العلمية لتيار "النينو" ضرورية للتكهن بوقوعه. وهذا سيساعد هيئات التخطيط الزراعية والمدنية في تلافي ويلاته على شواطىء المحيطين الهادىء والهندي.

ويتم حالياً جمع المعلومات الاحصائية كما تجرى رقابة شديدة للاحوال المناخية. وهناك سفينة ابحاث تراقب تيار "النينو" منذ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢، اضافة الى ١٧ طوافة للارشاد تبث المعلومات بواسطة قمر اصطناعي تابع لادارة المحيطات والاحوال الجوية في الولايات المتحدة، وتهتم مؤسسة "سكريبس" في مدينة لايولا في ولاية كاليفورنيا لدراسة هذه الظاهرة والتعمق في تحليلها. وهناك المؤسسة الوطنية للعلوم التي تجري ابحاثاً مماثلة وتتبادل نتائجها ومعلوماتها مع مؤسسة "سكريبس" وبعض

الجامعات. وستجري مؤسسة "توغا" ابحاثاً مكثفة لمدة عشر سنين حول ظواهر المناخ في المحيطات الهادىء والهندي والاطلسي وستباشر عملها مطلع ١٩٨٥. وسيشرف "برنامج ابحاث المناخ العالمي" في جنيف على هذه الابحاث بالتعاون مع علماء من اكثر من خمسين دولة.

اهمية هذه الابحاث كبيرة نظراً الى ما يمكن ان يحدثه هذا التيار من ضرر عام. ويخشى ان تفوق اضراره المستقبلية تلك التي أوقعها في شتاء ١٩٨٣. ولقد قال ميشال موزلي، وهو عالم آثار في متحف التاريخ الطبيعي في شيكاغو، ان "النينو" هو الذي تسبب في فيضانات البيرو التي حصلت في القرن الثاني عشر وادت الى تدمير نظام الري فيها واحالت سهولها أرضاً بلقعاً. هذه الكارثة الكبرى كانت في رأيه وراء المجاعة التي أضعفت حضارة "شيمو" الهندية هناك ومهدت الطريق لانهزام شعبها.

ان راسمسون مقتنع بان حسن التكهن بحدوث تيار "النينو" يساهم في الاستعدادات الوقائية ومنع الكوارث. وهو متفائل بأنه خلال عشر سنين من الابحاث سيصبح في الامكان التكهن لابعد من موسم واحد.

يشبه تيار "النينو" طفلا شرساً متقلب المزاج يحمل المناخ القاسي المهلك، انه على نقيض اسمه لا يحمل الخير والكرم. لكن الانسان بفهمه هذه الظاهرة او قدرته على التكهن بوقوعها يمكنه ان يتقي ويلاتها، ودراسة احوال التيار عن كثب تمكننا من حل مشكلة عالمية غامضة في تقلبات الطقس.

■ **جاي ستالر**

ما لا تعرفه تجهله

كعادتي لدى زيارة اختي، حملت معي بعض الحلوى لطفلتيها. وهرعت الي احداهما تريني كتيباً وزع على صفها في المدرسة، وهو يدور على العناية بالاسنان والامتناع عن بعض المآكل، ومنها الحلوى التي حملتها.

ولما قلت للصغيرة اني سآخذ الحلوى معي، أجابت: "ولماذا تفعلين هذا؟ ان اختي لم تحصل بعد على نسخة من هذا الكتاب."

ج.ب.

صدق في غير محله

قالت المرأة لزوجها وهما يدفعان بسيارتهما الى مرأب التصليح: "لقد صدق المالك السابق اذ قال وهو يبيعنا السيارة انها لا تستهلك الكثير من الوقود."

صحيفة "دير شتيرن"، المانيا

كتاب الشهر

المنفى

المنفى

انها سيبيريا، أرض المنفى واللارجوع والصراع المرير من أجل البقاء...

وسط الشتاء السيبيري عام ١٩٤٢، وجدت حفنة من أسرى الحرب الايطاليين ظروف الحياة قاسية جداً أمامها. وكان أفراد تلك المجموعة ـ والكاتب أحدهم ـ مبتوري الاطراف.

الا أنهم صمدوا، لا بل وجدوا لأنفسهم مكاناً في قلوب شعب كان يملك كل ذريعة لمقتهم. ولكن ما الذي قرب بين الايطاليين والروس في ذلك المكان النائي؟

من عوامل ذلك التلاقي رفعة الخُلُق الروسي والحس الانساني العميق لدى الطليان. يضاف الى هذا وذاك تعلق الروس بالفن الايطالي وشمس المتوسط الدافئة التي لا تشرق على فلاديفوستوك ونوفغورود.

Condensed from Vengo dalla Siberia. (c) 1973 by Carlo Silva and published by Bieti* Milan
Illustrations by Joe Krush

عند الفجر حملني جنديان من غرفة الجراحة الميدانية التي أقامها أطباؤنا العسكريون في بلدة شيرتكوفو المتنازع عليها، والتي تبعد ٨٠ كيلومتراً أو نحوها غرب نهر الدون.

كان ذلك بعد مضي يومين على عيد الميلاد للعام ١٩٤٢، وقد توقفت فرقتنا الايطالية الصغيرة لاستراحة موقتة في شيرتكوفو، وهي تكوّن مؤخر جيش قوي، عدده عشرون ألف جندي من المان وطليان، أمروا بالتراجع غرب الدون.

وكانت جدعة ساقي اليسرى تؤلمني كثيراً. وقد بتر جزء منها على أثر قضمة صقيع أصابتها خلال تراجعنا عبر السهوب الروسية الجليدية. وعلى رغم أن رجلي قُصت من تحت الركبة، فقد خيل الي أني احس الألم في الاعصاب والاوتار والعضلات، وان ذلك الالم يمتد عبر ربلة ساقي الى أصابع قدمي التي لم تبق حيث كانت.

وحملني الجنديان الى غرفة صغيرة، حيث مدداني على أرضيتها بالقرب من أربعة زملاء بتر لكل منهم أحد أطرافه.

وبادرني أحدهم، وهو رجل ضئيل الجسم بترت ساقه اليمنى: "أهلا وسهلا. أنا تونينو فانتي من ساباوديا.... من أنت ومن أين اتيت؟"

فقلت له: "اسمي كارلو، وأنا من ميلانو."

وكنا جميعاً مرهقين ألماً. غير أن تعارفنا تم في تلك اللحظة. وبدا أن تونينو فانتي من الاشخاص الذين يمكنهم بث الفوضى في لواء كامل من جماعة القوازق. وهو كان قبيح المنظر، ملحاً في طلبه، أو ربما كان الحاحه متنفساً لحيويته وحماسته. لكنه، في الوقت ذاته، كان كريم النفس قريباً الى القلب. وكان بين الجماعة جيوفاني من نوفارا، وقد بترت قدمه اليسرى و٢٥ سنتيمتراً من رجله اليمنى. كذلك انطونيو بريزيو من ليتشي الذي فقد ذراعاً. أما توتونو، من نابولي، فقد احتفظ بأطرافه الاربعة. الا أن رجله اليمنى مزقتها الشظايا وما زالت في داخلها.

وعند الظهيرة جاءنا جندي بالطعام من البسكويت واللحم المعلب والشوكولاته. واذ لم أكن جائعاً، ظللت بعيداً عن الطعام. فانبرى تونينو قائلا: "ينبغي أن تأكل، وان أرغمت نفسك. وحين نعود الى ايطاليا يوماً سأدعوك الى منزلي للطعام. ان امي تصنع المعجنات بنفسها، وهي خبيرة في هذا المجال. ان الحروب لا يجوز أن ينتصر فيها غير ذواقي الطعام، لأنه عندئذ يكسب حتى الذين هزموا."

وابتسمت ورحت أنظر اليه وهو يلتهم وقعته وقد تدلت نظارتاه فوق أنف يحمل طابع سيرانو فيما بدا وجهه كوجوه مهرجي البلاط تحت ضوء الشتاء البارد.

وأطلت السنة الجديدة كالحة كسابقتها ونحن نترقب الهجوم الروسي الذي أدركنا أن لا مناص عنه. وكان في مساء ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٣ أن قذيفة مدفعية انفجرت على السطح فوقنا.

وسمعنا في الشارع دوي الانفجارات والصياح وجلجلة الاحذية الثقيلة.
وفتح الباب وظهر جندي. وترك لنا خمسة أكياس من البكسويت وخمس علب من اللحم قبل أن يعود من حيث أتى.
وصاح فيه تونينو وهو يدير ظهره: "خذنا معك."
الا أن وقع خطى الجندي غاب في الممر، وتلاه صمت نظرنا وسطه بعضنا الى بعض.
وقال انطونيو: "كل من يستطيع المشي غادر المكان."
وعلقت أنا: "ترى من سيفتح هذا الباب تالياً؟"
ومع اطلالة النور الاولى رأيت فانتي يفتح علبة سردين بسكين لا يبارحه. وفجأة توقف ووقعت العلبة من يده وسال زيتها على غطاء سريره. ومن الخارج سمعنا نشيداً عسكرياً بدأ خافتاً ثم ارتفعت نبراته... انهم الروس!
وصرختُ في زملائي: "انهضوا حالا من أسرتكم. ولنخرج الى العراء ليعرفوا أننا مشوهون."
وجلسنا على القش، خمسة رجال متداعين ألقوا ظهروهم على الجدار وفتحوا أعينهم نحو الباب. وانطلقت المسدسات في الممر وفتح الباب على مصراعيه استجابة لرفسة قوية.
ودخل رجل ضخم يلبس معطفاً من فرو أسود وقد شد حزاماً حول خصره علق فيه سيفاً معقوفاً. وتدلى عن جانبي أنفه الكبير شاربان طويلان. وحمل في يده مسدساً ايطالياً.
وصاح فينا: "أأنتم ألمان؟"
وأجابه تونينو: "كلا، بل نحن طليان."
ولم يجرؤ أي منا على التنفس. وتفرس الجندي فينا وبصق على الارض. ونظر الى جروحنا وهز رأسه الضخم وتمتم كلمات غير مفهومة. ثم صوب طلقتين من مسدسه الى السقف وصرخ: "طليان." وخرج صافعاً الباب.
وقال تونينو: "انه روسي. واذا لم يسحبنا خارجاً ويقتلنا، فان أحداً سواه لن يفعل." ونظر الي وأضاف: "أتريد شيئاً من السردين؟"
وكنت أمضغ لقمتي الاخيرة عندما فتح الباب مرة اخرى. ودخل هذه المرة رجل قاسي الملامح متوسط الحجم يرتدي بذلة سوداء. وحدق الينا ملياً وهو يصر أسنانه. ثم ابتسم قليلا وقال بلغة ايطالية مكسرة: "أصحيح أنكم طليان؟"
وأجابه فانتي: "نعم."
- حسناً. الايطاليون ليسوا كالالمان. فهم أقوى عاطفة وأشد احساساً!
وهززنا رؤوسنا معاً، كأنما شئنا القول: "انك لم تتفوه بعبارة أصدق من هذه."
وأضاف: "أنا مفوض سياسي في الجيش السوفييتي. ثقوا أن الروس لا يقتلون الاسرى. وهم يحترمون الجرحى والمبتوري الاطراف. أجل، انكم لن تموتوا، بل ستعودون يوماً الى بلادكم لتخبروا بني قومكم أن الروس شعب قويم. ابقوا هنا ولا تخافوا.... والى اللقاء."
وأجاب فانتي عنا جميعاً: "الى اللقاء."
وخرج المفوض الروسي ووقع خطاه يتبعه.
بقينا طوال ذلك الشهر طريحي

الارض في غرفتنا الصغيرة ونحن نفكر في ما عساه يكون المستقبل. ولم يكن الجيش الاحمر قرر بعد أن يأخذنا على عاتقه. الا أن العديد من المدنيين الروس عادوا الى شيرتكوفو. وكان بين اولئك نسوة حملن الينا الخيار والملفوف والخبز تحت ستراتهن المضربة.

كانت النساء متقدمات في السن وقد أخفين شعورهن تحت المناديل. ولم يتكلمن البتة، بل اكتفين بمد أيديهن الينا لنأخذ ما حملنه، كما هززن رؤوسهن بابتسام ليبعثن فينا الطمأنينة. لقد كن امهات، تشهد على ذلك طريقة نظرهن الى جروحنا بلا خوف ولا اشمئزاز. وكن، بعد تأديتهن ما جئن من أجله، يغادرن بهدوء وقد اختبأن ضمن معاطفهن المتسخة. ثم يقفن هنيهة عند الباب وينظرن نحونا قائلات: "الى اللقاء."

وذات مساء من يناير (كانون الثاني) فتح باب غرفتنا وبرز فيه ضابط من الجيش الاحمر. وأمر بنقلنا على حمالات الى مركز صحي، حيث غسلنا وحُلقت ذقوننا وأزيل القمل من شعرنا. وبعد ذلك أخذنا الى المستشفى الخاص بأسرى الحرب.

كان المستشفى عبارة عن ثكنة خشبية كالحة. وما فتئت الحمالات تأتي من المبنى المجاور وتعود اليه، وفيه أقام الروس غرفة جراحة. هناك كانت الاصابع والايدي والاقدام تستأصل من أجسام أصحابها، عضواً بعد آخر على نحو سريع، حتى أطلقنا على تلك الغرفة اسم "براد اللحوم". ان عذاب الآخرين لم يعد يعني لنا شيئاً. وأتت علينا اللامبالاة.

وكان المدنيون الروس يدخلون المكان بحرية وقد أخفى الواحد منهم تحت ثيابه رغيفاً يزن نصف كيلوغرام. ومن الممر حيث يصطفون، كانوا ينظرون نحونا ويشيرون الى ما يحملون. أما نحن فنذهب اليهم بحذر ويسأل الواحد منا أحدهم: "أتحب قلم الحبر هذا ايها الصديق؟".

وهكذا تتم الصفقة، فيعطي الروسي رغيفه ويأخذ في مقابله أي شيء: قلم حبر أو ساعة أو عقداً أو سواراً أو محفظة نقود أو خاتماً أو ولاعة أو سكين جيب أو زوج أحذية. وذلك، لعمري، مكسب أغلى ثمناً من رغيف أسود.

وأخيراً جاءت الاوامر بنقلنا الى مخيم خاص بأسرى الحرب. وفي صبيحة ٢٦ فبراير (شباط) الجليدية الدكناء، حمل بعضنا وظلع البعض الآخر الى محطة السكك الحديد القريبة. وانهالت أوامر الضباط الروس على رصيف المحطة: "بسرعة! اصعدوا الى القطار! اقفزوا اليه سريعاً."

وفي نصف ساعة أو نحوها، ملأنا قاطرات شحن القطعان التي غصت الواحدة منها بسبعين أو ثمانين رجلا. ومن حسن حظي أني صعدت الى قاطرة أقل ازدحاماً من سواها. هناك كنا نحو خمسين أسيراً ابيضت وجوههم كالطبشور. وما أن اصبحنا داخلا وصرّ الباب الصدىء حتى سمعنا رنين قفل وصوت جندي روسي يقول: "لقد أوصد الباب."

وكانت فوق رؤوسنا أربع كوى مشبكة يدخل عبرها نور ضئيل. وراحت عيوننا المئة تنظر بعضها الى

بعض بصمت. ولم يتحرك أي منا. لكن فانتي سرعان ما شق طريقه على رجل واحدة الى احدى الكوى. وأطل من بين قضبانها ليخاطب حارساً: "أيها الصديق، الى أين نحن ذاهبون؟"

وجاء جواب غير مبال من الرصيف خارجاً: "الى سيبيريا."

وأبقى تونينو فانتي رأسه هناك الى أن تحرك القطار أخيراً... في اتجاه سيبيريا!

بقينا ٢٩ يوماً نقطع السهوب الروسية في قطار شحن القطعان. واذ أتذكر تلك المرحلة من حياتي اليوم، لا يأتي الى ذاكرتي أكثر من ستة وجوه. الا أن حدثين يوميين لا يبارحان مخيلتي.

كانت حصتنا من الغذاء توزع قرابة الحادية عشرة يومياً، بعد وقوف القطار وسط السهوب الخالية. وكان الباب يفتح نصف فتحة، ويأتي اثنان من الاسرى يرافقهما حارس، ويفرغان كومة وسخة من الخبز الروسي العفن على أرضية القاطرة. وأحياناً كان يبلغ عدد الارغفة الخمسة، وهي من النوع الالماني الطويل الاسود، ويزن الواحد منها كيلوغرامين.

ويقتضي الانصاف القول اننا، في مناسبتين اثنتين، تسلمنا بعضاً من سمك الرنكة المجفف. والشحم المدخن.

والحق أن عملية توزيع الخبز كانت أهم احداث النهار. وهي عملية دقيقة. كان الخبز طعامنا اليومي الوحيد، وحصة الواحد منه ٢٢٥ غراماً. لذلك كنا ننظر وننتظر بخشوع تقطيع الارغفة خمسين كسرة. وكانت المشكلة الاولى التأكد من أن كل قطعة تأتي في حجم الاخرى، علماً

أن بعض الكسر يقتصر على القشرة وبعضها على الاطراف.

واختير تونينو فانتي مقسماً للخبز وأنا معاوناً له. وعلى رغم انتخابنا شعبياً فان الشعب لم يثق بنا اطلاقاً. وكانوا كل صباح يتحلقون حولنا، ثم ترتفع رؤوسهم، وعددها ثمانية وأربعون، كلما أعمل فانتي سكينه في رغيف. وكانوا يلاحقون يد فانتي بأنظارهم حتى خيل الي أن أعينهم هي التي تقطع الخبز، لا نصل السكين.

وكان تونينو، في الايام القليلة الاولى، يقدر حجم الكسر بالنظر. ولما أقررنا بأن العين البشرية تخطىء، أبدلنا طريقة التقدير بميزان. وكان الميزان بدائياً، صنع من قطعتي خشب علقت احداهما عمودياً بالاخرى من الوسط، وجعل للقطعة الافقية كفتان.

ووضعت في الكفة اليسرى القطعة الاساسية التي شذبت بدقة ليغدو وزنها ٢٢٥ غراماً. أما في الكفة الاخرى فكنت أضع كل قطعة يعطيني اياها تونينو، ثم اضيف اليها أو آخذ منها لتعادل القطعة الدقيقة وزناً.

وبرهن المتحذلقون بيننا أن تلك الطريقة لا تروقهم أيضاً. وأخيراً قر الرأي على الطريقة الآتية: يقطع الخبز ويوزن أولا، ثم تصف الكسر الخمسون على جدار القاطرة، وبعد ذلك يتم التوزيع: وهذه الخطوة الاخيرة كانت الاكثر طرافة، اذ اقتضت أن أتناول بكل يد كسرة وأضع يدي وراء ظهري، ثم يطرح تونينو على كل زميل، بحسب التسلسل الابجدي للاسماء، السؤال الآتي: "أي قطعة تختار: اليسرى ام اليمنى؟"

وكان الجواب يأتي بعد طول تأمل، كأنما نحن في مباراة دولية. وبعد ذلك نجلس للأكل بسلام وهدوء، على غرار النساك الممتنعين عن الكلام. وكان كل منا يعلك اللقمة حسناً، ويقلبها يمنة ويسرة في أنحاء فمه قبل أن يدخلها معدته. وهكذا كانت الوقعة، وقوامها كسرة خبز من ٢٢٥ غراماً لكل منا، تدوم لا أقل مما تستغرقه مأدبة في قصر باكنغهام الملكي البريطاني.

أما الحدث اليومي الآخر فكان يرافق نهاية كل "وقعة" ووشوك اغلاق الابواب. اذ ذاك كان يأتينا النداء الآتي من رصيف المحطة:

"أهناك موتى معكم في القطار؟"

ومع الوقت فقد ذاك النداء وقعه علينا. ومع اشتداد جوعنا وعطشنا في تلك القاطرة المتسخة، وليس لنا سوى موقد صغير على الحطب يقينا صقيع سيبيريا، قوي لدينا الاعتقاد أن ثمة باباً واحداً يفصل الاحياء عن الاموات. وكانت بعض القاطرات أقل حظاً من الأخرى. والحق أن قاطرتنا، التي شهدت وفاة رجل واحد طوال ٢٩ يوماً، كانت من القطارات السعيدة. الا أن المغضوب عليها كانت أكثر عدداً. ولم ينقض صباح واحد الا مع وفاة أربعة رجال أو خمسة ودفن جثثهم في مقبرة جماعية حفرت بسرعة قرب السكة. وكنا، من كوانا الصغيرة، ننظر الى الرؤوس الممرغة بالتراب والحجار فيما تجر الجثث الى مثواها الأخير ككلاب مسعورة قتلت بالرصاص. وبعد وضعها في الحفرة كان التراب يهال عليها بالمجارف.

وكان الهالكون، معظم الاحيان، يدفنون عراة، وأحياناً في قمصان قطنية ولكن من غير بزات أو شارات عسكرية·

وكنا نحدق مذهولين الى كومة التراب التي ترتفع قليلا ثم تغور وسط سهوب لا تنتهي· وربما عبرت الفكرة نفسها أذهاننا آنذاك، وهي أسفنا لاولئك الرجال يموتون ويدفنون في أرض غريبة بعيداً عن بلادهم وأحبائهم·

مستشفى في سيبيريا

بلغنا منطقة شوميخا في ليلة قاسية البرد في أواسط شهر مارس (آذار)· وكنا عانينا الأمرين، جسديا ونفسياً، على أثر ٦٩٦ ساعة أمضيناها في القطار، وكادت عظمانا ان تخرج من جلودنا· وأتى علينا الخوف وبتنا سريعي الغضب· أما اللحى التي نمت على وجوهنا فاحالت أسفلها أقنعة سوداء· وغلفتنا القذارة وغزت جحافل القمل شعورنا واجسادنا وثيابنا· ولم يبقَ من طريقة لقتلها سوى الشد عليها بين ظفرين·

أما شوميخا فهي بلدة صغيرة جنوب سيبيريا، تنتمي الى السهوب الشرقية المنحدرة من جبال الاورال· ولم يكن من طريق تؤدي إليها أو منها سوى معابر للمشاة ضاعت وراء خط القطار·

ولما فتحت أبواب قاطراتنا أخيرا، كانت الحرارة خارجا ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر· ولم يقو أحدنا على الخروج إلا بعدما انتابت حارسا اوكرانيا نوبة غضب وانهال علينا بالصراخ· وكنت وفانتي، وكلانا برجل واحدة ، بين الذين انتظروا حتى النهاية·وأعاننا أكبر أفراد فريقنا سنا ، وهو جوزف بريتي، ذو العينين المشرقتين والبشرة النضرة· وفيما نحن نظلع نحو رصيف المحطة، أشار الحارس الى عربتين يجرهما حصانان اوقفتا هناك، وقال انهما للمبتوري الاطراف· وكانت المسافة بيننا وبين العربة ٢٥ مترا ، غير أن الخطى الاولى في صقيع سيبيريا تمت ببطء ومشقة·

وقال لي بريتي: "أسرع وإلا فقدت رجلك الاخرى·" ووضع ذراعه على صدري ليسندني وأنا أقفز· ثم ساعدني لتسلق إحدى العربتين· وما أن أصبحت فوق حتى لذت بزملائي طلبا للدفء· ولكن حتى ذلك لم يكن كافيا لدرء الصقيع· فقد اجتاحت الريح الجليدية أمعاءنا· وفي ثوان معدودات استحال جلدنا قاسيا وأزرق· وسالت دموع الالم من جروحنا المفتوحة، كما من جلدنا المجلد وأعيننا·

وقال تونينو فانتي للحارس، "بربك دعنا نذهب من هنا·" وأضفنا صراخنا الى صراخه· وربما أثارت وجوهنا الصفراء كالموت عطف الحراس فاحصونا سريعا وأمروا الحوذي بالانطلاق·واذا بنا وسط شوارع البلدة غير المضاءة· وكان عسيرا تخيل اناس "حقيقيين" نائمين في تلك المنازل الصغيرة المعتمة· ولم نلبث حتى توقفنا خارج مبنى كبير من خشب· وترجلنا وقفزنا الى الداخل· وهناك استحممنا تحت

وشل من الماء الفاتر. وبعد إزالة القمل من أجسادنا، أجري لنا كشف طبي سريع، ثم أخذنا الى بناية من طبقتين هي مستشفى الاسرى في شوميخا. وظهرت، بحجارها الامامية من الآجر الاحمر، كقلعة ملطخة بالدم وسط السهوب وبين المنازل الخفيضة.

وسمح الروس للاصدقاء أن يبقوا جنبا الى جنب. ووجدتُ، مع فانتي وبريتي وآخرين، مأوى لنا في غرفة كبيرة في الطبقة الارضية خالية من الاسرة. وكانت تحوي فرشا من قش، غطيت كل منها بحرام خشن ولحاف محشو قشا. وكان في الغرفة نافذة صغيرة يدخل عبرها النور.

لم يكن ذلك بالمكان الانيق المريح، لكنه المكان الاول، منذ القبض علينا، نسند فيه رؤوسنا الى وسائد حقيقية ألقيت على جدران حقيقية. وكان ذلك مكسبا عظيما، يضاف إليه حصولنا على أربع حصص من الطعام يوميا، وإن لم تكن أي منها تشكل وقعة تامة.

ففي التاسعة صباحا، كانوا يحملون إلينا أكوابا من الشاي الروسي القوي مع ٤٥٠ غراما من الخبز الاسود لكل منا. وفي الحادية عشرة والنصف كان يأتينا حساء الملفوف المخلل مع مغرفة كاشيا، وهي عنصر غذائي روسي مصنوع من دقيق الذرة أو الرز ومطهو بشحم الجمل. وكان الروس يضيفون الى الكاشيا كتل اللحم المسلوق. غير أننا لم نذق طعم اللحم سوى مرة في الاسبوع. وفي الرابعة كانوا يأتوننا بفنجان آخر من الشاي، يتبعه في السابعة طبق آخر من حساء الملفوف المخلل.

ويبدو أن أحدا منا لم يحب ذلك الحساء بورق الملفوف الطافي فوقه. وكنا دائما نعد الاوراق، فلا تتجاوز العشر أو الاثنتي عشرة. وكانت رائحتها الكحولية القوية تقلب أمعاءنا. لكن حسنتها السخونة.

وجاءنا نبأ جعلنا ندرك كم نحن محظوظون. ففي أواخر مارس (آذار) أخبرنا حراس السجن بما حل بزملائنا الآخرين الذين ركبوا قاطرات القطعان من شيرتكوفو. فقد تركوا في القطار المتوقف في محطة شوميخا لأن مستشفى البلدة هو من الصغر بحيث لا يستوعبهم جميعا. وتحت أثر البرد الشديد أتى عليهم داء التيفوس وحصدهم كلهم.

ولم يعطنا أحد الرقم الحقيقي للقتلى. ولكن يبدو أن ثلث الاسرى الايطاليين قضوا من جراء ذلك الحادث. وكان من أثر ذلك النبأ أن انقسم نزلاء غرفتنا فريقين متضادين، يقول أحدهما ان الروس لم يفعلوا شيئا لمنع انتشار المرض، بينما يقول الآخر ان الروس أنفسهم هم الذين سببوا الوباء. وفي أي حال، ربما عجز الروس عن رد المرض إما لأنه فاجأهم وإما لأن الحرب حجرت مشاعرهم الانسانية. ويجب ألا ننسى أن الروس قَدَريون بطبيعتهم.

سحب الملفوف المخلل

نحو منتصف شهر مايو (أيار) غدا الصقيع السيبيري أخف حدة والحياة أسهل. وفي العشرين من ذلك الشهر ربت الطبيب الروسي ظهري علامة الصداقة. وهو كاد يرميني أرضا، إلا

أن الصداقة الروسية تعبر عن نفسها هكذا. وابتسمت له ورحت أقفز على رجل واحدة كالنغارو.

وصاح الطبيب: "انتظر." وذهب الى عيادته ثم عاد ومعه عكازان جديدان، لكل منهما سناد مبطن بثوب رمادي اللون. وقال: "خذ هذين العكازين اللذين أتمنى أن تذهب بهما الى وطنك صحيحا معافى."

ونظرتُ الى عينيه، وقرأ شعوري من غير مواربة حين شاهد الشكران في عيني لا للعكازين بمقدار ما هو لكلماتـه الانسانيـة العميقـة، وهـي الاولى من نوعها أسمعها من شخص روسي وتـرد فيهـا عبـارات الوطـن والصحة والعافية.

وفي اليـوم نفسـه تلقـى تونينـو عكازين هو الآخر. وكانا أجمل من عكازي انا وأكثر ملاءمة، إذ كان عكازاي أطول من المطلوب.

وسألته: "كيف حصلت عليهما؟"

فأجاب: "إن لي سحرا أفرضه على الممرضات. ففي هذا المكان، يا صديقي، هناك أمران مهمان: كونك ايطاليا، خصوصا إذا كان منظرك كمنظري، ومعرفتك الروسية الى حد. وبهذين الرصيدين أستطيع كل شيء بواسطة الممرضـات، فأغازلـهـن أو أغمزهن أو اغني مقطعا من احدى أغاني نابولي الشهيرة لديهم، ثم امطرهـن بـوابـل مـن الاكـاذيـب، فتمطرني السمـوات عصيـا أتكـىء عليها والكثير غير العصي..."

وبقي يتكلم دونما انقطاع بلهجته الغريبة المهجنة، وهي خليط من لهجة روماغنا حيث ولد ولازيو حيث عاش. وأصغيتُ إليه باعجاب بعدما سمعت صوتا خفيا وراء كلماته المتلاحقة وهزله غير المرتبك وتعابير يديه الجنوبية، ألا وهو صوت الامل. والامل ذاك كان مفتاح شجاعتنا.

ومع تحرر حياتنا في شوميخا من بعض قنوطها، انتقل حديثنا من حياة السجن الى موضوعات أخف وطأة، كالأفلام والكتب والرياضة والنساء، والطعام. ويمكن القول ان بديهتنا أخذت تطغى على جوانب حياتنا المظلمة. وفي غياب البديهة لا يبقى شيء مستطاعا.

صحيح أن طعامنا كان حقيرا. غير أننـا ابتكرنـا "شـرائـح الملـفـوف المخلل"، وهي لعبة سهلة التنفيذ، وجل ما تقتضيه أن يقدر المرء عدد أوراق الملفوف الطافيةَ في صحن تيزيو اليوم وفي صحن كايو غدا وصحن سمبرونيو بعد غد. وكان كل منا يختار رقما لا يتجاوز الـ١٥، يدون الى جانب اسمه. وما أن يصب الحساء حتى يتولى فانتي عد الأوراق.

ولنقل ان العدد الصحيح في صحن من وقعـت عليـه القرعـة هو١١.هـذا يعني أن كل من اختار الرقم المذكور يمكنه إضافة الى صحنه، أن يشرب مقدار مغرفة من قاع الطنجرة الغني بالخواص، مع قطعة خبز إضافية. وذلك كان مناً من السماء ينزل في أحشائنا على الرحب والسعة.

التخرج في المستشفى

هكذا أعانتنا الاحاديث المسلية والطعام الافضل وجريدة الحائط التي ابتكرناها وصفـوف تونينـو فانتـي المضحكة في مبادىء اللغة الروسية على تمضية الوقت حتى في شوميخا.

وفي نهاية سبتمبر (أيلول) جاءت الاوامر بنقلنا. فالصيف لا يدوم طويلا في سيبيريا، ومعظمه بات وراءنا. وكانت السماء تحمل رائحة الثلج، فيما أشجار البتولا ذات القضبان تنحني لأقل الرياح الشمالية. وعلى أبراج المراقبة كنا نرى الحراس يضرب بعضهم أكف بعض وقد غلفوها بالقفافيز طلبا للدفء.

وانطلقنا من معتقلنا، أولا في القطار ثم في شاحنات. وبعد وقوف قصير في نقطة لجمع أسرى الحرب في جوار كاراغندا، على الطرف الجنوبي لسلسلة سهوب كيرغيز، تابعنا طريقنا نحو باختا - آرال في اوزبيكستان.

وبعد ثلاثين يوما من السفر في شاحنات القطعان ذات الرائحة الكريهة، شل الألم عضلاتنا وعظامنا وسحقت نفوسنا في داخلنا. ثم انحرف خط الاسرى الطويل نحو الجنوب الروسي الواسع المليء بالغبار. ومشوا مجهدين على الضفة اليسرى لقناة واقعة ضمن جدارين من الاسمنت المسلح، يرتفع الواحد منهما ثلاثة أمتار. وقد بنيت تلك القناة لري منطقة شبه قاحلة، تزرع فيها الحبوب وأشجار القطن. وكانت قوافل الجمال تعبر بين الفينة والاخرى، وقد امتطى بعضها رجال من الاوزبيك ذوي الوجوه العريضة والبشرة الصفراء، وحمل بعضها الآخر بالات من القطن.

كان ذلك في شهر فبراير (شباط) ١٩٤٤. وعلى رغم حدة الطقس، إلا أن الربيع أشبع الهواء وفاحت رائحته من العشب الدافىء. وبقينا نتبع القناة بتعرجاتها. وقال لنا الحراس ان طريقنا تؤدي الى مجموعة معتقلات أقيمت في منطقة باختا - آرال. وما لبث الطابور أن توقف عند الجسر الاول على القناة.

وجعلنا الروس في خمسة صفوف، قادوا أربعة منها عبر الجسر. أما الصف الخامس، وأنا منه، فقد تابع سيره المجهد في محاذاة القناة. وراح كل منا يصيح في الآخر: "أهلا وسهلا." إلا أن الارهاق كان أقوى من تأسيس الصداقات في تلك اللحظة. ومن حسن الحظ أني وفانتي ما زلنا معا.

وقال لي: "أنت وأنا أسيران توأمان."

وأخيرا، بعد مسيرة ثلاث ساعات، صرخ أحدهم: "هذا هو المعسكر." وجاء صوته كأصوات مرافقي كولومبوس لدى اكتشافهم اليابسة.

وتوقفنا خارج بوابة المعتقل. وظهرت خلف الاسلاك الشائكة وجوه ألمانية، كانت عشرة ثم ارتفعت الى عشرين فالى خمسين. وقد ارتدى اصحابها بزات نظيفة وأنيقة، ولاحظنا أنهم لم يغفلوا تعليق الشارت والاوسمة.

وتساءل تونينو: "كيف يمكن أن يحدث هذا؟" وقفز عبر الاسلاك الشائكة وفتح حديثا مع مجموعة منهم. ثم عاد ليخبرنا ما سمع: "انهم المان كانوا في ستالينغراد. وقد سمح لهم الروس بالمحافظة على شاراتهم وأوسمتهم وكل ما له علاقة ببزاتهم العسكرية..."

- وكذلك أكياس المؤونة الميدانية؟

"أجل، هذه أيضا."

وسرعان ما سرى الخبر في صفوفنا. وسمعت حولي أصواتا تبينت فيها خدعة وشيكة. وتمتم تونينو، كأنما هو يتكلم الى نفسه: "لا شك في أني أود رؤية ما تحويه هذه الاكياس."

مزحة اكياس ستالينغراد

فتح الروس الابواب وهرعنا كما القطعان الى حظيرة. وبينما وقف الحراس ينادوننا بأسمائنا، ظهر آمر المعسكر، وهو ضابط في الجيش الأحمر متوسط السن ضئيل الجسم.

وقبل إلقاء كلمته فينا، أرسل المسؤول الروسي في طلب الضابط الالماني الذي أنيط به الاشراف على النظام داخل المعتقل. ووصل هذا بسرعة في مظهره المعصوم عن الخطأ، وقد ارتفعت سترته العسكرية حتى بلعومه وعلق شاراته على كتفيه وأوسمته على صدره، والتمع حذاؤه كمرآة. وضرب الارض بعقب قدمه وحيا. ورد الآمر التحية، فوقف الضابط الالماني على نحو طبيعي.

واستهل الآمر خطابه، وهو موعظة تقليدية حول النظام والمهمات التي تنتظرنا في حقول القطن والفاشية التي جرتنا الى وضعنا الحالي البائس وامور اخرى.

وخلص بالآتي: "تذكروا هذا الامر حسنا: انكم في هذا المعسكر تحت إمرة ضابط ألماني، وعليكم أن تمحضوه طاعتكم العمياء."

وما أن غادرنا الآمر الروسي حتى قرر الضابط الالماني أن يؤوينا جميعا في قبو واحد كبير، حيث كان الاسرى الالمان يحتلون الاسرة العالية. وهذا يعني أن على الاسرى الطليان النوم في أسرة الطبقة الدنيا، حيث يسقط الغبار والقش من فوق باستمرار.

وكان الالمان فوقنا ينامون على فرش من قش، وقد وضع كل منهم صرته الميدانية وسادة تحت رأسه. وظهرت تلك الوسائد واضحة لأعيننا من بين ألواح الخشب التي تفصل الطبقتين.

وبمشاهدتنا تلك الاكياس المنتفخة، طرأت للعديد منا، وربما لمعظمنا، الفكرة الآتية: "الألمان لديهم كل شيء، ونحن لا شيء لدينا. والواقع أنهم يبذلون كل ما في وسعهم لتعسير امورنا. ولقد حان الوقت لتحصيل شرفنا الضائع."

وهكذا امتدت الايدي الرشيقة تلك الليلة، بما فيها من خناجر ومدى، الى الصرر وأعملت فيها حزوزا صغيرة أخرجت عبرها المقصات والمبارد والولاعات ومحافظ علب السجائر ومعدات الحلاقة والصابون وسواها من الاشياء الصغيرة. ووصلت الايدي الموهوبة عميقا واستخرجت الملابس الداخلية وكنزات الصوف والجوارب والمناشف والمناديل. وبدت صرر الالمان ضروع أبقار تحلبها أيدي الطليان.

إلا أن العمل كان بطيئا وشاقا. والى ذلك، كان ينطوي على خطر تنبيه الالمان الى ما يحصل مع هبوط الوسائد تحت رؤوسهم. لذلك انطوى العمل على مقدار عظيم من الدقة والبراعة، لا يقل عن دقة الجراح وهو يشق بطنا. ودامت العملية ساعة كاملة، كانت خلالها طيوف الحراس

تتحرك باستمرار في أرجاء القبو.
وأفاق الالمان صباحا ليجدوا رؤوسهم تتكىء على أكياس فارغة. وانهالت الشتائم واللعنات على الفور. غير أننا انتظرنا ولم نتفوه بكلمة واحدة.

وبدا واضحا كالشمس أن مقترفي ذلك الفعل الشنيع كانوا اولئك القابعين في الاسرة الدنيا. وأدرك الروس حقيقة ما حدث عندما دعاهم الضابط الالماني المكلف بالنظام. إلا أن التفتيش الفوري أظهر أن أحدا منا لا يحمل أو يخفي سلعا المانية. أين هي، إذا، الاشياء المنهوبة؟

وأخرجنا من القبو لتمشيطه على نحو أدق وأتانا ضابط شاب ضعيف الجسم وقال ببراءة شجاعة: "أتأتون بما سلبتموه فورا، أم تذهبون الى الداخل؟"

ونظر أحدنا الى الآخر من هول تلك الكلمة. فالداخل يعني الزنزانة... أيعقل وضع خمسين شخصا ضمن زنزانة؟

وكان آمر المعسكر أشد عنفا إذ قال: "إلى أن تظهر كل السلع المسروقة،سيقصر طعام الطليان على وقعة واحدة من خبز وماء."

تلك كانت صفعة قاسية. غير أن قلوبنا بردت لدى إدراكنا أن آمر المعتقل، وهو روسي يكن مشاعر معادية للألمان، لم تضايقه مزحة نهب الاكياس حقا. وقبل أن ينقضي النهار غسل يديه من المسألة وقال: "ستبقون أياما ثلاثة على وقعة الخبز والماء، نرى بعدها ما نقرر."

وعند انتهاء أيام الصوم الثلاثة عاد طعامنا كما كان، وأيقنا أن الآمر لم يقصد أن ينفذ تهديده. ولم يدر في خلده - أو ربما بدا لنا الامر هكذا - أن يأمر رجاله تفتيش ميازيب الماء المنتفخة تحت سطح القبو. ومن حسن الحظ أن المطر نادر في باختا - آرال. وقبل انقضاء الشهر كان أسرى الحرب الايطاليون يحلقون ذقونهم بالشفرات الالمانية.

مدير فني مرتجل

في باختا - آرال أرسل جميع الرجال القادرين جسدياً الى حقول القطن. وكانوا ينطلقون مع طلوع الشمس ويعملون النهار كله، متناولين حصتهم من الطعام في الحقل، ثم يؤوبون نحو الخامسة منهكين وقد رزحت أجسادهم تحت وطأة الارهاق.

وكان الارهاق نتيجة لاستحواذ فكرة "مقياس العمل" على عقول الروس. وبالمقياس عنوا الحد الأدنى من الحصاد الذي يؤهلنا للحصول على الطعام والعناية من لدنهم.

أما الاسرى المرضى فمكثوا داخل المعتقل، ينظفون المكان ويصنعون فرعات الاحذية النسائية. وكان ذلك عملا مملا، لم أستطع اتقانه البتة. بل خرجت جميع الاحذية من بين يدي اما منحرفة واما غير صالحة قياساً، وهي لا تلائم حتى أقبح الاقدام. لكن اخفاقي لم يكن مبعث قلق بالنسبة الي لولا نقد المراقب الروسي المستمر واشارته الى اني أفعل ذلك عمداً من أجل التخريب.

وذات يوم، وهو يتذمر كالمعتاد، سمعتني أقول: "اصغِ يا صديقي: اني لا اخرب شيئاً على الاطلاق. وثق أن هذا العمل يتجاوز معرفتي ويختلف

تماماً عن اعدادي المهني. فأنا فنان، ولست صانع أحذية."

ـ فنان؟

"أجل، فنان اذاعي." قلت هذا لأستر كذبتي، وتابعت: "والفنان لا يستطيع صنع الاحذية ... والمهم الآن أن يعرف الآمر بالمسألة."

وبعد عودة الاسرى من حقول القطن قرابة السادسة مساء، استدعيت الى مكتب الآمر الذي نظر من وراء طاولته بابتسامة مدروسة وقال وأنا واقف أمامه: "اذاً لا يمكنك صنع الاحذية لانك فنان... أهذا صحيح؟"

ـ نعم يا سيدي.

"حسناً! أتعزف على الغيتار؟ "

ـ كلا، بل أقرع الطبول. ألديكم طبول هنا يا سيدي؟

ولحسن حظي أني اخترت الآلة المناسبة، أي تلك التي لا وجود لها في المعسكر. وتابعت وقد قواني النجاح: "الواقع يا سيدي ان المسرح هو اهتمامي الفني الاول. فأنا اغني وأكتب الاسكتشات. وهذا، في ايطاليا، يعد الكمال الفني بعينه."

وسأل: "حسناً! ما تظن أنك تستطيعه هنا؟"

ـ في امكاني تنظيم عرض متنوعات للاسرى كل يوم أحد، كذلك لرجالك يا حضرة الآمر اذا شئتم ذلك.

وبقي الآمر برهة لا يعرف ماذا يقول. وراح يسكب لنفسه ببطء كوباً من شراب الفودكا. ثم قال: "فنان... حسناً... اذاً لنجرب الطريقة الآتية: أنا أزودك بغيتار وآلة بلالايكا، وأنت تجمع المغنين والموسيقيين وتنظم حفلة ليوم الاحد. فاذا كانت ناجحة، أعتقتك من مصنع الاحذية. واذا كانت سيئة فاني سأضعك عندئذ في الثلاجة! أتوافق؟ "

ـ أجل، أوافق. وأشكرك يا سيدي الآمر.

وحييته وسرت نحو الباب. الا أن صوته تبعني: "احرص على أن تكون الاغاني من نابولي."

ان الروس لا يدخرون فرصة للتباهي باطلاعهم على حضارة الغرب. أما معرفتهم ايطاليا فتقوم على عناصر أربعة: الفن والاوبرا وغاريبالدي وأغاني نابولي. ومن هذه الاربعة، يحبون غاريبالدي، ربما لقميصه الاحمر، لكنهم يعشقون أغاني نابولي. ومرد ذلك الى ألحانها أولا، ولكن كذلك الى ذكرها الشمس والمدائن البيض المتألقة على شاطىء البحر. والشمس، بلا شك، هي شمس ايطاليا الكريمة التي لا تشرق على فلاديفوستوك أو مينسك.

تم اتفاقنا يوم خميس. وللحال باشرت البحث عن موسيقيين، وهذا ليس بالامر العسير في جيش يعزف ثمانون في المئة من جنوده على آلة الهارمونيكا أو الغيتار. الاصعب من هذا كان اختيار الموسيقيين. فليس من السهل أن نقصد رجلا أمضى عشر ساعات في حصاد القطن ونسأله: "أتعطينا اغنية؟" غير اني، بمساعدة فانتي، اقنعت الزملاء المؤهلين بأن نجاحنا الفني من شأنه اعتاقنا من الاشغال الشاقة: "ان الروس يضعفون أمام الفنون. ومن يدري ما قد يحدث اذا نحن استطعنا النجاح والتأثير عليهم؟ "

ويبدو اننا اتبعنا المنطق الصحيح.

وكان لصلواتي ولالحاح فانتي أكبر أثر في الاتفاق مع مغنين من نابولي. واستهللنا وضع برنامج على الفور. وأعد فانتي لوحة اعلانية مزخرفة وأضاف اسمه اليها، لما له من شهرة شعبية، كمشرف على نظام المسرح. وما أن جاء الاحد حتى كنا كلنا على أتم استعداد للافتتاح الكبير.

وفي الثالثة تماماً دخل الآمر، يتبعه ضابط الصف المسؤول عن نوبات العمل، مع عدد من الحراس وعشرة مدنيين من رجال ونساء. وكانوا كلهم، بمن فيهم الآمر، يحملون الكراسي الصغيرة.

وأخذ فانتي على عاتقه مهمة مدير التشريفات. وحيا الزوار ثم سأل الضابط: "سيدي الآمر، أين تريد أن نضع خشبة المسرح؟"

ونظر الآمر حوله ثم أغمض عينيه نصف اغماضة بفعل شمس ابريل (نيسان) وأشار الى جدار القبو وقال: "هناك."

وأجابه فانتي بشهامة: "عظيم يا سيدي الآمر."

وجاء دوري للكلام فقلت: "اجمع الاسرى يا تونينو."

- بمن فيهم الالمان؟

"أجل، اذا شاؤوا المجيء."

لكنهم لم يشاؤوا. وهكذا كان معظم الحضور من الاسرى الطليان.

وأعطى الآمر كلمته، وبدأ العرض المسرحي في باختا ـ آرال.

افتتحت الحفلة بمناجاة هزلية قصيرة، لكنها، كما أظن، بليغة وزاخرة بالقوة. ثم أدى المغني النابوليتاني الاول، موناتشيلا، اغنيتين: "او سولي ميو" و"سانتا لوتشيا". وتبعته بمونولوغ شعري حزين. وأدّى المغني الآخر سكوغنا ميغليو عرضاً قصيراً، تلاه بأغنية "او زابوتوري." وختم موناتشيلا الحفلة باغنية ذات لحن متنوع من خليج نابولي.

واستمر العرض ما يزيد على ساعة. والحق أن الحفلة كلها لم تحو ما يستحق الكتابة عنه الى أهلنا وأصدقائنا في الوطن. الا أني ما زلت أتذكر شيئاً مهماً منها.

حدث ذلك عندما افتتح موناتشيلا وفرقته اغنية "او سولي ميو"، محافظاً على أدق التفاصيل المتعلقة بالتنهدات وتوقيع النغمات التي يحرص عليها أهالي نابولي في تأدية اغنيتهم المفضلة. واذ ذاك نهض المدنيون الروس معاً على أقدامهم احتراماً لحسن الاداء، وظلوا هكذا حتى انتهاء الاغنية، مما أذهل الايطاليين. وربما ظنوا أنهم يستمعون الى نشيد مملكة نابولي القومي.

رجل عصامي

في نهاية شهر مايو (أيار) ١٩٤٤ بدل الروس سياستهم تجاه أسرى الحرب. وولت الأيام التي شهدت مناكفات بين الايطاليين والالمان.

ولا يستبعد ان يكون معسكرنا أحدث اثره في القرار الروسي. وكان الشجار ينشب يومياً بيننا وبين الالمان، ويستخدم فيه كلا الطرفين قطع الأثاث. وتنتهي المعارك وقد لويت مفاصل أصابعنا وجرحت رؤوسنا ورضت أعيننا وأنوفنا.

ولم ندر ما الذي حدا الروس ذات صباح على اخراجنا نحن الخمسين مع أمتعتنا من القبو وصفنا في محاذاة الاسلاك الشائكة استعداداً لنقلنا الى مكان آخر. وكان الوداع بيننا وبين الالمان قبيحاً.

ووجدنا أنفسنا نقطع الطريق التي جئنا عليها قبل ثلاثة أشهر. غير أننا، هذه المرة، لم نشعر بوطأتها. فعندما يمشي المرء وسط الحقول الواسعة في صبيحة يوم من مايو (أيار) وتحت شمس قوية ويشم النسيم المشبع برائحة السنديان والمياه الجارية ويسمع حفيف الاوراق في كل مكان حوله وتختفي الاسلاك الشائكة كلياً عن أنظاره، ترتفع معنوياته ويرقص قلبه في داخله. واذ ذاك يفارقه قلق السجن وتغمره حاجة الى الغناء.

وهكذا بدأت الاصوات ترتفع. لا، لم تنطلق الحناجر كلها بأغنية واحدة. لكن كلا منا اختار الاغنية المحببة في منطقته. وفجأة ارتسمت خريطة ايطاليا على مياه القناة الجارية بالقرب من باختا ـ آرال، صاعدة من ألحاننا المتقاطعة.

وكان معسكرنا الجديد قريباً من هناك. وهو لم يكن بديع الجمال، لكنه بدا على هيئة قرية بمنازله البيضاء الصغيرة المتناثرة هنا وهناك والتي اقيمت على مقربة من القناة.

وأضاف الجسر المتحرك، المبني من الواح خشب ذات عقد طبيعية، جواً ساحراً على المكان.

وتابعنا مسيرتنا أمام أجنحة النوم والمستوصف والمطبخ والمراحيض والمشغل وغرفة الحرس قبل أن نتوقف. وفي انتظار عملية عدنا، وقفنا ننظر الى معسكرنا الجديد وجواره. وفجأة انصبت أنظارنا على مكان واحد. فالى جانب المطبخ كان هناك كوخ متداع لا يتجاوز المترين ونصف متر طولا ومثلها عرضاً، وقد علقت اشارة تحمل كلمة ايطالية على بابه المكسور. والكلمة تعني: "حداد".

وسرعان ما عرفنا أن ذلك الكوخ يخص شخصاً من نابولي. وسأسرد قصته تماماً كما رويت لي: هذا الرجل، واسمه فينتشنزو، كان جندياً في فرقة مشاة تورينو. وقد عمل في حقول القطن بحماسة منقطعة النظير، لكنها أمر طبيعي بالنسبة الى أهالي نابولي. وفضلا عن حماسته الفطرية، كان رأسه مستودعاً لا ينضب للافكار العميقة.

وفي ليلة من شهر مارس (آذار) نهض فينتشنزو من سريره ورفع كميه واختلس أربعة الواح خشب، متوخياً ألا يحدث أي صوت، ثم غادر المهجع وبنى كوخاً لنفسه.

وعلق الاشارة التي تحمل عبارة "حداد" فوق الباب، بعدما خط الكلمة ببراعة. واستخدم ما بقي له من خشب لبناء طاولة صغيرة أمام الكوخ. وفي السابعة صباحاً، عندما بدأ الاسرى يصطفون استعداداً للذهاب الى حقول القطن، جلس صاحبنا على طاولته.

وكان الضابط الروسي المسؤول عن نوبات العمل حديث السن قليل الخبرة. ورفع نظره الى الكوخ الذي لم يكن قائماً في اليوم السابق، والى فينتشنزو الجالس أمامه.

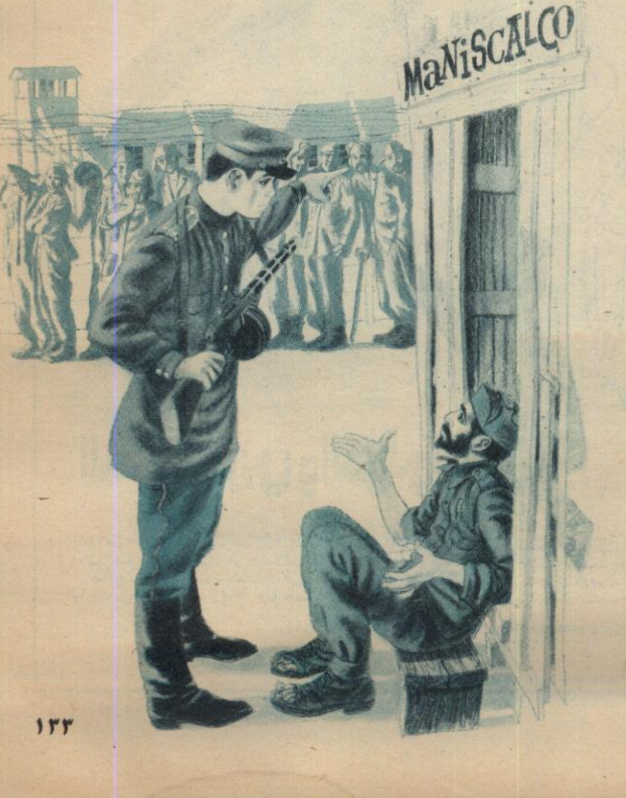

نحوّل همسك صراخاً...

النهار العربي والدولي

إنطلاقاً من قناعتها بأنها مجلة القارئ أولاً، تفتح النهار العربي والدولي صدر صفحاتها منبراً تستطيع أن تعرض آراءك من خلاله بحرية كاملة فتصبح، وأنت في موقعك، واحداً من محرريها.
عالج أي موضوع تشاء - في السياسة أو الاجتماع أو العلم أو الأدب أو الفن أو شؤون المرأة وارسل مقالاتك (في ٣ أو ٤ صفحات بالآلة الكاتبة)، وأرفقها بصورتك إلى العنوان التالي:

صندوق البريد ١١٦٨٨ بيروت-لبنان P.O.BOX 11688 BEIRUT-LEBANON

ولم يزعجه الكوخ أول الامر. فالاكواخ تأتي وتذهب لاسباب شتى. كذلك لم تزعجه الكلمة التي لم يفهم معناها. لذا ركز نظره على فينتشنزو وصاح: "انهض على قدميك، وانضم فوراً الى نوبة العمل."

وأجاب الايطالي برصانة: "لا أستطيع. ومن الآن فصاعداً لن أذهب البتة الى حقول القطن."

واذ فوجىء الضابط الشاب بجواب يسخر من جميع القوانين المعروفة، تابع كلامه: "ماذا تقصد قوله؟ أأنت مريض؟"

ـ وهل تظن أني أحتاج الى المرض أيضاً؟

"اذاً ما الامر؟"

ـ ألم تقرأ العبارة فوق الباب؟

"وما الذي تعنيه العبارة؟"

ـ ألا تستطيع قراءتها؟

"قل لي ماذا تعني."

ـ حداد.

"اذاً؟"

ـ اذاً من اليوم فصاعداً، ستؤوي الجياد هنا.

"لكن الجواد الوحيد في المعسكر هو جواد الآمر."

ـ ألا تدري أن الخطوة الاولى هي أصعب الخطوات؟ ثم لا تنس أن هذه الخدمة لم تكن مؤمنة في هذا المكان قبل اليوم. لكنها ليست الخدمة الوحيدة التي أستطيع تأديتها. فمنذ اليوم سآخذ على عاتقي تصليح جميع أقفال المعسكر.

"أقفال؟ لا أقفال البتة لهذا المعسكر."

ـ هذا خطأ. يجب صنع أقفال.

وضاق الضابط الروسي ذرعاً بما يسمعه. وربما اكتشف أن الرجل الايطالي يحاول الكذب عليه وخداعه بالاعيبه المهنية. وفي محاولته العثور على مخرج تابع فينتشنزو: "ألا ترى، يا سيدي، أنه بعد ابرازي هذه الخدمات الى حيز الوجود، لا يجوز أن أضيع وقتي وأوقات الآخرين في حقول القطن؟ ان مستقبل معسكرنا معقود على هذا الكوخ."

ـ وماذا في الداخل؟

"لا شيء. لا شيء اليوم. ولكن انتظر حتى الغد ..."

ـ ما الذي تزمع على فعله غداً؟ أتريد أن...

"أجل."

في تلك الاثناء كان جميع الاسرى قد اصطفوا استعداداً للانطلاق. ووجد الضابط أن عليه اتخاذ قرار سريع. فقال: "حسناً. يمكنك البقاء هنا اليوم. لكني سأرفع المسألة الى الآمر."

ومهما يكن من شأن اقتناعه أو عدمه، فقد فضل الضابط الروسي ابقاء المسألة حيث هي. وفي أي حال، للآمر وحده حق اتخاذ القرار.

وبما أن الآمر محض حصانه الحب كله، فقد حل الأمر بسهولة. وهكذا غدا الدون فينتشنزو من نابولي حداد المعسكر المطلق الصلاحية.

"ميداغليا"

كنا خمسمئة أسير ايطالي في المعسكر ٣/٢٩، وكنا كلنا نطلق على الآمر اسم الكولونيل ميداغليا. واذا كان له اسم حقيقي، فأني لم أعرفه البتة. وقد دعوناه "ميداغليا" لأنه نال ميدالية بعد خوضه الحرب على

جبهة اوكرانيا. وتذهب الرواية الى أنه حصل على الوسام بعد معركة خاضها ضد الفرقة الايطالية وخلفته جريحاً لا يستطيع القتال مدى حياته.

ولم يقل ميداغليا كلمة عن الأمر. ولكن بدا لنا أن تلك الاشاعة لم تكن عارية من الصحة لأن ميداغليا، كلما سمع ضباطه يتحدثون عن الجيش الايطالي، كان يقول: "الايطاليون؟ انهم فنانون وليسوا محاربين... باستثناء فرقة بيرساغلياري،" وهي الفرقة التي خاض المعركة ضدها.

وبدا ميداغليا، ذو القامة الطويلة والوجه الجاف الخالي من العاطفة، أقرب الى اللورد الانكليزي منه الى الجندي، بعدما أضفت عليه بزته التي صنعها خياط أسير من صقلية الكثير من الوسامة والاناقة. كما جعلته مشيته الرزينة يشبه الاشراف الانكليز.

وكان ميداغليا يعشق المسرح. وما أن أعلم أن بين الاسرى الوافدين حديثاً فرقة فنية حتى استدعاني وقال: "اننا نود، في المخيم ٣/٢٩، أن نقيم حفلة فنية من وقت الى آخر. ولكن من الافضل ان تأتي البادرة من..."

ـ لقد فهمت يا سيدي الكولونيل. ولكن أتريد مسرح محترفين؟

"أجل، ليكن هكذا."

وكان يحسن اللغة الايطالية، وهو لم يكن بالمغفل حتماً. وسألته: "أنقيم حفلة، اذاً، كل يوم أحد؟"

ـ ولم لا؟

"لا أجد مانعاً لذلك. ففي ذهني أفكار كثيرة لمقاطع استعراضية ومسرحيات غنائية. وفي امكاني تأليف مسرحيات عادية أيضاً. وأظن أن في امكاننا مباشرة "ال بايزي دي كمبانيلي."

ـ وما هذه؟

"انها مغناة قصيرة جميلة. وهي مسلية وفيها موسيقى جيدة. وقصتها تدور على ملاحين حسني المنظر وحوريات هولنديات فاتنات."

ـ بايزي دي كنتانيلي؟

"كمبانيلي... ألا تسمع رنينها؟"

ـ اعمل عليها اذاً.

"هذا يعني أننا نحتاج الى ملابس."

ـ لماذا؟

"لأن الملابس هي جوهر هذا العمل المسرحي."

ـ الملابس غير ممكنة.

"لماذا؟"

ـ من أين نأتي بها؟

"أليس ثمة أقمشة في باختا ـ آرال؟ اعذرني يا سعادة الكولونيل، ولكن أليست هذه جمهورية القطن؟ وحيث القطن، هناك الاقمشة."

ـ هذا صحيح. لكن القطن ملك الدولة.

"لا شك في هذا. ولكن لننس بايزي دي كمبانيلي التي كان يمكن أن تكون مسرحية رائعة يا سعادة الكولونيل.... أتعرف أن هناك سفينة تأتي الى المسرح؟"

ـ سفينة بأكملها؟

"أجل، جانب كامل من سفينة. وفي امكاني تشييدها على مرحلتين، ثم..."

ـ لا، لن تكون هناك أقمشة.

"ينبغي أن يؤمن لنا ما نحتاج اليه... ألا تستطيع يا سيدي

الكولونيل؟ الا يمكنك كتابة طلب خطي؟ "
ـ هذا مستحيل.
"اذاً لنحصل على القماش بلا طلب."
قلت هذا سريعاً، وبالروسية لكي أتجنب سوء الفهم. ونظر ميداغليا مباشرة الى عيني وقد اختفى التعبير من وجهه ... أتراه فهم ما قلت أم لم يفهم؟ وتراءى لي أنه من الدهاء بحيث لا يمكن أن تفوته ملاحظة كهذه. الا أنه بقي من غير حراك على عادة الروس. وقال باصرار: "بلا ملابس." فأجبت: "آسف سعادة الكولونيل. ولكن صدقني أن افتقار المسرحية الى الملابس الخاصة من شأنه ان يقضي عليها. وسأحاول التفكير في شيء آخر.
ـ حسناً. أفعل ما تشاء.
وحييته وأدرت ظهري وعدت الى المهاجع. لكنه استدعاني مرة اخرى ظهراً، وبادرني بالآتي: "حسناً. ماذا فعلت؟"
فأجبت: "ما زلت أبحث عن بديل يا سعادة الكولونيل."
ـ انسَ البديل، وقل لي كم من القماش تحتاج؟
"لنقل عشرة أطوال."
ـ خمسة.
"اذاً خمسة أطوال."
وكان يذرع مكتبه جيئة وذهاباً. ووقف وأشار الي باصبعه كي أتقدم نحوه. ولما دنوت منه قال: "أتعرف الرجال في هذا المعسكر الى حد الثقة بهم؟"
وأجبته بسرعة: "سيدي الكولونيل، هناك خمسمئة ايطالي موالون في هذا المكان. وأياً تختر منهم، تكن على صواب."
ـ أنت، اذاً، تختار. وأود أن تأتيني بثلاثة رجال وتوافوني الى مكتبي هنا في السابعة من مساء هذا اليوم، بعد العشاء. أتفهم حسناً؟
"حسناً سيدي الكولونيل ... في السابعة."
وفي السابعة الا عشر دقائق وقف ثلاثة أسرى أمام مكتب ميداغليا، وكنت وفانتي في انتظارهم. وهو شاء مرافقتي لأن القصة راقته بحيث لم يستطع ألا أن يأخذ دوراً فيها.
وعند السابعة تماماً وصل ميداغليا. ونظر الينا، ثم تفرس ملياً في فانتي وقال لي: "رجلان كسيحان..."
وقاطعته: "هذا خبير، سيدي الكولونيل. وهو يضاهي خمسة رجال، وان يكن أبتر."
ـ جيد. لنباشر مهمتنا فوراً.
وكانت خارج المعتقل عربة يجرها حصان. وتسلقنا العربة، وجلس ميداغليا الى جانب الحوذي المدني.
وبعد عشرين دقيقة توقفنا خارج معمل قماش. وقال لنا ميداغليا: "تعالوا معي." ودخل وأخذ يتكلم بلا انقطاع مع أحد المراقبين. وقدم اليه ورقة ممهورة بامضاء، وأظن أنها طلب اذن مزور. وأخيراً دعانا وقال: "أنقلوا سبعة أطوال من هذا الثوب الى العربة."
سبعة؟ لا بد انه بدل رأيه. الا أننا، نحن الايطاليين، ترجمنا السبعة الى عشرة. وهكذا حملنا عشرة أطوال قماش الى العربة التي انطلقت بنا من حيث أتت.
وفي طريق العودة توقفنا أمام محل

أغذية. وقال ميداغليا: "تعالوا معي. يجب أن نأخذ كيساً من السكر يحوي ٢٥ كيلوغراماً."

وبعد محادثات شبيهة بتلك التي أجريت في مغزل القماش، خرجنا سريعاً بكيسين من السكر، أي بخمسين كيلوغراما وانطلقنا وكان الليل أرخى سدوله والهواء رائقاً وعاطراً. وعن ضفتي القناة سمعنا زيزان الحصاد تطلق صيحات ثاقبة. ولم يتكلم أحد منا طوال الطريق. ولكن ما أن دخلنا المعسكر حتى ذهبت ثلاثة أطوال من القماش الطحيني مع كيس من السكر الى مكتب ميداغليا، فيما حملنا الاطوال السبعة والكيس الآخر داخل الاسلاك الشائكة.

وتنهد فانتي وقال: "من كان يحلم أن ...؟"

فأجبته: "انه المسرح يا عزيزي تونينو...انه المسرح."

ـ وماذا عن السكر؟

"حسناً. أليس من يقسم بالقسطاس هو الانسان المستقيم؟"

وهكذا حصل ميداغليا على المسرح الذي سعى اليه.

"أحبني، يا ألفريدو"

لم يكن المعسكر ٣/٢٩ يفتقر الى الاشخاص الغريبي الاطوار، وفي طليعتهم الطباخ الجنوي برونو بيفا. وهو رجل قصير ممتلىء الجسم، ذو خصلة شعر متدلية فوق جبهته النافرة. وكان دائماً على وشك فقدان أعصابه، ومستعداً للصراخ في أي لحظة.

الا أن برونو لم يكن بالرجل البخيل الخسيس. وجل ما في الامر أنه سريع الى الغضب لادنى الاسباب. وويل لمن يفوته رد تحية برونو أو تصدر منه ايماءة غريبة نحوه أو يخاطبه بعبارة غير مفهومة. أما في أوقاته الهادئة فهو صديق كريم مسعف. وينبغي الاقرار بأن غضبه لم يقتصر على زملائه الأسرى، بل تعداهم الى الروس أيضاً.

ولم تلبث موهبة برونو على الرقص والتمثيل أن جعلت منه نجم المعسكر ٣/٢٩ في تأديته احدى القطع المحببة كل يوم أحد. وغالباً ما لعب دور المرأة، يعنيه على ذلك منظره وطبعه. وأدى أدواره بنجاح، علماً أنه مارس التمثيل الغنائي في ايطاليا. وكان في امكانه تأدية أي ضرب من الرقص، سواء أكان الرومبا أم الكاريوكا أم الفالس. الا أن مهارته تجلت أكثر الامر في الباليه. وكلما ظهر فوق الخشبة ليدور على رجل واحدة وهو في تنورة الباليه المنتفخة القصيرة، كان المكان ينفجر بالتصفيق، مما يدفع برونو على متابعة دوره بمهارة منقطعة النظير. وسواء أكان دوره كلاسيكياً أم غنائياً، فأنه كان ينهيه من غير وجل، مجتذباً هتاف الروس والطليان.

وسرعان ما تجمعت لدى برونو خزانة ملأى بالمعدات المسرحية: ثلاث تنانير باليه وأردية مسائية وقفافيز رقص وأحذية وفضيات لترصيع الملابس وشالات وقبعات عريضة الاطراف. ومرة قال في تفسير ذلك: "اذا فرض علي تأدية دور المرأة، فيجب ألا أبدو كالرجل."

وقر رأيي على تقديم المشهد الثالث من مسرحية "لا ترافياتا"، على أن أعطي النظارة فكرة موجزة عن المشهدين السابقين قبل ارتفاع الستارة. وذروة المشهد لحن "أمامي الفريدو" الذي يعزف على كمان منفرد. وكنت دونت كلمات الحوار كما علقت في ذاكرتي، مبتكرا ما نسيته منها ليلائم الموقف. ووزعت الادوار الرئيسية، على أن يلعب برونو بيفا دور فيوليتا ومونا تشيلا دور الاب وأنا شخصيا دور ألفريدو.

الا أن مشكلة واجهتنا، وهي من أين نأتي بشعر فيوليتا لنضعه على رأس برونو. ولم تواجهنا المشكلة قبل ذلك الحين، لأن برونو اعتاد ستر رأسه على الدوام بقبعة أو منديل لتأدية أدواره الانثوية. غير أن فيوليتا لا تستغني عن الشعر. فدورها يقتضي أن تضطجع على سرير وهي مريضة وفي حال النزاع. وكيف يمكن أن تموت امرأة وهي تلبس قبعة؟

وحللنا المسألة بالطريقة الآتية: كان لدي "مساعد شخصي" وهو أسير سرديني قليل المواهب اسمه كونغيو. وكان على استعداد ليفعل أي شيء من أجلي، لأن وظيفته كمساعد خولته الحصول على المزيد من الطعام.

وذات صباح دخل ميداغليا بجواده عبر بوابة المعسكر، وربطه في الظل وتوجه الى مكتبه. ولم يكن ذلك بالامر المألوف، اذ أن آمر المعتقل اعتاد ربط حصانه خارج مكتبه. ووجدت في ذلك فرصة ذهبية وناديت كونغيو: "تعال وانظر! أيمكنك أن ترى ذيل الحصان؟"

ـ أجل، اني أرى الحصان.

"صدقني، ان لهذا الحصان ذيلا."

ـ وما معنى هذا؟

"معناه أن تذهب وتأتيني بالذيل."

ـ أتريده كله؟

"لنقل ٤٥ سنتيمتراً منه."

وأسرع كونغيو الى المهاجع لاحضار مقص، ثم ذهب نحو حصان الكولونيل وقد أبقى عينيه مفتوحتين لئلا يبصره صاحب الحصان أو الحراس. وعاد وقد خبأ قصاصة الذيل ضمن سترته. وقال: "أين أضعها؟"

ـ لفها جيداً واذهب بها الى تونينو.

وسأل كونغيو الذي كان موظف بريد في سردينيا: "أتريد جواباً منه؟"

ـ كلا.

وما أن خرج كونغيو حتى ظهر ميداغليا خارج مكتبه. وانضم الي دلفو بيليتي، وهو من قدامى الاسرى في المعسكر. وبادرني: "انه صباح جميل يا كارلو." فأجبته: "سنرى."

وفي اللحظة عينها وصل ميداغليا الى حصانه المشوه. وللحال نادى بيليتي، وهو عملياً معاونه كونه الضابط الوحيد بين الاسرى الايطاليين في المعسكر ٠٣/٢٩.

واذ لم يعرف شيئاً عن السرقة، لم يكن ثمة ما يقوله لميداغليا. الا أن حذقه التوسكاني جعله يتوقع ما حدث، كما تذكر ما قلته له بعد كلامه عن جمال الطقس. ونظر الى عيني ميداغليا مباشرة وقال: "لا بد، يا سعادة الكولونيل، من أن يكون أحد ضباطك لعب معك هذه المزحة."

ورفع ميداغليا حاجبيه شكاً وقال: "أتظن الامر هكذا؟"

فأجابه: "ان أحداً منا، يا سيدي

الكولونيل، لا يجرؤ على هذا العمل·"
وبعدما استعاد ميداغليا هدوءه هز كتفيه بتؤدة· وربما ظن أن اقتطاع ٤٥ سنتيمترا فقط من ذيل حصان لا يكفي لرفع دعوى· وعندئذ حل وثاق الحصان وأخرجه عبر البوابة·

وسألني دلفو: "أين هو ذلك الذيل؟"

ـ إنه مع تونينو·

وابتسم دلفو وتابع: "إذا ستموت فيوليتا تحت ذيل حصان؟ حسنا، لنقو إيماننا بالله·"

ـ كذلك بصديقنا سكوغنا ميغليو الذي يصنع من الذيل شعرا مستعارا·

وفي اليوم التالي كان الشعر جاهزا· وإذا به ضفائر فاحمة السواد تتدلى بكثافة من فروة· وجاء الشعر رائعا، لا يضيره ظهور الفروة هنا وهناك· لكنه يلائم فيوليتا وبرونو معا·

وكان المسرح مكتظا ذلك الاحد، لأن النظارة سمعوا جميعا بتلك القطعة، وبعضهم عرفها حق المعرفة·

وفي تمام الثالثة والنصف عزفت الفرقة لحن "لاترافياتا" الافتتاحي· ومشيت في محاذاة أضواء الخشبة الامامية وأنا في زي الفريدو وهيئته· وبصوت خفيض وتعابير مسرحية، أعطيت الجمهور فكرة عما سيأتي، حتى مرض فيوليتا القاتل· ولما ضمنت انجذابهم بالرواية، أشرت الى الفرقة الموسيقية كي تباشر العزف·

وقلت بصوت متهدج: "أيها السادة، إليكم أمامي ألفريدو·"

وانطلق اللحن وارتفعت الستارة لتكشف عما بدا كمحبس راهبة، مع سرير وكرسي بجانبه· وقد اضطجع بيفا على السرير ووقفت خادمته آنينا الى جانبه· وتلا حوار موجز:

ـ كيف حالك يا سيدي؟

"حسن·"

ـ هذا يسعدني جدا·

وفيما خفت اللحن، ظهر موتشيلا على الخشبة في دور والد الفريدو وهو يعتمر قبعة تيرولية، وهي أفضل ما أمكننا الاتيان به لاعطاء صاحب الدور مسحة الشخص الآتي من مكان بعيد·

ومثل المشهد العاطفي الصارخ على خير وجه، فيما الوالد جاث أمام السرير وفيوليتا قابعة بلا حلاك وقد التصق شعرها الاسود بالوسادة· ثم غادر العجوز الغرفة ترافقه آنينا الى الباب· وبينما الفرقة الموسيقية تؤدي لحن "أمامي ألفريدو" للمرة الرابعة، ظهرت على الخشبة وأنا انادي: "فيوليتا·" وأجابت هي: "ألفريدو·"

وكان ينبغي أن يبقى بيفا، وهو يمثل دور فيوليتا، حيث هو بلا حراك· لكن من يمثل دورا مسرحيا ينزع الى نسيان الاعتبارات العادية· وهكذا رفعت رأس بيفا قليلا وأنا اكرر النداء: "فيوليتا" وأهم بتطويقها· وأحسست ثقلا في يدي· ونظرت لأرى خصل الشعر الفاحمة تسقط من يدي الى الارض· وفجأة بات رأس برونو عاريا· وعلت صيحات الاستنكار من النظارة· وقفز ميداغليا على الفور الى الخشبة وتوقف الموسيقي الذي كان يعزف لحنا منفردا على الكمان عن عزفه·

وأشار ميداغليا الى رأس بيفا وقال: "هذه ليست لا ترافياتا···إنها ذيل حصاني·"

وكان العقاب احتجازي أياما في زنزانة معزولة.

ميلاد مجيد

لا شك في أن المعسكر ٣/٢٩ كان أفضل سجن عرفته. وربما كان من حسن حظنا الوصول إليه في تلك المرحلة الاخيرة من الحرب، بعد انقضاء الفظاعات التي كانت المعتقلات السوفييتية مسرحا لها في وقت سابق.

ويبدو أن الاشهر التي أمضيناها هناك بدلت المكان على نحو ملحوظ. والواقع أن الايطاليين، بعد عملهم النهاري في حقول القطن، لجأوا الى العمل خلال الليالي وأيام الآحاد، فأحدثوا مستشفى ومستوصفا ومحلا للخياطة وآخر لصنع الاحذية ومخبزا. وهذه كلها أضيفت الى البيوتات الصغيرة التي كانت أساسا لدى وصولنا.

أما إنشاء مخبز خاص بنا فكان نهاية عهدنا بالخبز الاسود الرديء. وهكذا أدخل الخبز الايطالي الخفيف الى المعسكر ٣/٢٩ بفضل فريق من أسرى روماغنا الذين صمموا الافران واستطاعوا، بمهارتهم، التغلب على رداءة الدقيق الروسي.

وكما فعلنا كلنا، هلل برونو بيفا للخبز الايطالي، واقترح أن يطهو لنا وقعة خاصة بعيد الميلاد للعام ١٩٤٤. وعرض على ميداغليا أن يعطينا، للخامس والعشرين من ديسمبر (كانون الاول)، ثلاثة أضعاف ما نحصل عليه عادة من الطحين والسكر والرز واللحم والخبز ودهن الجمال والخضر، على أن نعوض هذه الكمية بعملنا خلال شهر يناير (كانون الثاني):

وتردد ميداغليا وحار جوابا. فالميلاد "عيدنا" نحن، لا عيد السوفييت. وربما اعترض أحد المسؤولين في موسكو على هذا السلوك "الرجعي" داخل المعتقل. إلا أن ميداغليا لم يستطع مقاومة توسلات الطباخ الجنوبي طويلا. وبعد إبقائه طلب برونو معلقا أياما، وافق أخيرا عليه. وبدأت الاستعدادات. ولم يقتصر ذلك على المأدبة. فقد نسي ميداغليا أن تنازله للايطاليين باعطائهم ثلاثة أضعاف ما كانوا يحصلون عليه يعني قبول النتائج وهكذا، في الايام القليلة التالية، حصل بيليتي على إذن التعطيل يومين، هما ٢٥و٢٦ ديسمبر (كانون

الاول)، كما حصل طبيبنا الخاص، الدكتور فيلومينو بيلوسيو على اذن باقامة مغارة الميلاد. وسمح لرفيقنا فانتي بانجاز الاضاءة.

وحل مساء الرابع والعشرين من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٤ كأمسية شتاء في حوض البحر الابيض المتوسط. ولم يكن في السماء نجم ليهدي المجوس الى المذود. إلا أن الدب الاكبر لاح من البعيد وسط سماء حالكة الزرقة. وتجمعنا في العراء، منتظرين نصف الليل، إذ كان بيلوسيو مزمعا أن يفتح المغارة ويلقي عظة الميلاد. وذكرتنا أنوار فانتي بزينة الميلاد في شوارع ايطاليا. وفاحت رائحة الطعام الشهية من مطبخ بيفا، حيث كانت المأدبة في الطور الاخير من الاعداد.

وفي منتصف الليل تماما دخل بيلوسيو محل الاحذية حيث بنى المغارة والمهد وصنع شخوصا تمثل مولود بيت لحم ومن له. وتبعه نحو ثلاثين أسيرا. وإذ لم يستوعب المكان عددا أكبر، بقي معظمنا عند الباب. وكنت وتونينو من الذين ظلوا خارجا. وخلعنا قبعاتنا خشوعا.

وبارك بيلوسيو المكان، ثم توجه الى الجمع وطلب منا المشاركة في الصلاة. وجاءت كلماته لا لتمثل كلام كاهن أو محارب، ولا حتى كلام مواطن إيطالي، وإنما كانت كلمات إنسان طيب يؤمن بالله كما يؤمن - على رغم الحرب والاسر - بالارداة الصالحة لبني البشر.

وخلص بالدعاء الآتي: "...من أجل أن تعودوا كلكم سالمين الى بيوتكم." فقلنا جميعا: "آمين."

ومن غير سابق تصميم، انطلقنا بفم واحد ننشد ترنيمة ميلادية والغصة في حلوقنا جميعا. وران صمت بعد انتهاء الانشودة. لكن احداً لم يتحرك، وما برح بيلوسيو جاثيا أمام المهد. وبقي الرجال في الداخل واقفين كما هم. والذين في الخارج أبقوا أنظارهم داخلا بلا حراك.

وبينما نحن كذلك، وكل منا مستغرق في أفكاره، تقدم الضابط المسؤول نحونا ثم ألقى نظرة من النافذة وبعد ذلك نظر الى رؤوسنا المطأطأة. ولم يعن ذلك شيئا له، لكنه أدرك أنه يحمل إلينا معنى كبيرا.

وراح يمشي جيئة وذهابا وهو لا يدري ما يفعل. ووقف ثم مشى بضع خطوات في الاتجاه المعاكس، ليعود بعد ذلك نحونا وينظر إلينا. ومخط في منديل. وأخيرا رفع يده اليمنى بتحية عسكرية صارمة.

وبينما نحن نستعد للتوجه الى المأدبة، تقدم الضابط من تونينو وسأله: "ماذا تقولون في ايطاليا في هذه المناسبة؟"

- نقول "بون ناتالي" (ميلاد مجيد).

"إذا، بون ناتالي."

قولوا لايطاليا سلاما

في يوليو (تموز) ١٩٤٥ سرت في المعسكر اشاعة تقول ان الروس على وشك إطلاقنا وإعادتنا الى بلادنا. وعلى رغم معرفتنا بانتهاء الحرب في اوروبا فان أحدا منا لم يصدق الخبر، إذ ان الاشهر الاخد والثلاثين التي أمضيناها في الاسر جعلت منا أناسا مشككين وهازئين.

ولكن فيما نحن مصطفون لعد الرؤوس صبيحة ٢٩ يوليو (تموز)، قرأ الضابط المسؤول أسماء خمسين أسيرا مبتوري الاطراف، بمن فيهم تونينو وأنا، وأمرنا بالوقوف في صف على حدة.

وجاء ميداغليا نحونا وقال: "حسنا. اننا سنرسلكم الى موسكو للحصول على عناية طبية لائقة ونحن نتمنى لكم جميعا حظا سعيدا."

وكان كلامه شديد الاقتضاب ذلك الصباح. وخاطبني تونينو: "ألم أقل لك ان عذابنا لم ينته؟ ان الذهاب الى موسكو يعني أربعين يوما في القطار... أوليس هذا موسم السياحة يأتينا من جديد؟"

واستعددنا من غير حماسة. فالوقت الذي أمضيناه في المعسكر ٢٩/٣ لم يكن سيئا. والاسير يعتاد نمطا من الحياة بحيث لا يرغب في تبديله.

ومن أجل ملاحقة شؤوننا في القطار، عين ميداغليا مهاجرا ايطاليا اسمه ساسي، عاش في روسيا منذ ١٩٢٥. وكان الرجل توسكانيا كما أظن. وقد أحبه بعضنا فيما أبغضه البعض الآخر، لأسباب سياسية في الدرجة الاولى. وكان حقق أمرا أو اثنين لراحتنا داخل المعسكر، ولم يحاول إزعاجنا بمبادئه السياسية.

ولما حان وقت الانطلاق ظهرا، وقفنا خارج البوابة على ضفتي القناة. وبينما نحن نودع زملاءنا وراء الاسلاك الشائكة، بدوا أكثر سعادة منا. ورأيت بيليتي بينهم يلوح علما ايطاليا. فقلت له: "الى اللقاء يا دلفو." وأجاب بأعلى صوته: "الى اللقاء."

وقادنا حارسان يحمل كل منهما بندقية. وكان الجو حارا والمعنويات منخفضة. وحرص ساسي على أن يقف في أول الطابور كل عشر دقائق ليؤكد لنا أن محطة القطارات قريبة جدا.

وأخيرا بلغنا ما يشبه المحطة، حيث العشب يحجب السكة. وهناك رأينا قاطرات القطعان تنتظر.

وأشار فانتي الى اثنتي عشرة قاطرة مكتظة بالركاب وقال: "هناك آخرون إذا."

وأجاب ساسي: "أجل انهم يأتون من معسكرات اخرى."

وسأله فانتي: "أنت آت معنا؟"

- نعم، ولكن بعض المسافة.

وكنا قد حفظنا طريقة عمل القطار. فبعد صعودنا أقفلت البوابة الحديد وجلسنا على الارض المفروشة قشا. وما أن أقفل الباب حتى أخذ القطار يتحرك.

وقال فانتي: "إنهم في عجلة من أمرهم هذه المرة."

وبدا هذا صحيحا، إذ راح القطار ينهب الارض نهبا وسط السهوب.

وقال أحدهم: "لا يمكن أن يبقى القطار هكذا على غير هدى."

وفجأة فتح الباب ليظهر ساسي ومعه حارس. وكان وجه ساسي مختلفا عن الاول، وقال: "لدي أخبار طيبة أيها الاولاد. فمنذ الآن يمكنكم إبقاء هذا الباب مفتوحا إن شئتم. كما تستطيعون النزول في المحطات إذا كان لديكم روبلات تصرفونها. ولكن احرصوا على عدم البقاء خارجا، لأني لا أدري متى يوجه الروس قطارا آخر الى ايطاليا."

وصاح تونينو: "ماذا تقول؟"

ـ أجل، ايطاليا. فانكم لم تبقوا أسرى حرب. أنتم أحرار الآن. وها هم الحراس سيعودون من حيث أتوا، وأنا أيضا. وسيبقى معكم مراقب آخر لتنسيق اموركم، مع خمس ممرضات. لا تقترفوا أي حماقة، بل ابقوا جنبا الى جنب. وسيأخذكم هذا القطار الى فرنكفورت. وهناك تعرفون كيف تتابعون الطريق الى ايطاليا... حظا سعيدا أيها الصبيان. ولا تنسوا أن تقولوا لايطاليا سلاما.

وصرخنا كلنا: "سينيور ساسي! سينيور ساسي."

وسألنا: "ما المسألة؟"

غير أننا لم نقل شيئا. فالمرء لا يستطيع أن يتكلم ويبكي في آن.

■ **كارلو سيلفا**

ارملة روزفلت

يتذكر مايكل بورك، الرئيس السابق لفريق "نيويورك يانكيز" للبيسبول، أنه أمضى أحد فصول الصيف مع عائلة الرئيس الامريكي الراحل فرانكلين روزفلت في بلدة هايد بارك من أعمال ولاية نيويورك:

كان الاطفال يملأون المكان، وبينهم ولدانا ولم يسمح لأحد بالسباحة قبل الثالثة عصراً، حين يتبع الاولاد اليانور روزفلت، أرملة الرئيس، الى حوض السباحة. وعلى رغم بلوغها أواخر السبعينات، فانها كانت تتقدم الاطفال كل يوم وتقفز بجرأة الى الماء.

ومرة قلت لها: "هذه شجاعة عظيمة يا سيدتي! لا شك أنك تحبين الغطس."

فأجابت: "لا بل أكرهه. غير اني اريد اعطاء مثل صالح للاولاد."

ج.ج.

ميزة الاعتذار

كلما أجلت التفكير في نزعة الناس الى الاعتذار، تبين لي أنها ربما كانت أهم الميزات الحضارية التي يتمتع بها الانسان.

ا.ل.

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة، بل إنه مدينة قائمة بذاتها ... صُمّم على أحدث طراز فني ليوفّر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك، أو كنت منهمكاً في عملك ... فندق الشام يوفّر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحّي وحمّام السبَاحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة الى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجاريّة ... ولا تنسَ المطعم الدوّار المطلّ على مدينة دمشق التاريخيّة بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميّز بآثار قديمة تُظهر أهميتها الحضاريّة وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها.

للحجز: فندق الشام - ص.ب: ٧٥٧٠
تلكس: ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف: ٢٣٢٣٠٠ (٥٠ خط)
تلكس الزبائن: ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد